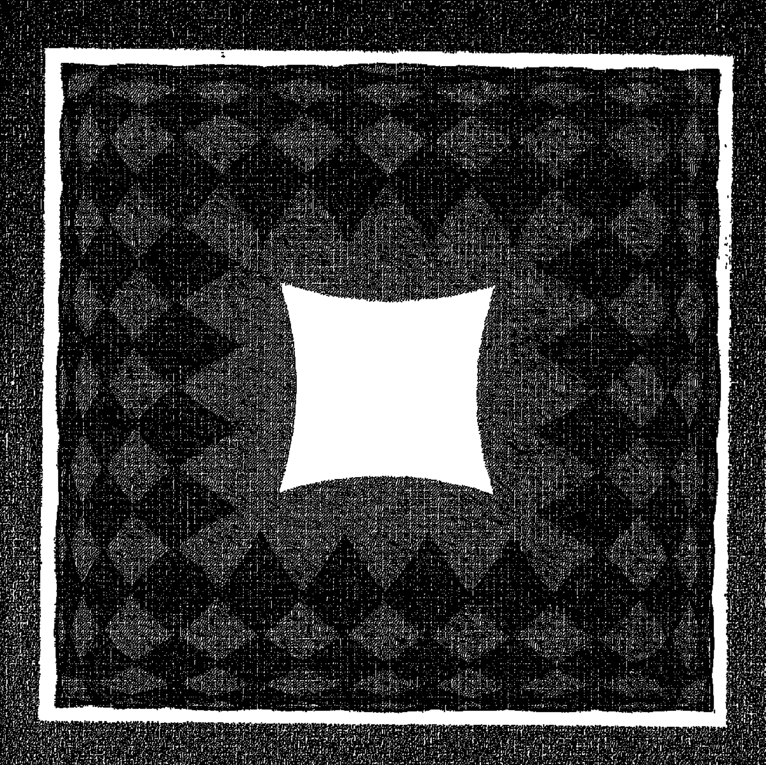
الدكتور محمد فريد محمود عزت

دراسات في فن التحرير الصحفي

في ضوء معالم قرآنية



دار الشروق

دراسات في فن التحرير الصحفي

في ضوء معالم قرآنية

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م



للنشر والتوزيع والطباعة

الادارة العامة: تلفون ٦٨٧٣٠٧٧ - برقيا. مشكاتنا
تلكس SHORCO, SJ ٤٠١٢٠٩ - ص.ب. ٦١٤٦ ٤١٤٦
جدة ٢١٤٩١ - المملكة العربية السعودية
فرع البغدادية: تلفون ٦٤٢٦٦١٠ - ٦٤٤٣٥١٨
فرع كيلو ٣ طريق مكة: تلفون ٦٨٧٢٨٠٠

دراسات في فنّ التحرير الصّحفي

في ضوءِ معالِم قرآنيّة

الدّكتور محمّد فريد محمود عزّت

أستاذ مُساعد بقسم الاعلام

كليّة الآداب والعُلوم الانسانيّة

جامِعة الملك عبد العزيز

جدّة



للنشر والتوزيع والطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان.. والصلاة والسلام على من أرسله ربه بأشرف رسالة، بلاغا للناس، وهدى ورحمة للعالمين، فأدى الأمانة خير الأداء، وترك فينا ما ان تمسكنا به لن نضل أبداً «كتاب الله وسنة رسوله ﷺ».. وبعد

فأولا وقبل كل شيء.. أود أن أؤكد أنني في هذا الكتاب **(دراسات في فن التحرير الصحفي/في ضوء معالم قرآنية)** وهي الأولى من نوعها على ما أعلم في هذا المجال، أؤكد أنني لست مفسراً للقرآن الكريم، ولست من الذين يبيحون لأنفسهم دون قيد أو شرط تقديم تفسير للقرآن الكريم، أو الذين يسيرون مع النغمة الجديدة التي تتردد عن حاجة الناس الى تفسير عصري للقرآن الكريم، يستجيب للتقدم العلمي، ويتابع ما يستحدث الانسان من علوم العصر..

وأشير أيضا الى أنه لم يرد الى ذهني من قريب أو بعيد، أن الهدف من هذا الكتاب، هو تقديم تفسير للمعالم القرآنية التي وردت فيه، ذلك أنني أعلم تمام العلم أن هناك شروطا عديدة يلزم توفرها فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم، ولا يتهاون العلماء في ضرورتها للمفسر.. وأنا لست من الذين تتوفر فيهم تلك الشروط، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

ففي مقدمة تلك الشروط.. الدراية التامة بعلوم العربية لغة وبيانا.. وتأتي مع علوم العربية، سائر علوم القرآن، مما لا يتصور أن يتصدى مفسر لتأويله وهو يجهل مثلا، أسباب نزوله، والمحكم والمتشابه،

وقراءاته ورسم المصحف.. ثم هو في حاجة كذلك الى دراية بعلوم الحديث، من حيث كانت السنة مفسرة للقرآن، ومفصلة لما أجمل منه.. مع دراية كذلك بعلم التوحيد، وأصول الدين، وأحكام الفقه المستنبطة من الكتاب والسنة.. ولا بد له بعد ذلك كله من معرفة بالفرق الاسلامية، واتصال بكتب الكلام، وعلم بتاريخ الاسلام[1].

وفوق ذلك أؤكد أيضا، أنني لم أستهدف من هذه الدراسات، أن أربط بين القرآن الكريم، وفن التحرير الصحفي، من ناحية ايجاد صلة بين القرآن الكريم وهذا الفن «لأن القرآن الكريم منارة ثابتة الأساس والكيان، وكل ما في الحياة مناظر عابرة أمامها، يمكن أن نراها على ضوء المنارة، ونحكم عليها وهي في هذا الضوء. ومهما يكن فهي عابرة عارضة، أما المنارة فقائمة ثابتة، وليس هناك تكافؤ في الكيان، أو في الثبات بين القرآن الكريم، وهذه المناظر العابرة أمامه حتى نقارن بينهما[2] ».

كذلك أؤكد أنني لا أهدف من كتابي هذا، الى تأييد القرآن الكريم وتدعيمه، فليس القرآن في حاجة الى شيء من ذلك.. **وانما هدفي هو الاستفادة بما في القرآن الكريم من معالم مضيئة، والاسترشاد بها لوضع**

---

(١) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - القرآن والتفسير العصري (العدد ٣٣٥ من سلسلة اقرأ - نوفمبر ١٩٧٠م) ص٣٢ وص ٣٥.. وتقول المؤلفة في ص ٣٥ - ٣٦ أن المفسرين من السلف كانوا من علماء العربية والاسلام، حيث نجد أسماءهم في طبقات المفسرين، وفي طبقات اللغويين، والنحاة، أو المحدثين، والفقهاء، أو المؤرخين، والمتكلمين. وما تصدى للتفسير من أصحاب المذاهب والفرق الاسلامية الا أرسخهم قدما في علوم العربية والاسلام، وأبرعهم في تخريج الأقوال، ومناظرة خصوم المذهب، حتى ليشق على غير الخاصة أن يهتدوا الى مسارب التأويل المشتط في تفاسيرهم.

(٢) عبد الحليم حفني - أسلوب السخرية في القرآن الكريم (القاهرة - ١٩٧٨م) ص ٤١٦

أسس اسلامية لبعض الجوانب والمفاهيم في فن التحرير الصحفي، والتي سبق بها القرآن الكريم بأكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان.. فان أحدث ما وصل اليه الكثير من جوانب فن التحرير الصحفي «هو النسق الذي سار عليه السرد في القرآن[٣] ».. وانني لأتساءل هل نظر واضعو قواعد فن التحرير الصحفي الى القرآن الكريم حين وضعوا قواعدهم؟ والاجابة على الفور تقطع بأنهم لم يفعلوا ذلك، فهذه القواعد واردة علينا من الغرب أو الشرق، وما أحسب أن بين واضعي تلك القواعد هناك من يفكر في القرآن الا على أنه كتاب سماوي، أما ما فيه من توجيهات، وارشادات تتعلق بالكثير من الجوانب والمفاهيم في فن التحرير الصحفي - في لغة العصر الحديث ان جاز هذا التعبير - فبعيدة عن أذهانهم كل البعد[٤].

بعد كل ما سبق من تأكيدات، أقول ان البحث في هذا المجال (دراسات في فن التحرير الصحفي/في ضوء معالم قرآنية) قد يبدو غريبا، لأنه ما كان يوما محل جدال بين العلماء المسلمين، ولا محور بحث عندهم، كما لم يكن موضع اهتمام علماء العربية والاسلام من المفسرين، والنحاة، والمحدثين، والفقهاء وغيرهم، وذلك لسبب بسيط وهو أن علم فن التحرير الصحفي علم حديث كما نعلم. ولكن مما يساعد على تبديد تلك الغرابة، ما رواه الامام جلال الدين السيوطي الشافعي[٥] عن أبي الفضل المرسي في تفسيره، أن القرآن الكريم جمع علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علما الا الله ورسوله. ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة،

---

(٣) ثروت أباظة - السرد القصصي في القرآن الكريم (القاهرة بدون تاريخ) ص ٣.
(٤) نفس المصدر السابق.
(٥) الإتقان في علوم القرآن (بيروت ١٩٧٩ م) الجزء الثاني ص ١٢٦.

وابن مسعود، وابن عباس، حتى قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى.

ولقد نهض العلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم، يدرسون كتاب الله دراسة متأنية دقيقة، وذهبت كل طائفة تعالج القرآن لتستخرج منه ما يتفق والعلوم التي تبحث فيها، والفن الذي تشتغل به، وتوغل المشتغلون بعلوم القرآن في استخراج العلوم المختلفة من القرآن الكريم توغلا شديدا، حتى انهم لم يتركوا علما من العلوم الا قالوا: ان القرآن قد تحدث عنه أو أشار اليه اشارة قريبة أو بعيدة، كأنهم بذلك أرادوا تطبيق الآية الكريمة ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (سورة الأنعام الآية ٣٨) والآية الكريمة ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (سورة النحل الآية ٨٩) فكل ما يحتاج اليه الناس في أمر دينهم ودنياهم، قد ذكره القرآن الكريم مفصلا، أو مجملا[٦].

ولا غرابة في ذلك، فان القرآن الكريم يعطيك بمقدار ما تعطيه، ويفتح عليك في كل مرة باشعاعات، واشراقات، وايحاءات، وايقاعات،

---

(٦) عبد القادر حسين - القران اعجازه وبلاغته (القاهرة ١٩٧٥م) ص ٨٨ - ٨٩ ويقول المؤلف أيضاً في نفس المصدر: ان القراء تناولوا الفرآن لبيان لغاته ومعرفة مخارج حروفه وعدد كلماته وآياته وسوره.. والنحاة تناولوا القرآن من حيث البناء والاعراب في الأسماء والأمثال والحروف حتى ان بعضهم أعرب القرآن كلمة كلمة.. والمفسرون تناولوا الفرآن من حيث دلالة ألفاظه على معانيه الطاهرة والخفية، واحتمال الألفاظ للمعاني المحتلفة وترجيح بعضها على بعص.. والكتاب والشعراء وعلماء البلاغة نظروا إلى جزالة ألفاظ المرآن، وبديع نظمه، وحسن اتساقه واستخراج ما فيه من معان وبيان وبديع.. واستخرج المشتغلون بالعفيدة من القرآن الأدلة العقلية التى تدل على وحدانية الله وتنزيهه عما لا بليق.. ودقق علماء الفقه النظر، وأحكموا فيه الفكر ليستخرجوا منه الحلال والحرام والجائز والممتنع وسائر الأحكام المتعلقة بالمواريث والوصايا وغير ذلك.. وتناول المشتغلون بالعلوم النفسية ما في القرآن من آيات لها دلالات نفسية، أو ايماءات رمزية.. وعلماء الطب وجدوا في القرآن آيات حول طب الأجساد، وطب القلوب، وشفاء الصدور.

بقدر ما تفتح له نفسك، ويبدو لك في كل مرة جديدا كأنك تلقاه اللحظة، ولم تقرأه، أو تسمعه أو تعالجه من قبل[٧]. وذلك لأن النصوص القرآنية معدة للعمل في جميع الأوساط والبيئات، والظروف، والأحوال، قادرة على اعطاء رصيد معين لكل نفس، ولكل عقل، ولكل ادراك، كل بقدر ما يتقبل منها وما يطيق. والانسان يرتقي نصيبه ويتضخم رصيده، ويتنوع زاده الذي يتلقاه من نصوص القرآن، كلما ارتقى في المعرفة، واتسعت مداركه، وزادت معلوماته، وكثرت تجاربه[٨].

ان القرآن الكريم أساس حضارة انسانية كبرى، ومبعث ثورة نفسية وعقلية، نقلت تاريخ العالم من طور الى طور. ولقد وفر للنهضة الاسلامية عناصر الوجود والاكتمال، ما لا تستطيع صنعه ألف وزارة للدعاية والاعلام، تجند فيها لتغذية العواطف والآراء آلاف الأقلام الداعية، والألسنة الحادة.. فقد كان هذا القرآن للحركة الاسلامية صحافتها، واذاعتها، وكتابتها، وخطابتها، ومن آياته وحدها اهتزت الأجيال الهامدة، اهتزاز الحياة، وتخلصت بقوة وعزم من عقابيل الجاهلية الأولى، لتنشىء نهضة جديدة متميزة بحقائقها وشاراتها، نهضة لم تنبعث من نفس رجل وحده فتموت بموته، بل نهضة تنبعث من أعماق النفوس التي آمنت عن يقين حازم، واقتناع محض[٩].

ففي القرآن الكريم، كل ما تحتاج اليه حياة الناس، فضلا عما تحتاجه قلوبهم وأرواحهم. وفيه كل ما يصلح به اجتماع البشر،

---

(٧) سيد قطب - في ظلال القرآن (بيروت الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) جـ١٣ ص ٢٠٣٩.

(٨) نفس المصدر السابق جـ٢٧ ص ٣٣٧٨.

(٩) محمد الغزالي، نظرات في القرآن الكريم، (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٦١ م) ص ١٤ وص ١٦.

وسياستهم، واقتصادهم واعلامهم. وما في القران الكريم من هذه الجوانب وغيرها كثير، ليس مجرد اشارات أو تلميحات، وانما هي أسس متكاملة منظمة، لا تحتاج الا الى حسن الفهم، وحسن التفصيل، وحسن التطبيق[١٠].. فالقرآن الكريم كتاب المسلمين جميعا، يسمعه كل مسلم، فيتمثل معانيه ومراميه، على قدر استطاعته، وفي حدود فهمه. ومحاولة فهم القرآن لا يمكن أن تتعرض لانكار، أو رفض اذا كانت من قبيل التماس عطائه المباح لخلق الله، على أن تبقى في نطاقها الخاص المحدود[١١].

اذن فمن المسلمات البديهية في النصوص القرآنية بوجه عام، أن يفهمها من شاء كيفما شاء، دون أن يختلط فهم القرآن بتفسيره[١٢].. ولقد فهمت تلك المعالم القرآنية، التي شملتها الدراسات على امتداد هذا الكتاب، وفق خبرتي الطويلة في مجال العمل الصحفي، ثم تدريس مواد الصحافة بعد ذلك، وتلمست عطاء تلك المعالم القرآنية، فيما يتعلق بهذه الدراسات، دون اللجوء الى لويها، أو الاعتساف في تأويلها، لكي تلبي حاجتي، وتخدم غرضي الذي استهدفته من هذه الدراسات، كما أنه لم يختلط في ذهني فهم تلك المعالم القرآنية، بتقديم تفسير لها من عندي، وذلك لأنني حرصت على الاستعانة في كل ما تطرقت اليه بالعديد من كتب التفسير، وعلوم القرآن، والكتب الاسلامية في نفس المجال، وأثبت في هوامش الكتاب كل مصدر رجعت اليه، أو نقلت عنه، لتوضيح أن تلك التفاسير ليست من عندي.. وكان من مقتضى ذلك اتباع المنهج الوصفي والتحليلي، للاسترشاد بما في تلك المعالم القرآنية التي رجعت اليها من عطاء

(١٠) أسلوب السخرية في القرآن الكريم، مصدر سابق ص ٤

(١١) القرآن والتفسير العصري، مصدر سابق ص ٤٦ - ٤٧

(١٢) نفس المصدر السابق ص ٤٨

وتوجيهات، لوضع أسس اسلامية - كما سبق أن ذكرت - لبعض الجوانب والمفاهيم في فن التحرير الصحفي.

وبالنسبة للآيات القرآنية التي استشهدت بها في معرض تلك الدراسات، فانها لا تعني أنها كل ما في القرآن الكريم فيما يتعلق بكل جزئية منها، فليس الاستقصاء هدفا لهذه الدراسات، وكل ما في الأمر أنني كنت أتوسع في تقديم أكبر عدد من النماذج في النقطة الواحدة، زيادة في الاستفادة، واتاحة الفرصة للدارس لكي يجد الأمثلة العديدة التي تقرب فهم تلك النقاط الى ذهنه..

ولقد قسمت هذا الكتاب الى **مقدمة**.. وهي التي بين يديك الآن.. **وخاتمة** تتضمن خلاصة شاملة للكتاب.. وبينهما **صلب الكتاب**.. يشتمل على أربعة أبواب، مقسمة الى اثنين وعشرين فصلا..

وكان موضوع **الباب الأول**: «مفاهيم صحفية في ضوء معالم قرآنية».. واشتمل على ستة فصول: الأول بعنوان (النبأ.. والخبر). والثاني بعنوان (النبأ اليقين) والثالث (حول الصراع) والرابع عن (الحرية والرقابة) والخامس عن (التوقيت المناسب) والسادس عن (التكرار وأهميته).

و**الباب الثاني** بعنوان «الكتابة الصحفية في ضوء معالم قرآنية» وتضمن ثمانية فصول: الأول بعنوان (الاستفهامات الستة) والثاني حول (مقدمات الأخبار الطويلة) والثالث عن (المدخل المثير للانتباه) والرابع عن (الخاتمة الجيدة) والخامس حول (علاقة المقدمة بالخاتمة) والسادس (حول الحوار) والسابع عن (العنوان الجيد) والثامن عن (الكاريكاتور البناء).

وكان **الباب الثالث** بعنوان «الموضوع الصحفي في ضوء معالم قرآنية» وتضمن أربعة فصول: الأول بعنوان (الموضوع على ضوء

القرآن بكامله) والثاني بعنوان (الموضوع على ضوء سور من القرآن) والثالث بعنوان (الموضوع على ضوء قصص قرآنية قصيرة ومتوسطة) والرابع بعنوان (الموضوع على ضوء قصص قرآنية طويلة)..

أما الباب الرابع والأخير فكان بعنوان «من صفات الصحفي وواجباته في ضوء معالم قرانية» واشتمل على أربعة فصول: الأول بعنوان (الاخلاص والتقوى والصدق والصبر) والثاني بعنوان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والثالث بعنوان (التفكير والحاسة السادسة) والرابع بعنوان (تنمية المصادر الصحفية).

وأخيرا..فانني في هذا الكتاب، لم أتناول بالدراسة كل جوانب فن التحرير الصحفي، وانما اخترت بعضها من التي تحمل طابعا خاصا، ولها دلالة معينة، وصلة وثيقة بالمعالم القرآنية التي درسنا تلك الجوانب على ضوئها، لكي يسترشد بها الصحفي، ويستهدي بما فيها من توجيهات سديدة، وقواعد واضحة ويستلهم عطاءها الوفير، بما يثري انتاجه ويدعمه، ويجعله يقدم الى القراء مادة شيقة جذابة، فيها من المادة الدسمة المفيدة البناءة، وبراعة العرض، وحسن الصياغة، ما يشد القارىء الى قراءتها من البداية حتى النهاية.. ومع ذلك لا أزعم أنني قد فصلت القول في جميع الجوانب التي درستها، فما هي الا محاولة قمت بها في جوانب شديدة الصعوبة، ولم تطرقها البحوث من قبل.. فان أصبت فذلك الفضل من الله.. والا فهي محاولة أسأل الله سبحانه وتعالى ألا يحرمني ثواب ما بذلت فيها من جهد، وأن يجزل عطاءه لكل من مد لي يد المساعدة حتى خرج الكتاب على هذه الصورة.. والله يهدي الى الحق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

جدة في يوم الاثنين

الدكتور محمد فريد محمود عزت

١٨ محرم ١٤٠٤هـ ٢٤ أكتوبر ١٩٨٣م.

الباب الأوّل
مفاهيم صحفيّة في ضوء معالم قرآنيّة

الفصل الأول : النّبأ .. والخبر

الفصل الثاني : النّبأ اليقين

الفصل الثالث : حول الصّراع

الفصل الرّابع : الحرّية والرّقابة

الفصل الخامس : التوقيت المناسب

الفصل السادس : التّكرار وأهميّته

الفصل الأول

النبأ.. والخبر

THE NEWS

الأنباء، والأخبار، قديمة قدم البشرية، منذ وجد الانسان على ظهر الأرض.. فحيثما يوجد الانسان تولد الأنباء والأخبار، لأنها تتصل بحياته، وتنشأ بالضرورة في كل مجتمع من المجتمعات مهما كان بسيطا أو بدائيا، طالما وجد من يقول ومن يستمع للفول.. ومن أجل ذلك نجد أن الأنباء والأخبار تشكل حجر الأساس في بناء الصحافة قديما وحديثا.

ولقد درج العامة، بل وحتى كثير من الخاصة، على استخدام كل من كلمتي (نبأ.. وخبر) مكان الآخر، على أنهما مجرد كلمتين مترادفتين لبعضهما.. ويلاحظ ذلك بوضوح في كتب الاعلام العلمية والدراسية، حيث نجد الكلمتين تستعملان محل بعضهما البعض.. كما نسمع في الاذاعة عبارة (نشرة الأخبار) و(موجز أهم الأنباء) ونرى مثل ذلك في التليفزيون أيضا، وفي مختلف وسائل الاعلام.

ولكن هل الكلمتان (نبأ وخبر) مترادفان لبعضهما فعلا؟.. أم أن هناك فروقا بينهما؟ وبالتالي يكون لكل منهما معنى يختلف عن الآخر؟ أو يكون لكل منهما استخدام في مجال غير مجال الآخر؟.

الحقيقة أنني كنت - مثل غيري - أستخدم كلا من الكلمتين مكان الأخرى على أنهما مجرد مترادفين لبعضهما فقط.. حيث لم نتعلم من أساتذتنا خلال دراستنا للصحافة في الجامعة (١٩٥٥ - ١٩٥٩م) ولم نقرأ في كتب الاعلام الدراسية حتى الآن (١٩٨٣م).. ولم نلحظ خلال حياتنا العملية في الصحافة، ما يشير الى وجود فرق بين

الكلمتين ومجال محدد لكل من الكلمتين لا تستخدم الا فيه.. الى أن لفت انتباهي وشده بقوة، حديث حول فضائل القرآن وتلاوته.. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الا انها ستكون فتنة».. فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم[1]...» فتكون لديّ على الفور انطباع قوي بأنه لا بد وأن يكون هناك مجال خاص لكل من الكلمتين (نبأ وخبر) تستخدم فيه، وذلك لأن رسول الله ﷺ، لا ينطق عن الهوى، ولا يقول الا الصدق والحق.. وسألت نفسي لماذا قال (نبأ ما قبلكم) وقال (خبر ما بعدكم)؟؟ أي لماذا قرن كلمة (نبأ) بعبارة (ما قبلكم) أي بالماضين من الخلق والبشرية، وقرن كلمة (خبر) بعبارة (ما بعدكم) من الخلق والبشرية؟؟ ولم يذكر كلمة (نبأ) مع عبارة (ما بعدكم) أو كلمة (خبر) مع عبارة (ما قبلكم)؟.

---

(١) تحفة الأحوذي/شرح جامع الترمدي للامام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري (دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) جـ٢ ص ٢١٨ - ٢٢١ ونص الحديث «حدثنا عبد الرحمن بن حميد أخبرنا حسين بن علي الجعفي أخبرنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت نعم. قال: أما اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا انها ستكون فتنة».. فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم. وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين. وهو الذكر الحكيم. وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا ينقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن اذا سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنت به، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم» (.. هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حمزة الزيات وأخرجه الدارمي).

ولقد حرك هذا الحديث الشريف فيّ حافز البحث في هذه المسألة، وجعلتها الفصل الأول في هذا الباب الأول.. ولما كان هذا الكتاب عبارة عن (معالم قرآنية) لمختلف ما ورد فيه من موضوعات لذلك كانت البداية لهذا البحث (النبأ والخبر) هي جمع الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمتي (النبأ والخبر) المفرد والجمع والمشتقات[٢].

وقبل أن نستعرض تلك المعالم القرآنية بهدف الوصول الى نتائج للدراسة. نعرض ما تقوله القواميس والمعاجم حول الكلمتين لتنبر لنا السبيل، وتساعدنا على تبين معالمه..

نبأ.. وأنباء

جاء في تاج العروس من جواهر القاموس لمؤلفه محمد مرتضى الزبيدي[٣] أن «النبأ محركة الخبر وهما مترادفان. وفرق بينهما بعض وقال الراغب[*] النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن. ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، ويكون صادقا، وحقه أن يتعرى عن الكذب، كالمتواتر، وخبر الله، وخبر الرسول ﷺ. ولتضمنه معنى الخبر يقال أنبأته بكذا. ولتضمنه معنى

---

(٢) أنظر الآيات مجمعه ومصنفة في (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/وضع محمد فؤاد عبد الباقي (كتاب الشعب - القاهره - بدون تاريخ) ص ٦٨٥ و ص ٦٨٦ وجدير بالذكر أنه في اللغة الانجليزيه تستخدم كلمة (NEWS) فقط للتعبير عن (نبأ وأنباء - وخبر وأخبار) فهي كلمة مفردة وجمع في آن واحد.

(٣) الطبعة الأولى (القاهرة ١٣٠٦ هـ) جـ١ فصل النون من باب الهمزه ص ١٢١.

(*) الراغب: هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المولود في عام ٥٠٢ هـ وسميه السيوطي المفضل بن محمد الراغب الأصفهاني. وهو من أئمة الاشتقاق والنظر في أصول العربية. وصاحب الحديث والشعر والكتابة والأخلاق والحكمة والكلام. (أنظر معجم المطبوعات العربية والمعربة/جمع وترتيب يوسف الياس سركيس (مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م) الجزء الأول ص ٩٢١ و ٩٢٢.

العلم يقال: أنبأته كذا. قال وقوله تعالى: ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ﴾ الآية فيه تنبيه على أن الخبر اذا كان شيئا عظيما فحقه أن يتوقف فيه، وان علم وغلب على صحته الظن، حتى يعاد النظر فيه ويتبين».

وجاء في لسان العرب للامام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري[٤]. ان «النبأ: الخبر، والجمع أنباء، وان لفلان نبأ أي خبراً. وقوله عز وجل: «عم يتساءلون عن النبأ العظيم». قيل عن القرآن، وقيل عن البعث، وقيل عن أمر النبي ﷺ. وقد أنبأه اياه وبه، وكذلك نبأه متعدية بحرف وغير حرف، أي أخبر».

خبر.. وأخبار

وفيما يتعلق بالخبر والأخبار، فقد جاء في تاج العروس[٥] ان «الخبر ما آتاك من نبأ عمن تستخبر. قال شيخنا[*] ظاهره بل صريحة أنهما مترادفان، وقد سبق الفرق بينهما وان النبأ خبر مقيد بكونه عن أمر عظيم كما قيد به الراغب وغيره من أئمة الاشتقاق والنظر في أصول العربية. ثم ان أعلام اللغة والاصطلاح قالوا: الخبر عرفا ولغة ما ينقل عن الغير وزاد فيه أهل العربية واحتمل الصدق والكذب لذاته. والمحدثون استعملوه بمعنى الحديث. أو الحديث ما عن النبي ﷺ والخبر ما عن غيره. وقال جماعة من أهل الاصطلاح: الخبر أعم، والأثر هو الذي يعبر به عن غير الحديث كما لفقهاء خراسان.. (ج أخبار) و (جج)

---

(٤) المجلد الأول (بيروت ١٣٠٠ هـ) ص ١٦٢.

(٥) مصدر سابق جـ٣ (فصل الخاء من باب الراء) ص ١٦٦ و ص ١٦٧.

(*) يقول محمد مرتضى الزبيدي في مقدمة تاج العروس من جواهر القاموس بالمجلد الأول صفحة (٣). «شيخنا الامام اللغوي أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المتولد بفاس سنة ١١١٠ هـ والمتوفي بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ وهو عمدتي في هذا الفن والمقلد جيدي العاطل بحلى تقريره المستحسن».

أي جمع الجمع (أخابير) ويقال (رجل خابر وخبير) عالم بالخبر والخبير المخبر ».

وجاء في لسان العرب[٦]. « والخبر بالتحريك: واحد الأخبار. والخبر: ما آتاك من نبأ عمن تستخبر. ابن سيده[*] : الخبر النبأ، والجمع أخبار، وأخابير جمع الجمع.... وخَبَّره بكذا وأخبره: نبأه. واستخبره: سأله عن الخبر وطلب أن يخبره. ويقال: تَخَبَّرْتُ الخبر واستخبرته... وتخبرت. الجواب.واستخبرته. والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر.. يقال: تخبرّ الخبر واستخبر: اذا سأل عن الأخبار ليعرفها».

ومن ذلك يتضح أن (لسان العرب) لم يفرق بين « النبأ والخبر » أي أنهما مترادفان فالنبأ هو الخبر والجمع أنباء.. والخبر هو النبأ والجمع أخبار وجمع الجمع أخابير..

أما (تاج العروس) فقد أوضح أن البعض قال ان (النبأ والخبر) مترادفان..وفرق بينهما البعض « ومنهم الراغب وغيره من أئمة الاشتقاق والنظر في أصول العربية » فقالوا: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن. ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة (أي أن يكون ذو فائدة عظيمة ويحصل به علم أو

(٦) مصدر سانق المجلد الرابع (فصل الحاء المعجمة) ص ٢٢٧.

(*) (ابن سيده) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسى المعروف بابن سيده. المولود في عام ٤٥٨ هـ كان اماما في اللغة والعربيه حافظا لهما وقد جمع في ذلك جموعا منها (المحكم) في اللغة وهو كتاب كبير جامع يشتمل على أنواع اللغة. وله كتاب (المخصص) في اللغة أيضا وهو كبير. وكتاب (الأنيق) في شرح الحماسة وغير ذلك من المصنفات. وكان ضريرا وأبوه ضريرا أيضا وكان أبوه بعلم اللغة وعليه استغل ولده في أول أمره.. وقد توفي في (دانيه) من أعمال الأندلس وعمره ستون سنة أو نحوها (أنظر معجم المطبوعات العربية والمعربه/جمع وترتيب يوسف الياس سركيس (مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م) الجزء الأول ص ١٢٤ و ١٢٥.

غلبة ظن) ويكون صادقا وحقه أن يتعرى عن الكذب. وزاد أهل العربية في (الخبر) أنه يحتمل الصدق والكذب لذاته..

ونقرأ في القرآن الكريم، فنجد أن كلمة (نبأ) وجمعها (أنباء) ومشتقاتها، قد وردت فيه ٨٠ مرة منها خمس عشرة مرة لكلمة (نبأ) ومرة لكلمة (نبأه) للمفرد الغائب ومرة لكلمة (نبأهم) لجمع الغائبين.. وعشر مرات لكلمة (أنباء) ومرة لكلمة (أنبائكم) لجمع المخاطبين ومرة لكلمة (أنبائها) لجمع غير العاقل وهي القرى.. والباقي وعدده (٥١ مرة) للمشتقات.. أما كلمة (خبر) ومشتقاتها فقد وردت في القرآن الكريم في سبع آيات فقط.

ومن استقراء تلك الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمتي (نبأ وخبر) في المفرد والجمع والمشتقات يتضح لنا أن القرآن الكريم استعمل كلمتي (النبأ والخبر) بمعنى التحدث عن الماضي، وان كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه، جريا على ما قام عليه نظمه من دقة واحكام واعجاز. فاستعمل (النبأ والأنباء) في الاخبار عن الأحداث البعيدة الغور زمانا أو مكانا، والتي لفها الزمن في أطوائه، وكذلك في الأخبار الصادقة العظيمة التي لها خطر وشأن. على حين استعمل (الخبر والأخبار) في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع، أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان[٧].

وتأكيدا لصحة ذلك، ننظر في الآيات القرآنية التي وردت فيها

---

(٧) محمد محمود حجازي - الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم. (القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) هامش ص ٢٨٩ وكذلك السيد عبد الحافظ عبد ربه - بحوث في قصص القرآن (بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٢م) ص ٤٥ وأيضا عبد الكريم الخطيب - القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) ص ٤٥

كلمتي (نبأ وخبر) في المفرد والجمع والمشتقات، نستقرىء ما تقوله في هذا الصدد.

معالم قرآنية للخبـر والأخبار

ونبدأ باستعراض الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة (خبر وأخبار) لأنها وردت في عدد قليل من الآيات. وبعدها نستعرض الآيات التي جاء فيها كلمة (نبأ وأنباء) والمشتقات، لأنها وردت في عدد كبير من الآيات كما ذكرنا.

ففيما يتعلق بكلمتي (خبر وأخبار) نجد أن كلمة (خبر) قد وردت في آيتين كريمتين **الأولى** في سورة (النمل) في قوله تعالى: ﴿ اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سآتيكم منها **بخبر** أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون﴾ (الآية ٧) **والثانية** في سورة (القصص) في قوله تعالى: ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها **بخبر** أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾ (الآية ٢٩).

وفي الآيتين قال موسى عليه السلام سآتيكم، ولعلي آتيكم منها (بخبر) ولم يقل (بنبأ)، لأنه كان يتكلم عن مشهد قائم ماثل للعيان، عندما رأى النار، بينما كان سائرا مع أهله من مدين الى مصر، وكان اذ ذاك في الوادي المقدس طوى بسيناء، وكانت ليلة باردة عاصفة مظلمة، وتوقع أن يجد عندها خبر الطريق، أو يقبس منها يستدفىء هو وأهله.. ومضى موسى عليه السلام، الى النار التي أنسها ينشد **خبرا**، فاذا هو يرجع منها بخبر عظيم.. حيث تلقى النداء الأسمى وهو الاصطفاء، الذي وراءه التكليف بحمل الرسالة الى أكبر الطغاة في الأرض في ذلك الحين[٨].

(٨) تفسير ابن كثير (بيروت - دار الأندلس - الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م).

ونلحظ من الآيتين الكريمتين أن موسى عليه السلام، لم يكن يعلم ماذا عند النار، لأنه لـو كان يعلم ما سيرجع به من الخبر العظيم لقال سآتيكم منها (بنبأ) ولكنه قال سآتيكم، ولعلي آتيكم منها (بخبر) لأنه لم يكن يعلم.

وجاءت كلمة (أخباركم) في آيتين كريمتين، **الأولى في** (سورة التوبة) في قوله تعالى: ﴿يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم..﴾ «(الآية ٩٤) **والثانية في** (سورة محمد) في قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ (الآية ٣١).

ففي الآية الأولى وردت كلمة (أخباركم) وهي أخبار من الله تعالى لرسوله ﷺ، وللمؤمنين الخلص، بما سيكون من أمر هؤلاء المتخلفين من المنافقين، بعد الرجوع من غزوة تبوك. وقد نزلت هذه الآية أثناء العودة، وقبل الوصول الى المدينة المنورة، ذلك أن الله تعالى قد كشف حقيقتهم، وما تنطوي عليه صدورهم، وخبر الله هو الحق وقوله الصدق[9]. **وهذا أمر قائم ماثل للعيان، قريب الوقوع ولذلك نجد القرآن الكريم استخدم كلمة (أخباركم) بدلا من كلمة (أنبائكم)..**

وفي الآية الثانية، جاءت كلمة (أخباركم) في اطار وعد من الله تعالى، بابتلاء الأمة الاسلامية كلها، لينكشف المجاهدون والصابرون ويتميزوا، وتصبح أخبارهم معروفة، ولا يقع الالتباس في الصفوف، ولا

جـ ٥ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ وكذلك في ظلال القرآن تأليف سيد قطب (بيروت الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) جـ ١٩ ص ٢٦٢٨ و ٢٦٢٩ وجـ ٢٠ ص ٢٦٩١ وأيضا التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي (القاهرة: الطبعة السادسة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) جـ ١٩ ص ٨٢ وجـ ٢٠ ص ٣٣.

(٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١١ ص ١٦٩٥ وكذلك تفسير ابن كثير مصدر سابق جـ ٣ ص ٤٤٢ وأيضا التفسير الواضح جـ ١١ ص ٤

يبقى مجال لخفاء أمر المنافقين أو الضعاف والجزعين. والله يعلم حقائق النفوس ومعادنها، ويطلع على خفاياها وخباياها، ويعلم ما يكون من أمرها، علمه بما هو كائن فعلا..(١٠) وواضح أن الآية تتناول الأخبار عن وضع قائم حاضر في صفوف الأمة الاسلامية ولذلك استعمل القرآن الكريم كلمة (أخباركم) التي تناسب الوضع الحاضر والمشاهد.

وجاءت كلمة (أخبارها) في آية بسورة (الزلزلة) في قوله تعالى: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ (الآية ٤) ونلحظ أن كلمة (تحدث أخبارها) قد وردت في المضارع يوم يقع هذا الزلزال، وتحدث الأرض أخبارها، وتصف حالها، وما جرى لها، وتنطق بما عمل العاملون على ظهرها. والتحديث بالأخبار انما يكون في هذا الوقت الذي تقوم فيه الساعة، ولا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان(١١).

وواضح من تلك الآيات الكريمة السابقة أن كلمة (خبر) في المفرد، وكلمة (أخبار) في الجمع، قد استعملها القرآن الكريم في الكشف عن الوقائع القريبة الوقوع، أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان عند نزول القرآن. ولأنها تناسبان المجال الذي استعملا فيه، جريا على ما قام عليه نظم القرآن الكريم من دقة واحكام واعجاز، كما سبق ذكره.

* * *

(١٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢٦ ص ٣٢٩٨ و ٣٢٩٩ وكذلك تفسير ابن كثير مصدر سابق، جـ ٦ ص ٣٢٣ وأيضا التفسير الواضح مصدر سابق جـ٢٦ ص ٣٢.

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٣٠ ص ٣٩٥٥ وكذلك تفسير ابن كثير، مصدر سابق جـ ٧ ص ٣٤٩ وأيضا التفسير الواضح، مصدر سابق جـ ٣٠ ص ٧١ وكذلك القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٤٥ و ٤٦

معالم قرآنية للنبأ

واذا نظرنا في الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة (نبأ) نجد أنها قد جاءت في خمسة عشر آية قرآنية، وجاءت كلمة (نبأه) مرة واحدة، وكلمة (نبأهم) مرة واحدة أيضا وذلك على النحو التالي:

(١) - ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك..﴾
(سورة المائدة الآية ٢٧).

(٢) - ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ (سورة الانعام الآية ٣٤).

(٣) - ﴿واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾
(سورة الأعراف الآية ١٧٥).

(٤) - ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات آتتهم رسلهم بالبينات﴾
(سورة التوبة الآية ٧٠).

(٥) - ﴿واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم..﴾
(سورة يونس الآية ٧١).

(٦) - ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود..﴾
(سورة ابراهيم الآية ٩).

(٧) - ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم﴾
(سورة الشعراء الآية ٦٩).

(٨) - ﴿نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾
(سورة القصص الآية ٣).

(٩) - ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب﴾
(سورة ص الآية ٢١).

(١٠)- ﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم﴾ (سورة التغابن الآية ٥).

والملاحظ أن كلمة (نبأ) قد جاءت في كل تلك الآيات السابقة بمعنى الخبر الصحيح الهام الذي له شأن من الفائدة والجدارة بالاهتمام، كما استعمل في الاخبار عن أحداث بعيدة، تاريخها موغل في القدم ضارب في شعاب الزمن[١٢]

١ - فهذا (نبأ ابني آدم)، والقصة معروفة، وقد فصلها القرآن الكريم في سورة (المائدة) من الآية ٢٧ حتى الآية ٣٢ وأحداث هذه القصة موغلة في القدم، لفها الزمن في أطوائه، وفيها أيضا أخبار هامة ذات شأن عظيم، حيث تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان الصارخ الذي لا مبرر له، كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة والطيبة والوداعة، وتقفهما وجها لوجه، كل منهما يتصرف وفق طبيعته. وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشر والعدوان الذي يثير الضمير والشعور بالحاجة الى شريعة نافذة بالقصاص العادل تكف النموذج الشرير المعتدي عن الاعتداء، وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الاقدام على الجريمة، فاذا ارتكبها - على الرغم من ذلك - وجد الجزاء العادل، المكافيء للفعلة المنكرة. كما تصون النموذج الطيب الخير، وتحفظ حرمة دمه. فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش، وأن تصان، وأن تأمن في ظل شريعة عادلة رادعة[١٣].

---

(١٢) تفسير المنار - تأليف السيد محمد رشيد رضا (القاهرة ١٩٧٢ م) جـ٦ ص ٢٨٢.

(١٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٦ من ص ٨٧٤ حتى ص ٨٧٨ (وانظر القصة مفصله في مختلف كتب تفسير القرآن الكريم).

٢ - وهذا (نبأ المرسلين) وفيها يذكر الله سبحانه وتعالى، رسوله ﷺ. بما وقع لاخوانه من الرسل قبله (وتاريخهم بعيد في أغوار الزمان). وما كان منهم من الصبر، والمضي في الطريق حتى جاءهم نصر الله، ليقرر أن هذه هي سنة الدعوات التي لا تبدل. وفيها أيضا تسرية ومواساة من الله تعالى لرسوله ﷺ، وترسم للدعاة الى الله طريقهم واضحا محددا، وما فيه من متاعب الطريق وعقباته، ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله في نهاية الطريق(١٤).

٣ - وهذا (نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) وهو يوضح مثلا للانحراف عن سوء الفطرة، ونقض لعهد الله المأخوذ عليها.. وبالرغم من أن هذا المثل قد حدث في الزمان البعيد، الا أن البيان القرآني المعجز قد صوره مشهدا حيا متحركا، عنيف الحركة، شاخص السمات، بارز الملامح، واضح الانفعالات. وقد ذكره القرآن بأنه (نبأ) لأنه أمر عجيب خطير الشأن، وما أكثر ما يتكرر في حياة البشر، وما أكثر الذين يعطون علم دين الله، ثم لا يهتدون به، انما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه واتباع الهوى(١٥).

٤ - وانظر الى (نبأ) **قوم نوح**، وقد غمرهم الطوفان وطواهم اليم في تيار الفناء المرهوب. **وعاد**، وقد أهلكوا بريح صرصر عاتية، **وثمود**، وقد أخذتهم الصيحة. **وقوم ابراهيم**، وقد أهلك طاغيتهم المتجبر، وأنجي ابراهيم عليه السلام. **وأصحاب مدين**، وقد

(١٤) في ظلال القرآن - مصدر سابق جـ٧ ص ١٠٧٧.
(١٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٩ ص ١٣٩٦ و ص ١٣٩٧ (وانظر تفاصيل القصة في مختلف كتب تفسير القرآن الكريم).

أصابتهم الرجفة، وخنقتهم الظلة. **والمؤتفكات**، وهم قوم لوط وقد قطع الله دابرهم الا الأقلين.. وفي هذا تقرير وتوبيخ لمن نزلت فيهم الآيات من الكفار والمنافقين، في عهد النبي ﷺ، ويذكرهم بالأقوام الذين خلوا من قبلهم، ووصلت اليهم سيرتهم، وكانوا أشد قوة، وأكثر أموالا وأولاداً منهم.. وان كثيرا ممن يبتليهم الله بالقوة، وبالنعمة، لتغشى أبصارهم وبصائرهم غشاوة، فلا يبصرون مصارع الأقوياء قبلهم، ولا يستشعرون مصير البغاة الطغاة من الغابرين.. عندئذ تحق عليهم كلمة الله، وتجري فيهم سنته، فيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وهم في نعمائهم يتقلبون[١٦].

٥ - وهذا أيضا (نبأ نوح) مع قومه، في حلقة التحدي الأخير، بعد الانذار الطويل، والتذكير الطويل، والتكذيب الطويل - والهدف هو ابراز التحدي، والاستعانة بالله وحده، ونجاة الرسول ومن معه وهم قلة، وهلاك المكذبين له وهم كثرة، فالله تعالى يقول لنبيه محمد ﷺ، أخبر كفار مكة الذين يكذبونك، ويخالفونك، بنبأ نوح مع قومه الذين كذبوه كيف أهلكهم الله ودمرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك، والدمار ما أصاب أولئك[١٧].

٦ - وهذا كذلك (نبأ) قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، من الأمم المكذبة للرسل مما لا يحصي عددهم الا الله عز وجل،

---

(١٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٠ ص ١٦٧٤ وكذلك تفسير المنار، مصدر سابق - جـ٩ ص ٤٦٤ وص ٤٦٥.

(١٧) في ظلال القرآن مصدر سابق - جـ١١ ص ١٨١٠ وكذلك تفسير ابن كثير مصدر سابق، جـ٣ ص ٥١٦.

جاءتهم رسلهم بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات، فوضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم وقالوا: انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم به وانا في شك عظيم من دعوتكم وقلق واضطراب من دينكم[١٨].

٧ - واستمع الى (نبأ ابراهيم) مع أبيه وقومه، وحواره معهم حول العقيدة، وانكار الآلهة المدعاة، كهذه الأصنام التي يعبدها المشركون في مكة، والاتجاه بالعبادة الى الله، والتذكير باليوم الآخر. وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ، أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الاخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، وذلك حتى يتبين المشركون حقيقة ما يزعمون[١٩].

٨ - واقرأ (نبأ موسى وفرعون) وهو موجه للمؤمنين لينتفعوا به، حيث يرسم لهم المنهاج، ويشق لهم الطريق.. ومعنى الآية أننا نقرأ عليك يا محمد بواسطة الروح الأمين من الأخبار الهامة عن موسى وفرعون من الحق الذي لا يأتيه الباطل، والصدق الدي لا ريب فيه ولا كذب، لقوم يصدقون بالقرآن فينتفعون ثم بدأ بذكر قصة الطاغية فرعون[٢٠].

٩ - وانظر الى (نبأ الخصم) وقد بدأ القرآن الكريم الآية باستفهام للتنبيه على علو القصد، وسمو الغرض ولفتا للنظر، وهذا النبأ هو خبر هام يتعلق بحدث قديم طواه الزمان، حيث كان داود عليه السلام النبي الملك يخصص بعض وقته للتصرف في شئون

---

(١٨) نفسير ابن كثير - مصدر سابق حـ ٤ ص ١١١ وكذلك صفوة التفاسير المجلد الناني جـ ١٣ ص ٩٢.

(١٩) في ظلال القرآن جـ ١٩ ص ٢٦٠٠ وكذلك تفسير ابن كثير - مصدر سابق جـ ٥ ص ١٨٧.

(٢٠) صفوة التفاسير المجلد الناني جـ ٢٠ ص ٤٢٤.

الملك، وللقضاء بين الناس، ويخصص البعض الآخر للخلوة، والعبادة، وترتيل أناشيده تسبيحا لله في المحراب، وكان اذا دخل المحراب للعبادة والخلوة، لم يدخل اليه أحد حتى يخرج هو للناس. وفي ذات يوم فوجىء بشخصين يتسوران المحراب المغلق عليه ففزع منهم[٢١].

- وهذا أيضا (نبأ الذين كفروا من قبل) والخطاب هنا للمشركين - غالبا - وهو تذكير لهم بعاقبة المكذبين، وتحذير لهم من مثل هذه العاقبة. والاستفهام قد يكون لانكار حالهم بعد ما جاءهم. والمعنى ألم يأتكم يا معشر قريش خبر كفار الأمم الماضية، وما حل بهم من العذاب والنكال، فذاقوا العقوبة الوخيمة على كفرهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد موجع[٢٢].

ويوجد بعد ذلك خمس آيات قرآنية وردت فيها كلمة (نبأ) أيضا، ولكنها لا تتعلق بأحداث ماضية طواها الزمان، وانما تحمل معنى الخبر الهام ذو الفائدة العظيمة.. وهي على النحو التالي:

(*) قال تعالى: ﴿لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾ (سورة الأنعام الآية ٦٧) فالنبأ هنا هو الخبر الذي له شأن يهتم به، والمعنى أن لكل شيء ينبأ عنه مستقر تظهر فيه حقيقته، ويتميز حقه من باطله، فلا يبقى مجال للاختلاف فيه، وسوف تعلمون مستقر ما أنبأ به القرآن الذي كذبتم به من وعد ووعيد[٢٣].

---

(٢١) التفسير الواضح - مصدر سابق جـ٢٣ ص ٥٢ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق جـ٢٣ ص ٣٠١٨.

(٢٢) في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ٢٨ ص ٣٥٨٦ وكذلك صفوة التفاسير - مصدر سابق - المجلد الثالث جـ٢٨ ص ٣٩٢.

(٢٣) تفسير المنار - مصدر سابق - جـ٧ ص ٤١٨.

(★) وقال تعالى: ﴿فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ (سورة النمل الآية ٢٢)

وهذا يتعلق بقصة سليمان عليه السلام مع الهدهد، ونجد أن هذا الهدهد يعرف حزم الملك وشدته، لذلك يبدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته، وتضمن اصغاء الملك له... فأي ملك لا يستمع الى أحد رعاياه يقول له إنني اطلعت على مالم تطلع عليه أنت ولا جنودك، «وجئتك من سبأ بنبأ يقين»؟! فاذا ضمن اصغاء الملك بعد هذه المفاجأة، أخذ في تفصيل النبأ اليقين الحق الصادق الذي جاء به من سبأ. وسبأ هم حمير وهم ملوك اليمن. ومملكة سبأ تقع في جنوب الجزيرة العربية باليمن[٢٤].

(★) وقال تعالى: ﴿قل هو نبأ عظيم. أنتم عنه معرضون﴾ (سورة ص الآيتان ٦٧ - ٦٨) أي قل لهم يا محمد: ان هذا القرآن الذي جئتكم به هو نبأ هام وأمر عظيم الشأن، أنتم عنه غافلون لا تلتفتون اليه، ولا تعلمون قدره[٢٥].

(★) وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة...﴾ (سورة الحجرات الآية ٦).

لقد أدب الله عباده المؤمنين بأدب نافع لهم في دينهم، ودنياهم. وذلك أنه اذا جاءهم رجل فاسق - غير موثوق بصدقه وعدالته - بخبر من الأخبار، لا يصدقونه بادىء ذي بدء حتى

---

(٢٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٩ ص ٢٦٣٨ وكذلك تفسير ابن كثير مصدر سابق جـ٥ ص ٢٢٩.

(٢٥) صفوة التفاسير - المجلد الثالث جـ٢٣ ص ٦٤ وص ٦٥.

يتثبتوا، كراهة أن يصيبوا بأذى قوما هم جاهلون حالهم، فيندموا على ما فرط منهم. والنبأ هنا حول حدث خطير وقع من الوليد عقبة بن أبي معيط، الذي كان قد بعثه رسول الله ﷺ الى بني المصطلق ليأخذ الصدقات فلما أتاهم الخبر فرحوا به وخرجوا يستقبلونه، فحسب الوليد أنهم جاءوا لقتله، فرجع قبل أن يدركوه وأخبر رسول الله ﷺ أنهم منعوا الزكاة. فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا. وبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم، جاءه الوفد وأخبروهم بحقيقة الأمر، فأنزل الله عذرهم في الكتاب[٢٦].

(★) وقال تعالى: ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾

(سورة النبأ الآيتان ١ - ٢)

لم يحدد ما يتساءلون عنه بلفظه، وانما ذكره بوصفه، (النبأ العظيم) استطرادا في أسلوب التعجب والتفخيم والتضخيم. وكان الخلاف على يوم البعث ونبأ القيامة، بين الذين آمنوا والذين كفروا بوقوعه، أما التساؤل فكان من الكفار وحدهم. و﴿عم يتساءلون﴾ تفخيم بالابهام، يعني عن أي شيء يتساءلون؟ وهذا التفخيم بالابهام دلالة على تعظيم المسئول عنه. وحين يعظم الحق تبارك وتعالى المسئول عنه، دلالة على أن ذلك أمر عظيم حتى يقول الحق عنه انه عظيم، وتعظيمه على قدر علمه سبحانه وتعالى. ونحن نعلم - كما سبق ذكره - أن (النبأ) ليس مطلق خبر، وانما هو الخبر الخطير الشأن الذي يتعلق بأمر عظيم. ولا

---

(٢٦) أحمد مصطفى المراغى - تفسر المراعى (القاهره - الطبعة النالنة ١٩٧٤م) حـ ٢٦ ص١٢٦ و ص١٢٧.

شك أن غايات التدين كلها انما تؤول الى معرفة سر ذلك اليوم، لأنه الحصيلة، ولأنه الحصاد الذي سيأتي في نهاية الدنيا، ليحاسب فيه كل انسان عما قدم ان خيرا فخير، وان شراً فشر، فلا بد أن يكون أعظم حدث يتعلق بالانسان[٢٧].

ثم هذه كلمة (نبأه) وردت في آية واحدة وهي بمعنى الخبر العظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (سورة ص الآية ٨٨) وانه للنبأ العظيم الذي لا يلقون بالهم اليه اليوم، وليعلمن نبأه يوم الوقت المعلوم، عندما يحق وعد الله اليقين[٢٨].

ووردت كلمة (نبأهم) بمعنى الخبر العظيم أيضا، مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ (سورة الكهف الآية ١٣) أي نحن نقص عليك يا محمد خبر هؤلاء الفتية العجيب على وجه الصدق، دون زيادة ولا نقصان، فهم جماعة من الشبان آمنوا بالله، فثبتناهم على الدين، وزدناهم يقينا[٢٩].

* * *

معالم قرآنية للأنباء

وبعد أن انتهينا من استعراض ما يتعلق بكلمة (نبأ)، نبدأ الآن في استعراض ما يخص كلمة (أنباء) وهي جمع (نبأ) وقد وردت في عشر آيات قرآنية.. ووردت كلمة (أنبائكم) في آية واحدة، وكلمة (أنبائها) في آية واحدة ايضا.. وهي كما يلي:

---

(٢٧) في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ ٣٠ ص ٣٨٠٣ وكذلك تفسير سورة النبأ لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي - وهي محاضرة ألقاها في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.. مسجلة ومحفوظة بالجامعة.

(٢٨) في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ٢٣ ص ٣٠٢٩.

(٢٩) صفوة التفاسير - المجلد الثاني - جـ ١٥ ص ١٨٤.

(١) قال تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون﴾ (سورة آل عمران الآية ٤٤)

ان هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من أخبار امرأة عمران، وابنتها مريم البتول، وزكريا ويحيى، انما هو من الأنباء المغيبة، والأخبار الهامة العظيمة الشأن التي أوحينا بها اليك، وما كنت تعلمها من قبل. وباقي الآية اشارة الى ما كان من تسابق سدنة الهيكل، الى كفالة مريم حين جاءت بها أمها وليدة الى الهيكل، وفاء لنذرها وعهدها مع ربها. وكل ذلك من الغيب الذي وقع في الزمن الماضي السحيق والذي لم يكن الرسول ﷺ حاضره، ولم يبلغ الى علمه[٣٠].

(٢) وقال تعالى: ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ (سورة الأنعام الآية ٥)

أي فليرتقبوا اذن أن يأتيهم الخبر الصادق اليقين، ويحل بهم مصداق الأخبار الهامة العظيمة الشأن، عما كانوا يستهزئون به من آيات القرآن الكريم. ويتركهم أمام هذا التهديد المجمل، الذي لا يعرفون نوعه ولا موعده.. يتركهم يتوقعون في كل لحظة أن يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، حيث ينكشف لهم الحق أمام العذاب المرتقب المهول[٣١].

(٣) وقال تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها

---

(٣٠) تفسير المنار جـ٣ ص ٢٤٧ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق جـ٣ ص ٣٩٦ وأيضا صفوة التفاسير المجلد الأول جـ٣ ص ٢٠٢.

(٣١) تفسير المنار - مصدر سابق جـ٧ ص٢٥٣ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٧ ص١٠٣٧.

أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين﴾
(سورة هود الآية ٤٩).

والاشارة الى قصة نوح التي فصلت قبل ذلك تفصيلا بديعا، وهي من أخبار الغيب الماضية الهامة. وهو استدلال بقصة نوح على رسالة النبي ﷺ، ووجه الدلالة أنه ما كان يعلمها هو ولا قومه من قبل انزالها عليه في هذا الوحي الالهي، ولو كان أحد من قومه يعلمها قبل ذلك لاحتجوا به عليه، واذن لامتنع ايمان من لم يكن قد آمن منهم، ولارتد من كان قد آمن[٣٢].

(٤) وقال تعالى: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ (سورة هود الآية ١٠٠)

ان ذلك الذي قصصناه عليك أيها الرسول، بعض أنباء الأمم، وأهم أخبارها، وأطوار اجتماعها في القرى والمدائن من قوم نوح ومن بعدهم، ومصارع القوم معروضة، ومشاهدهم تزحم النفس والخيال، منهم الغارقون في الطوفان، ومنهم المأخوذون بالعاصفة المدمرة، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفت به وبداره الأرض، ومنهم من يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار. ومن تلك القرى ما له بقايا ماثلة، وآثار باقية كالزرع القائم في الأرض، كبقايا عاد في الأحقاف، وبقايا ثمود في الحجر، ومنها ما عفا ودرست آثاره، كالزرع المحصود الذي لم يبق منه بقية في الأرض، كقرى قوم نوح أو قوم لوط[٣٣].

---

(٣٢) تفسير المنار - مصدر سابق جـ١٢ ص٧٤ وكذلك في ظلال القران، مصدر سابق. جـ١٢ ص١٨٨٠.

(٣٣) تفسير المنار، مصدر سابق جـ١٢ ص١٢٧ وكذلك في ظلال القران، مصدر سابق. جـ١٢ ص١٩٢٧.

(٥) وقوله تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾

(سورة هود الآية ١٢٠)

وهذه الأنباء تشمل أنواع الأخبار المهمة الخطيرة الشأن، ذات الفائدة العظيمة، من قصص الرسل الصحيحة في صورها الكلامية، وأساليبها البيانية، وأنواع فوائدها العلمية، وعبرها ومواعظها النفسية، دون الأمور العادية المستغنى عن ذكرها.. ونقص عليك يا محمد تلك القصص لنقوي به فؤادك، ونجعله راسخا في ثباته كالجبل، في القيام بأعباء الرسالة ونشر الدعوة، بما في هذه القصص البعيدة الوقوع زمانا ومكانا، من زيادة العلم بسنن الله في الأقوام، وما قاساه رسلهم من الايذاء، فصبروا صبر الكرام، وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ، وتسرية وتثبيت من ربه، وهو الثابت الصابر المطمئن الى ربه[٣٤].

(٦) وقوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾. (سورة يوسف الآية ١٠٢)

تلك الأخبار الهامة الخطيرة الشأن، التي وقعت أحداثها من الزمن البعيد الماضي، وذكرها السياق القرآني، هي من الغيب الذي لا تعلمه، ولكننا نوحيها اليك، وآية وحيها انها كانت غيبا بالقياس اليك. فانك ما كنت معهم اذ اجتمعوا واتفق رأيهم وهم يمكرون ذلك المكر الذي تحدثت عنه السورة (سورة يوسف) في مواضعه: وهم يمكرون بيوسف، وهم يمكرون بأبيهم، وهم يدبرون أمرهم بعد أخذ أخيه وقد خلصوا نجيا، وهو من

---

(٣٤) تفسير المنار - مصدر سابق - جـ١٢ ص١٦٢ وكذلك في ظلال القرآن. مصدر سابق. جـ١٢ ص١٩٣٤.

المكر بمعنى التدبر. وكذلك ما كان هناك من مكر بيوسف من ناحية النسوة، ومن ناحية رجال الحاشية، وهم يودعونه السجن.. كل أولئك مكر ما كنت حاضره لتحكي عنه، انما هو الوحي الذي سيقت السورة لتثبته من بين ما تثبت من قضايا هذه العقيدة، وهذا الدين[٣٥].

(٧) وقوله تعالى: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ (سورة طه الآية ٩٩)

أي كما قصصنا عليك يا محمد (في الآيات السابقة) خبر موسى مع فرعون وما فيه من الأنباء الغريبة، كذلك نقص عليك الأخبار الهامة للأمم المتقدمين[٣٦].

(٨) وقوله تعالى: ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ (سورة الشعراء الآية ٦)

وهو تهديد مضمر مجمل مهول، وفي التعبير سخرية تناسب استهزاءهم بالوعيد. وستأتيهم أخبار العذاب الذي يستهزئون به وهم لن يتلقوا أخبارا، انما سيذوقون العذاب ذاته، ويصبحون هم أخبارا فيه، يتناقل الناس ما حل بهم منه[٣٧].

(٩) وقوله تعالى: ﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾ (سورة القصص الآية ٦٦)

والتعبير يلقي ظل العمى على المشهد والحركة، وكأنما الأنباء عمياء لا تصل اليهم، وهم لا يعلمون شيئا عن أي شيء، ولا

---

(٣٥) في ظلال القرآن - مصدر سابق، جـ١٣ ص ٢٠٣١.
(٣٦) صفوة التفاسير - مصدر سابق، المجلد الثاني جـ١٦ ص ٢٤٧.
(٣٧) في ظلال القرآن جـ١٩ ص ٢٥٨٥.

يملكون سؤالا ولا جوابا، وهم في ذهولهم صامتون ساكتون[٣٨].

(١٠) وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم من **الأنباء** ما فيه مزدجر﴾
(سورة القمر الاية ٤)

وهي أنباء الآيات الكونية التي صرفها الله لهم في هذا القرآن، وأنباء المكذبين قبلهم ومصارعهم وأنباء الآخرة التي صورها القرآن لهم، وكان في هذا كله زاجر ورادع لمن يزدجر ويرتدع، ولكن القلوب المطموسة لا تتفتح لرؤية الآيات، والانتفاع بالأنباء[٣٩].

(١١) وقد جاءت كلمة (أنبائكم) في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿وان يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم﴾ (سورة الأحزاب الآية ٢٠)

أي وإن يأت الأحزاب، يود هؤلاء الجبناء لو أنهم كانوا من أعراب البادية، يسألون عما يجري لأهل المدينة، سؤال الغريب عن الغريب، وذلك مبالغة في البعد والانفصال والنجاة من الأهوال. يتمنون هذه الأمنيات المضحكة مع أنهم قاعدون بعيدون عن المعركة لا يتعرضون لها مباشرة، انما هو الخوف والفزع والهلع[٤٠].

(١٢) وجاءت كلمة (أنبائها) في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿تلك القرى نقص عليك من **أنبائها** ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾
(سورة الأعراف الآية ١٠١)

---

(٣٨) في ظلال القرآن - مصدر سابق، جـ٢٠ ص ٢٧٠٦.
(٣٩) في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ٢٧ ص ٣٤٢٨ و ص ٣٤٢٩.
(٤٠) في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ٢١ ص ٢٨٤١.

أي تلك القرى المذكورة (في الآيات السابقة) نقص عليك يا محمد بعض أخبارها الخطيرة الشأن، وما حصل لأهلها من الخسف، والرجفة، والرجم بالحجارة، ليعتبر بذلك من يسمع، وما حدث أهول وأفظع، فهو قصص من عند الله، ما كان للرسول ﷺ، به من علم، انما هو وحي الله وتعليمه[41].

* * *

معالم قرآنية لمشتقات (نبأ)

ومن مشتقات كلمة (نبأ) قوله تعالى: ﴿واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا فلما **نبأت** به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما **نبأها** به قالت من **أنبأك** هذا قال **نبأني** العليم الخبير﴾ (سورة التحريم الآية ٣).

وواضح أن الآية تدور حول أمر حاضر قريب الحدوث وقت نزولها، ومع هذا تضمنت كلمات (نبأت - نبأها - أنبأك - نبأني) وهي من مشتقات كلمة (نبأ) بدلا من كلمات (أخبرت - أخبرها - أخبرك - أخبرني) وهي من مشتقات كلمة (خبر) ذلك لأن هذه الآية تناولت أمرا عظيما على جانب من الخطورة والأهمية، ألا وهو (افشاء السر) الذي يكون بين الزوجين، والذي يهدد الحياة الزوجية. وضرب المثل على ذلك برسول الله ﷺ، ليبين خطورة الأمر، حين أسر عليه الصلاة والسلام الى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وأرضاها، بسر واستكتمها اياه، فأفشته الى السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، حتى شاع الأمر وذاع، مما أغضب رسول الله ﷺ، حتى هم

---

(٤١) صفوة التفاسير - مصدر سابق - المجلد الأول جـ ٩ ص ٤٦١ وكذلك في ظلال القرآن - مصدر سابق جـ ٩ ص ١٣٤١.

بتطليق أزواجه. وحملت السورة الكريمة، حملة شديدة عنيفة، على أزواج النبي ﷺ، حين حدث ما حدث بينهن من التنافس وغيرة بعضهن من بعض لأمور يسيرة، وتوعدتهن بابدال الله تعالى لرسوله ﷺ، نساء خيرا منهن، انتصارا لرسول الله ﷺ[٤٢].

ومن المشتقات أيضا وردت كلمة (أنبئكم) ثمان مرات[٤٣].. ومنها قوله تعالى: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾

(سورة آل عمران الآية ٤٩).

والسياق القرآني يتحدث عن حدث هام وقع في الزمن الماضي البعيد ولذلك استخدم كلمة مشتقة من (نبأ) حيث يخبر القرآن عن المعجزة الرابعة لسيدنا عيسى عليه السلام، لأنه كان يخبر الذين أرسل اليهم من بني اسرائيل بالمغيبات من أحوالهم التي لا يشكون فيها فكان يخبر الشخص بما أكل وما ادخر في بيته[٤٤].

كذلك من المشتقات كلمة (ينبئكم) وقد وردت تسع مرات[٤٥].. وكلمة (ينبئهم) وقد وردت ست مرات[٤٦].. والكلمة الأولى موجهة الى المخاطب، والكلمة الثانية موجهة الى الغائب، وهما تتصلان في السياق القرآني دائما بلفظ الجلالة (الله) أو (ربكم) أو (ربهم) أو (عالم الغيب والشهادة).. وعلى ذلك لا بد وأن يكون الاخبار منه تعالى عن شيء

---

(٤٢) صفوه التفاسير – مصدر سابق – المجلد الثالث جـ٢٨ ص ٤٠٥.

(٤٣) والآيات الثابتة هي (آل عمران ١٥ و ٤٩ – المائدة ٦٠ – يوسف ٤٥ – الحج ٧٢ – الشعراء ٢٢١ – العنكبوت ٨ – لقمان ١٥).

(٤٤) صفوة التفاسير – مصدر سابق – المجلد الأول جـ٣ ص ٢٠٣.

(٤٥) وتلك الآيات التسعة هي: (المائده ٤٨ و ١٠٥ – الأنعام ٦٠ و ١٦٤ – التوبة ٩٤ و ١٠٥ – سبأ ٧ – الزمر ٧ – الجمعة ٨).

(٤٦) وتلك الآيات الستة هي: (المائدة ١٤ – الأنعام ١٠٨ و ١٥٩ – والنور ٦٤ – والمجادلة ٦ و ٧).

عظيم غاية في الخطورة والأهمية، خاصة وأن ذلك سيكون يوم القيامة، يوم الرجوع الى الله. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلمون﴾ (سورة المائدة الآية ٤٨)

أي أن معادكم ومصيركم أيها الناس الى الله يوم القيامة، فيخبركم بما اختلفتم فيه من أمر الدين ويجازيكم بأعمالكم[٤٧].

★ ★ ★

القصة والنبأ والخبر[*]

ويرتبط بموضوع (النبأ والخبر) أيضا موضوع القصة والقصص.. فالقصة هي الخبر.. والقصص (بالفتح) هي الخبر المقصوص.. وقيل القاص الذي يقص القصص، لاتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا[٤٨].

ومدلول القصة في اللغة، يفيد أنها كشف عن آثار مضت، وتنقيب عن أحداث نسيها الناس، أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذلك هو اعادة عرضها من جديد لتذكر الناس بها، ولفتهم اليها لتكون للعبرة والعظة. **والقصة بهذا المعنى تدخل في مدلول كلمتي الخبر والنبأ**[٤٩].

وللقصة في القرآن الكريم مفهوم، يحدده ما ورد فيه من أنباء لأحداث ماضية، سيقت على وجه العبرة للمصدقين، والردع والزجر للمكذبين، فهي توحه الأولين الى الثبات على الحق، والاستزادة من

---

(٤٧) صفوه التفاسير - مصدر سابق - المجلد الأول جـ٦ ص ٣٤٧.

(*) سنعود ان شاء الله الى الحديث عن القصة في القرآن في مواضع مختلفة بالباب الثالث عندما نتحدث عن الموضوع الصحفي.

(٤٨) راجع في ذلك لسان العرب (مصدر سابق) المجلد السابع ص ٧٤ و ص ٧٥ وكذلك تاج العروس (مصدر سابق) المجلد الرابع ص ٤٢١ و ٤٢٢ وأيضا المعجم الوسيط (القاهره ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) الطبعة الثانية - الجزء الثاني ص ٧٤٠.

(٤٩) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - مصدر سابق - هامش ص ٢٨٩.

عمل البر والخير.. كما تصرف المتهيء من المكذبين عن الباطل والشرك بأنواعه[٥٠].

ولقد سمى القرآن الكريم الأنباء الماضية عبر الأمم السابقة قصصا. والقصص القرآني ينبئنا عن أخبار الأنبياء، والرسل، وما حصل لهم، وكيف قاموا بدعوتهم؟. وكيف علموا أزمامهم؟ وما انتهى اليه أمرهم؟. وعلى العموم فهي علاج للقلوب، ودواء للنفوس، لما فيها من أخبار الأمم الماضية، وما حل بالعاصين من عاجل بأس الله[٥١].

ومن هنا كانت تسمية الأنباء التي جاء بها القرآن قصصا، مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ[٥٢].. وكثيرا ما يقترن ذكر القصص في القرآن الكريم بالنبأ والأنباء. كقوله تعالى:

() ﴿نحن **نقص** عليك **نبأهم** بالحق﴾ (سورة الكهف الآية ١٣)

() ﴿ذلك من **أنباء** القرى **نقصه** عليك..﴾

(سورة هود الآية ١٠٠)

() ﴿وكلا **نقص** عليك من **أنباء** الرسل..﴾

(سورة هود الآية ١٢٠)

() ﴿كذلك **نقص** عليك من **أنباء** ماقد سبق﴾ (سورة طه الآية ٩٩)

() ﴿تلك القرى **نقص** عليك من **أنبائها**﴾ (سورة الأعراف الآية ١٠١)

ومن ذلك يلاحظ أن القصص القرآني، انما هو من قبيل الأنباء، أي الأخبار التي بعد الزمن بها، واندثرت، أو كادت تندثر، دون أن

---

(٥٠) بحوث في قصص القرآن، مصدر سابق، ص٤٤.

(٥١) التفسير الواضح، مصدر سابق، جـ١٢ ص ٢٠.

(٥٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق، ص ٤٥.

يكون فيه شيء من واقع الحال، أو متوقعات المستقبل، ولهذا سماها القرآن من أنباء الغيب[٥٣].

كما يلاحظ أن القصص القرآن في نظمه ومادته لم يتضمن تصوير الأحداث الدائرة في محيط الدعوة، ولا تصوير الأحداث المستقبلة التي تتنبأ بانطلاق هذه الدعوة وظروفها عبر المستقبل.. لأن القرآن في نظمه وفي منهجه، وفي أغراضه، قد تكفل بكل هذه الأحداث الدائرة والمستقبلة، بعيدا عن الأسلوب القصصي ونهجه[٥٤]، الذي يرتبط بالأخبار التي يعد بها الزمن كما سبق ذكره.. فقد جاء القرآن الكريم بصور كثيرة من أحداث الوقائع الدائرة وقت نزوله، وأبان عن وجه الحق فيها، كما نرى ذلك في (حديث الإفك) وفي غزوات: بدر، وأُحد، وحنين، وفي بيعة الرضوان، وصلح الحديبية، وغير ذلك مما جاء به القرآن في أحوال وشئون ملابسة لنزوله[٥٥].

كما أخبر سبحانه عن فتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجا. وأخبر عن المعارك التي سيتمخض عنها المستقبل، والتي ستدور بين الفرس والروم، والتي ستكون الغلبة فيها أخيرا للروم[٥٦]. فقال تعالى: ﴿ألم. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

(سورة الروم الآيات ١ - ٦)

---

(٥٣) نفس المصدر السابق ص ٤٦.
(٥٤) بحوث في قصص القرآن، مصدر سابق، ص ٤٥.
(٥٥) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق، ص ٤٦.
(٥٦) بحوث في قصص القرآن، مصدر سابق، ص ٤٦.

وكل ذلك كما قلنا، لأن اشتقاق القصة يعني البحث عن الآثار، وتتبع الأخبار، ولا يكون ذلك الا للشيء السحيق العميق الذي أوغل في أطواء الماضي. والقرآن قد أطلق لفظ القصص على ما حدث من أنباء القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، بين مواكب النور وجحافل الظلام. وكل هذا القصص القرآني، قصص صادق، واقعي مصفى من كل شائبة من شائبات الخيال، فكان مجيئه على تلك الصورة ملائماً للبيئة التي نزل فيها، وملائما أيضا للحياة كلها في أزمنتها وأمكنتها، اذ كانت مواده كلها من عيون الحقيقة، ومن ينابيعها الصافية التي لا تتغير على الزمن، ولا تنزل عن مكانها من المعقول على اختلاف منازلها، وتفاوت حظوظها من العلم والمعرفة[٥٧].

فالقصص القرآني يعتمد على الصدق الخالص، والحقائق المصفاة الناصعة، التي لا تشوبها شائبة من الأوهام الزائفة، أو الخيال الكاذب، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.. وهو بذلك يرتبط تمام الارتباط بكلمة (النبأ) الذي يستعمل في الأخبار عن الأحداث البعيدة زماناً ومكانا، والتي لها خطر وشأن عظيم، وتعتمد على الحق، والصدق، ولا تشوبه شائبة من وهم أو خيال كاذب.

* * *

نخلص مما سبق الى حقيقة هامة، يجب علينا أن نسترشد بها من (المعالم القرآنية) التي عرضناها في مجال (النبأ.. والخبر) وهي ضرورة الحرص والدقة عند استعمال كلمتي (نبأ.. وخبر)، وأنه يجب أن نستخدم كلمة (نبأ) في المفرد والجمع والمشتقات، عندما نتعرض لخبر عظيم أو أحداث هامة، شريطة أن تكون لها خطرها وشأنها، وتعتمد

---

(٥٧) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق، ص ٣٧ - ٣٨ - ٤٠.

على الحقائق الصادقة المؤكدة، المستقاة من مصادرها العليمة النزيهة، التي تستهدف الصالح العام.. وأن نستعمل كلمة (خبر) في المفرد والجمع والمشتقات عند عرض الأخبار العادية، والأقل أهمية، وشأنا.. وهذا يدعونا الى التعرض للمعالم القرآنية الخاصة بالنبأ اليقين، والخبر الهام الصادق الموضوعي المؤكد.. وهو ما نتحدث عنه في الفصل التالي.

* * *

الفصل الثاني

النبأ اليقين

CONFIRMED NEWS

بعد أن عرفنا الفرق بين كلمة (نبأ) وكلمة (خبر)، والاستعمال الدقيق لكل من الكلمتين، وفق ما تضمنته وأرشدت اليه (المعام القرآنية) في الآيات التي سبق دراستها في الفصل السابق.. نجد أنه من المناسب، الآن، لاستكمال ملامح الصورة، أن نقوم بدراسة (المعالم القرآنية) التي يجب أن يسترشد الصحفيون ورجال الاعلام بهديها، للقيام بالمهمة الاعلامية على خير وجه، وتزويد الناس بالأنباء والأخبار الصحيحة الدقيقة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، التي تقوم على الوضوح، والصراحة. والمتثبت من صحتها وصدقها وموضوعيتها بالنسبة للمصدر الدي تنبع منه، أو تنسب اليه، فانه «بقدر ما في الاعلام من حقائق صحيحة، ومعلومات دقيقة منبثقة من مصادر أمينة بقدر ما يكون هذا الاعلام سليما وقويا[1] ». وينتج عنه رأي عام راشد مستنير، يعيش في أمن وسلام وطمأنينة.

وفي هذا المجال سنتناول (المعالم القرآنية) التي توجهنا الى تحري (النبأ اليقين) والخبر الصادق الموضوعي الذي يستهدف المصلحة العامة.. واستقائها من المصادر الصحيحة الأمينة، مع ضرورة التثبت من صحتها وأهميتها وحاجة الناس اليها.

ان عملية جمع الأنباء والأخبار ونشرها تتصل بأهم الغرائز البشرية،

---

(١) ابراهيم امام (دكتور) - الاعلام والاتصال بالجماهير - (القاهرة - ١٩٧٥ م الطبعة الثانية) ص ١١ - ١٢.

وأظهر صفة من صفات الانسان الاجتماعية، وهي حب الاستطلاع لمعرفة الأخبار، والاطمئنان الى البيئة داخليا وخارجيا. وتساعد الفرد على التكيف مع البيئة، والانسجام مع غيره من الناس الذين يعيشون معه. بل وحتى الكائنات الحية - في أبسط صورها - تعنى بجمع الأخبار، وتعرف فنون الاستطلاع للبحث عن الطعام، وتبلغ عن الأخطار المحدقة بالجماعة، حتى يستطيع الجميع أن يحافظوا على حياتهم، ويتجنبوا الأخطار التي تهددهم[٢].

ومن (المعالم القرآنية) الهامة في هذا المجال قوله تعالى: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون. حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾. (سورة النمل آية ١٧ - ١٨).

فهذا موكب نبي الله سليمان عليه السلام.. يتألف من الجن، والانس، والطير، مر على وادي النمل.. فقالت نملة لها صفة الاشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي، ولها وظيفة تحذير جماعة النمل وابلاغها بالأخطار المحدقة بها والتي تتهددها(*)، وطالبتها بالدخول الى مساكنها حتى لا يحطمها سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، وبذلك تتجنب جماعة النمل تلك الأخطار، وتحافظ على حياتها .

وفي هذه الآية تنبيه الى أن هذه النملة قد قامت بوظيفة اخبارية، تستهدف مصلحة جماعتها وتجنبها الأخطار التي تتهددها.. وهذا معلم

---

(٢) ابراهيم امام (دكتور) - وكالات الأنباء - (القاهرة ١٩٧٢ م) ص ٧ و ٨.

(*) دلت أبحاث الباحثين في معيشة النمل على ما لها من عجائب في معيشتها وتدبير شئوها. فانها تتحد القرى في باطن الأرض، وتبني بيوتها أروقة ودهاليز وعرفات ذات طبقات، وتملؤها بالحبوب والقوت للشتاء.. ومملكة النمل دقيقة التنظيم، وتتنوع فيها الوظائف، وتؤدي بانتظام عجيب.

قرآني واضح ، يجب أن يسترشد به رجل الاعلام الأمين ، في الحرص على مصلحة الأمة التي ينتسب اليها ، وأن يكون من مهامه تنبيه قومه الى ما يتهددهم من أخطار وأضرار ، ويوضح لهم كيفية تجنبها ، حرصا على حياتهم في أمن وسلام ، مثلما فعلت تلك النملة مع جماعتها ، وقيامها بوظيفتها خير قيام ، لتحذيرها وتنبيهها لاتخاذ الحيطة والحذر ، والعيش في سلام وأمن.

ومثل هذا أيضا ، المعلم القرآني الذي أجراه الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد ، وقصه القرآن في قوله تعالى:

﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. لأعذبنه عذابا شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين. فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين. اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون. الله لا اله إلا هو رب العرش العظيم﴾. (سورة النمل الآيات ٢٠ - ٢٦)

فبعد أن ذكر الله تعالى، في الايات السابقة لتلك الآيات، أنه سخر لسليمان الجن والأنس والطير، وجعلهم جنوداً له، ذكر هنا أن سليمان احتاج الى جندي من جنوده، وهو الهدهد ، فلم يجده ، فتوعده بالعذاب أو القتل،الا اذا أبدى له عذرا يبرئه[٣].

ويحضر الهدهد الذي يعرف حزم الملك وشدته ، ولذلك يبدأ كلامه

---

(٣) أحمد مصطفى المراغي - تفسير المراغي (القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) جـ ١٩ ص ١٣٠.

بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته، وتضمن اصغاء نبي الله له، واستمالة قلبه الى قبول عذره، ولبيان خطر ما شغله ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ فاذا ضمن اصغاء الملك بعد هذه المفاجأة، أخذ في تفصيل (النبأ اليقين) الصادق الذي جاء به من مملكة سبأ. فذكر أنه وجدهم تحكمهم امرأة(*). أوتيت من الثراء وأبهة الملك، وما يلزم ذلك من عتاد الحرب والسلاح وآلات القتال الشيء الكثير، ولها عرش عظيم تجلس عليه في قصر فخم رفيع البناء(**)، وبعد أن بين شئونهم الدنيوية، ذكر معتقداتهم الدينية، حيث يعبدون الشمس من دون الله رب العالمين[٤].

ونجد أنفسنا أمام هدهد عجيب، صاحب ادراك، وذكاء، وايمان، وبراعة في عرض النبأ، ويقظة الى طبيعة موقفه[٥].. فهو هنا يذكر الجانب الأهم والأبرز في النبأ، وهو أن هؤلاء القوم ﴿يسجدون للشمس من دون الله﴾.. فالهدهد يعرف أن نبي الله سليمان عليه السلام، يدعو الى عبادة الله سبحانه وتعالى، بينما هؤلاء القوم الذين لم يحط بهم سليمان عليه السلام، قد أضلهم الشيطان، وزين لهم أعمالهم فهم لا يهتدون الى عبادة الله العليم الخبير.

(*) هي بلقيس بنت شراحبل بن مالك بن الريان، وكان أبوها من قبلها ملكا جليل القدر واسع الملك. وسبأ هم حِمْيَرْ وهم ملوك اليمن. وتقع مملكة سبأ في جنوب الجزيرة باليمن (أنظر تفسير ابن كثير - مصدر سابق جـ٥ ص ٢٢٩).

(**) قال علماء التاريخ انه كان في هذا القصر ٣٦٠ طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه، وقد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحا ومساء. (أنظر تفسير ابن كثير - مصدر سابق-جـ٥ - ص ٢٣٠).

(٤) تفسير ابن كثير - مصدر سابق، جـ٥ ص ٢٣٠ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٩ ص ٢٦٣٨ وأيضا تفسير المراغي، مصدر سابق جـ١٩ ص ١٣١ - ١٣٢.

(٥) في ظلال القرآن - مصدر سابق جـ١٩ ص ٢٦٣٩.

وهنا نلحظ أن الهدهد، قد أتى بالنبأ اليقين المؤكد الحقيقي، الذي يعلم أن سليمان عليه السلام، سيهتم به أشد الاهتمام، ويلتفت اليه، لصلته الوثيقة برسالته السماوية، والنبوة المبعوث بها، ويدخل في اطار اهتمامه المباشر بدعوة الناس الى عبادة الله وحده.

والصحفي (ورجل الاعلام بصفة عامة) مطالب أن يقتدي بهذا الهدهد الموهوب، الذي ظهر ادراكه في مستوى يعادل مستوى العقلاء، الأذكياء الأتقياء من الناس، ويعمل على استقاء الأنباء اليقينية المؤكدة التي تهم الناس وتجذبهم الى قراءتها والاستفادة منها، وأن يتحرى المصادر الأمينة يستقي منها الأخبار والأنباء ليطمئن الى صدقها وصحتها، وعدم نشر الأخبار الغامضة أو التي لا تهم الناس ولا تفيدهم.. وأن يكون أيضا بارعا في عرض مادته الصحفية، فيبرز ما يستحق منها الابراز ويقدمه الى القراء بصورة سهلة الادراك والفهم مما يجذبهم الى القراءة والاستفادة مما يقدم اليهم، مراعيا في ذلك تجنب الألفاظ النابية أو الجارحة أو التي تخدش الحياء.. الخ.

التأكد من صحة الأنباء

ونعود الى قصة (الهدهد الصحفي الموهوب) فنجد أن نبي الله سليمان عليه السلام، لم يتسرع في تصديق الهدهد أو تكذيبه، ولم يستخفه النبأ اليقين العظيم الذي جاءه به الهدهد، انما نراه يتصرف التصرف السليم المطلوب فيأخذ في تجربته للتأكد من صحته، شأن النبي العادل والملك الحازم(٦): ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾.

(سورة النمل الآيات ٢٧ - ٢٨)

---

(٦) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

قال سيدنا سليمان عليه السلام للهدهد، سننظر أصدقت فيما أتيت به من (نبأ يقين) أم كنت من الكاذبين في مقالتك لتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك به. ذلك أن سليمان عليه السلام، كتب كتابا الى بلقيس وقومها. وأعطاه ذلك الهدهد فحمله وذهب الى بلادهم وألقاه الى بلقيس في قصرها(٧).

وهذا المعلم القرآني الكريم، يعطينا أيضا توجيهات ربانية، بضرورة أن يحرص العاملون في مجال الاعلام بصفة عامة، والمسئولون في هذا المجال بصفة خاصة، على التأكد من صحة الأنباء والأخبار الهامة، وذلك عن طريق اعادة الاتصال بمصدر النبأ للتأكد من صحة ما نقل عنه، أو سلوك أي طريق أخرى تؤدي الى هذا التأكد، ولو أدى ذلك الى التأخر في نشر النبأ.. فان في اتباع هذه الطريقة أمانا من خطر كبير هو خطر التكذيب الذي يفقد الجريدة ثقة القراء بها، وفي فقدان هذه الثقة ضياع لها(٨).

ومن المعالم القرآنية في مجال التثبت من صحة الأنباء الهامة قبل نشرها واذاعتها، قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾
(سورة الحجرات آية ٦).

هذه الآية الكريمة، تضع معالم كاملة لعالم رفيع نظيف، عالم له منهجه في التثبت من الأقوال والأفعال والاستيثاق من مصدرها قبل الحكم عليها، أو نشرها واذاعتها. فهذا نداء للمؤمنين كيف ينقلون

---

(٧) تفسير ابن كثير - مصدر سابق - جـ ٥ ص ٢٣١.

(٨) عبد اللطيف حمزة. (دكتور) المدخل في فن التحرير الصحفي (القاهرة ١٩٦٨ م) الطبعة الرابعة ص ٧٤ وكذلك فاروق أبو زيد (دكتور) - فن الخبر الصحفي (القاهرة ١٩٨١ م) الطبعة الأولى ص ٢٧٤.

الأنباء؟ وكيف يتصرفون بها؟ ويقرر ضرورة التثبت من مصدرها(٩).

ومدلول الآية القرآنية عام، وهو يتضمن مبدأ التمحيص، والتثبت بصفة خاصة من أنباء الفاسق، لأنه مظنة الكذب. فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء. والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره. أما الشك المطلق في جميع المصادر، وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة. والاسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها، لا لتعطيلها. وهذا نموذج من الاطلاق والاستثناء في مصادر الأخبار والأنباء(١٠).

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية القرآنية، نزلت في الوليد ابن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله ﷺ، الى بني المصطلق بعد اسلامهم، ليأخذ منهم الزكاة، فلما أتاهم الخبر فرحوا به وخرجوا يستقبلونه، فلما سمع الوليد بذلك هابهم وحسب أنهم جاءوا لقتله، فرجع قبل أن يدركوه، وأخبر رسول الله ﷺ، أن القوم قد هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من زكاتهم. فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم، حتى هم رسول الله ﷺ، بأن يغزوهم، فبينما هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته الينا، فخرجنا اليه لنكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من الزكاة فانشمر (جد وأسرع) راجعا، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ، أنا خرجنا اليه لنقتله، ووالله ما جئنا لذلك، فأنزل الله فيهم تلك الآيات(١١).

---

(٩) في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ٢٦ ص ٣٣٣٦ و ٣٣٤٠.

(١٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٢٦ ص ٣٣٤١.

(١١) السيرة النبوية لابن هشام (بيروت بدون تاريخ) جـ ٣ ص ٣٠٨ و٣٠٩ وكذلك تفسير المراغي جـ٢٦ ص ١٢٦ و ١٢٧وراجع أيضاتفصيل ذلك في تفسير ابن كثير جـ١ من ص٢٧٢ حتى ص٢٧٦.

فالله يرشد عباده وأولياءه الى هذا الأدب الكامل، ويحذرهم من العمل بالخبر قبل الكشف عنه والتثبت من صحته، لئلا يصيبوا قوما بسبب الجهل والكذب، فيصبحوا نادمين آسفين على ذلك. فلو أن رسول الله ﷺ، عمل بقول عقبة بن أبي معيط، لغزا قوما مؤمنين يحبون الله ورسوله، وسفك منهم دماء وأخذ أموالا بغير حق، فاذا ما تبين الواقع ندم على ذلك[١٢].

ان هذه الآية الكريمة، والمعلم القرآني الجليل، يقرر أصلا عظيما له خطره، وأثره في الحياة. فالتثبت في الأخبار، والصدق في نقلها، من قواعد هذا الدين الحنيف الذي شاد صرح الأخلاق على أمتن القواعد وأقواها، وثبت هذه الأسس وأرساها رب عظيم، في كتاب عظيم، نزل على نبي عظيم صلوات الله وسلامه عليه. فالله تبارك وتعالى يأمرنا بالتثبت في خبر الفاسق، والاحتياط الدقيق في تلقي الأخبار، لئلا نحكم بقول الفاسق الكاذب، فنكون كاذبين ومخطئين ومتجنين على من حكمنا عليه، قبل التثبت والتأني في خبر ما سمعناه منه، ونقلناه عنه[١٣].

والفساق والكذابون في كل زمان ومكان، يملأون الأرض، فعلى المرء في كل موقع أن يتثبت، ويتأنى ولا يتعجل بالحكم على أحد من خبر نقل عنه - على أن خطر الأخبار لا يجيء من ناحية الفسق وتعمد الكذب وحده، بل يجيء من نواح أخرى عديدة، فقد يكون الرجل (الصحفي) عدلا أمينا صادقا، لكنه لا يعرف كيف يسمع الأخبار؟ ولا كيف ينقلها؟ فلا يحسن السمع، ولا يحسن الأداء، فيقع تحت طائلة الكذب.. وقد يكون ذو غفلة فتندس اليه الأخبار من

(١٢) التفسير الواضح، مصدر سابق، جـ٢٦ ص ٥٩.

(١٣) محمد محمود الصواف - نظرات في سورة الحجرات (بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م). ص ٦٥ و ص ٦٧.

الكاذبين (مصادر كاذبة) وينقلها الى الغير عن صفاء نية، وعلى ظن الصدق، فيقع كذلك أسر الكاذبين[١٤].

واذا كان رجال الأمس يتثبتون للخبر مرة واحدة، فيجب علينا نحن اليوم أن نتثبت ألف مرة ومرة. فقد كثرت بيننا الوشايات، وساءت بيننا العلاقات، بفعل الخائنين الكذابين والدساسين، وبفعل المؤامرات، والمخططات الجهنمية التي حاكها ضدنا الاستعمار والصهيونية والشيوعية، ومن لف لفهم من أذنابهم وخدامهم العملاء الخونة، حتى ساد بعضهم المجتمعات الاسلامية، وحكموا شعوبها بالقسر والقهر.. والناس جميعا في أشد الحاجة الى العمل بهذه الآية الكريمة لتستقيم أخلاقهم، وترتاح ضمائرهم.. والذين هم في أشد الحاجة من جميع الناس للعمل بهذا الطراز من الخلق الرفيع، هم الذين بيدهم مقاليد الأمور[١٥]، ومن بينهم رجال الاعلام الذين يتحكمون في أجهزته المختلفة ويسيطرون على وسائله الخطيرة الشأن. فكثيرا ما يقع عدم التثبت من المسئولين في أجهزة الاعلام، ويجيئهم ذلك من ناحية استبعاد أن يكذب عليهم مندوبوهم ومراسلوهم والعاملون تحت امرتهم، وهو مدخل للخطر عظيم، فقد يكون هؤلاء المندوبون والمراسلون وغيرهم من أكذب الناس، فتوقع أجهزتهم الاعلامية في طائلة الظلم والكذب والتسرع في نشر واذاعة الأخبار المضللة التي تشكل رأيا عاما غير سليم، وحدوث اضرار بالغة الخطر على المجتمعات والشعوب.

ومن المعالم القرآنية الكريمة التي تفرض على الانسان في شتى طبقاته ومواقعه، أن يتثبت فيما يقوله ويحكيه، قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (سورة الاسراء آية ٣٦).

(١٤) نفس المصدر السابق ص ٧١ و ٧٢.

(١٥) نفس المصدر ص ٧٣.

والمعنى أن الله تعالى ينهى عن القول بلا علم، وهذا يتطلب التثبت من كل خبر، فلا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فان الله تعالى سائلك عن ذلك كله(١٦).

ان هذه الكلمات القليلة التي اشتملت عليها تلك الآية القرآنية،تقيم منهجا كاملا للقلب، والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثا، ويضيف اليه استقامة القلب، ومراقبة الله تعالى، ميزة الاسلام على المناهج العقلية الجافة.. فالعقيدة الاسلامية، عقيدة الوضوح، والاستقامة، والنصاعة، فلا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة، فالتثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الاسلام الدقيق.. ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج، لم يبق مجال للوهم والظن والشبهة.. فلا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، وما لم تتثبت من صحته من قول يقال، أو رواية تروى.. فلا يقول اللسان كلمة، ولا يروي حادثة، ولا ينقل رواية، ولا يحكم العقل حكما، ولا يبرم الانسان أمرا الا وقد تثبت من كل جزئية، ومن كل ملابسة، ومن كل نتيجة، فلا يبقى هنالك شك ولا شبهة في صحتها(١٧).

وقوله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد﴾ (سورة ق آية ١٨).

أي ما يتلفظ بكلمة من خير أو شر، الا وعنده ملك يرقب قوله ويكتبه.. ويحكم القرآن الرقابة فاذا الانسان يعيش ويتحرك، ويتحدث ويصمت، بين ملكين موكلين به عن اليمين وعن الشمال ويتلقيان منه كل كلمة وكل حركة ويسجلانها فور وقوعها. وحين يتصور الانسان

---

(١٦) صفوة التفاسير المجلد الثاني، جـ١٥ ص ١٥٩.

(١٧) في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ١٥ ص ٢٢٢٧.

هذه الحقيقة، ويستحضر قلبه مدلولها، ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها... فعن يمينه وعن شماله من يسجل عليه الكلمة، والحركة، لتكون في سجل حسابه بين يدي الله الذي لا يضيع عنده فتيل ولا قطمير[١٨].

* * *

خلاصة ما سبق في هذا الفصل.. أن المعالم القرآنية التي تم عرضها، توجهنا الى ضرورة جمع ونشر الأخبار الهامة، التي تكون في صالح المجتمع، وتفيد المواطنين في أمر دينهم ودنياهم وحياتهم، وتدخل في اطار اهتماماتهم المشروعة.. وقد رأينا ما فعلته النملة مع جماعتها علما بأنها من الكائنات الحية في أبسط صورها، فما بالنا بالانسان الذي فضله الله وكرمه بالعقل على سائر المخلوقات. كما توجهنا تلك المعالم القرآنية أيضا الى أن نتحرى دائما تلك الأخبار الهامة الصحيحة اليقينية المؤكدة الموضوعية، التي تستحق أن يطلق عليها عبارة (النبأ اليقين) المستمدة من المصادر الأمينة الصادقة العليمة بحقيقة الأمور وعدم التسرع في نشر واذاعة تلك الأخبار الهامة الا بعد التثبت من صحتها، والتأكد من صدقها وصدق المصادر التي أدلت بها.. مع البراعة في عرضها بطريقة شيقة تجذب القراء لقراءتها والاستمرار في القراءة، دون خداع أو تضليل أو تهويل، اقتداء بهذا (الهدهد الصحفي الموهوب).. فالتثبت من صحة الأخبار بصفة عامة، والأخبار الهامة الحساسة بصفة خاصة، والصدق في نقلها ونشرها، من قواعد الدين الاسلامي الحنيف، الذي شاد صرحه وأرسى قواعده رب العالمين سبحانه وتعالى، العليم بما يصلح شئون عباده.

ولما كانت تلك الأنباء الهامة، والأخبار بشتى أنواعها ودرجاتها،

---

(١٨) صفوة التفاسير، المجلد الثالث جـ٢٦ ص ٢٤٤ وكذلك في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ٢٦ ص ٣٣٦٣.

يرتبط أغلبها ارتباطا وثيقا بحركة الحياة وأحداثها، وتنبع من شتى صور الصراع، التي يعتبر الانسان طرفا هاما فيه.. لذلك فانه - استكمالا لبعض جوانب تلك الدراسات يحتاج الأمر تناول موضوع (الصراع) ومعالمه القرآنية، وهذا هو موضوع الفصل التالي.

الفصل الثالث

حول الصراع

THE NATURE OF CONFLICT

الحركة هي مبعث القوة في الوجود، والمولدة لكل الطاقات العاملة في مسرح الحياة، وهي في مظهرها صراع عنيف بين كل الموجودات التي يعمر بها الوجود، وتزخر بها الحياة[١]. فالصراع من الغرائز الطبيعية في الجنس البشري، وعنصر بارز في مسرحية الحياة.. صراع الخير ضد الشر.. وصراع الايمان ضد الكفر.. وصراع الرجل ضد الرجل.. وصراع الدولة ضد الدولة.. وصراع العلم ضد الجهل.. وصراع الصحة ضد المرض.. وصراع العقيدة ضد العقيدة.. وصراع الانسان ضد الطبيعة.. الخ.

ولما كانت الصحافة مرآة تعكس على صفحاتها أحداث الحياة بشتى صورها، فانها بالتالي لا غنى لها مطلقا عن استغلال غريزة الصراع تلك، ولذلك تهتم بتزويد القراء بمادة صحفية واسعة في هذا النوع. لأن الصراع يشكل أحد مراكز الاهتمام الرئيسية عند الانسان. والمادة الصحفية لا بد أن تشبع لدى القارىء رغبته في تتبع الجانب الدرامي من الحياة نتيجة للصراع. ومن هنا نجد أن المسئول عن التحرير يقدم المادة الصحفية التي يتوفر فيها عنصر الصراع على غيرها لتأخذ طريقها الى النشر[٢]. لاشباع تلك الرغبة لدى القراء، وجذب اهتمامهم للقراءة ومواصلتها.

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ١٩٢.

(٢) المدخل في فن التحرير الصحفي (عبد اللطيف حمزة) مصدر سابق ص٨١ وكذلك فن الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد) مصدر سابق ص٩٧ وأيضا اجلال خليفة – علم التحرير الصحفى (القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٨٠م) ص٦٥ و٦٦.

وفي القرآن الكريم نجد معالم قرآنية كثيرة، يقوم بناؤها على أحداث تتصارع فيها قوى متعادية متعاندة، يحاول كل منها أن يقضي على خصمه ليخلو له وجه الحياة.. وهذا الصراع الذي يحتدم في أحداث تلك المعالم القرآنية، انما يدور حول الصراع بين الخير والشر، باعتبارهما ظاهرتين متحكمتين في الحياة، وفيهما يتقلب الناس، وبهما يتعاملون. ومن هذا الصراع بين الخير والشر، تتمثل العبر والعظات لمن ينظر اليهما بعين بصيرة وقلب سليم. والخير في نظر الاسلام حق، ويستند على دعائم وأسس وطيدة منه.. والشر باطل ويقوم على الزور والبهتان. ولهذا فان العاقبة دائما للخير والحق، وأن الخزي والخسران للشر والباطل[٣]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق﴾. (سورة الانبياء الآية ١٨).

لكن ليس في هذا التدبير الذي جاء في المعالم القرآنية - من حصر مجال الصراع على وجه واحد من وجوه الخير والشر، وهو الصراع بين الايمان والكفر - اغفال للوجوه الأخرى من وجوه الخير والشر، ذلك أن الايمان يجمع الخير كله، كما أن الكفر يجمع الشر كله، فاذا التقى الايمان والكفر في مجال الصراع، فقد التقى الخير كله بالشر كله[٤].

فان مناط رسالات الرسل والأنبياء جميعا، من نوح عليه السلام، الى خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ، ومركز الثقل فيها، هو الدعوة الى عبادة الله وحده، والايمان به وخلع المعبودات الزائفة المضللة من أشخاص وأوثان وأنداد وغيرها. وفي سبيل تلك الدعوة، وقع ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم من صراع عقلي ومادي معا. انها الخير في وجه

---

(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ١٩٣.
(٤) نفس المصدر السابق ص ٢٠٢.

الشر. فهذه قصة نوح عليه السلام - على سبيل المثال - وهي أول القصص القرآني - من حيث زمانها - يذكرها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وهي في كل موضع تحمل الدعوة الى عبادة الله وحده. وتقابل تلك الدعوة بالتكذيب والعناد والاصرار على التكذيب والعناد[٥].

ومن ذلك ما جاء في سورة كاملة هي سورة (نوح)[٦] التي تقص من أولها الى آخرها قصة هذا النبي الكريم مع قومه، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل شوطا من أشواط الصراع الخالد بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل.. فقد جاء نوح عليه السلام الى قومه من كل سبيل، وطلع عليهم من كل جهة يمكن أن ينشد الانسان فيها وجه الحق، ويتعرف عليه، وينتفع به.. لقد دعاهم الى الله ليلا ونهارا، وسرا وجهارا، وكان يرفع لأبصارهم خلال تلك الدعوة المشاهد الدالة على قدرة الله تعالى، ويقيم بين أيديهم الأدلة الناطقة بجلال الله وعصمته، فلم يزدهم ذلك الا فرارا منه، واعراضا عنه.. وظل هذا الصراع بين نوح وقومه ﴿ألف سنة الا خمسين عاما﴾ (سورة العنكبوت الآية ١٤) وهو يدعوهم الى الله، ويحذرهم من الكفر والالحاد، وهم يلقونه بالتكذيب والتهديد، وبلغ بهم الأمر أن أنذروه وتوعدوه بالرجم ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ (سورة الشعراء الآية ١١٦)

ولما بلغ الأمر الى هذا المدى، ولم يكن في القوم خير يرتجى، فقد آذنهم

---

(٥) نفس المصدر السابق ص ٢٠٠.

(٦) اقرأ نفس السورة في القرآن الكريم (سورة نوح ورقمها «٧١» في الجزء التاسع والعشرين).

الله بالهلاك، وآذن نوحا عليه السلام ومن معه بالنجاة[٧]. مصداقا لقوله تعالى ﴿وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون. واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون. ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم. حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾.
(سورة هود الآيات ٣٦ - ٤٠)

وهكذا تنتهي المعركة، ويسدل الستار على الصراع الذي ينكشف عن مصرع الشر وأهله، وانتصار الخير وأنصاره، وذلك هو النهاية التي ينتهي اليها كل صراع بين الخير والشر، مهما طال بينهما أمد الصراع. ومهما كان للشر صولات وجولات[٨].

ان هذا الصراع المحتدم بين الايمان والكفر، الذي تدور معاركه في قوة وعنف، ويعرض القرآن الكريم كثيرا من صوره، يكاد يملأ وجه الحياة، وينتظم الحياة الانسانية في أجيالها المتعاقبة. فالانسان يمثل الدور الأول في هذا الصراع الذي تشهده الحياة، وهو مركز الدائرة التي تدور أحداث الحياة فيها، ويمكن أن نشهد ملامح واضحة تنبىء عن مدى المعاناة التي يعانيها الانسان في الحياة[٩]، في قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الانسان في كبد﴾ (سورة البلد الآية ٤) أي لقد خلقنا الانسان في تعب ومشقة، فانه لا يزال يقاسي أنواع الشدائد من وقت نفخ الروح

(٧) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٢٠١.
(٨) نفس المصدر السابق ص ٢٠٢.
(٩) نفس المصدر السابق ص ٢٠٣ وص ٢٠٧.

فيه، الى حين نزعها منه[١٠]. فهو في صراع دائم مع نفسه، ومع الناس، ومع الطبيعة.. وكلها ميادين يعمل فيها الانسان على مدى عمره.. والقرآن الكريم فيه صور كثيرة توضح ألوانا من صراع الانسان المشتبك فيه مع نفسه، ومع الناس، ومع الطبيعة[١١].

أولا: الصراع النفسي:

فصراع الانسان مع نفسه، صراع ذاتي داخلي، يدور في كيان الانسان، حين يعرض له أمر فيتنازعه عقله وهواه، كل منهما يريد أن يستولي على ارادته ويخضعها لمشيئته حيال هذا الأمر الذي عرض.. وهنا تتجلى روعة القرآن وعظمته، فانه في لقطة قصيرة خاطفة، تجمع كلمات القرآن، فيها مسارب النفس، وتستولي على أعماقها وتكشف خفاياها[١٢].

ومن المعالم القرآنية التي توضح ذلك، ما ورد في قصة صاحب الجنتين، حيث يقف الرجل من جنتيه موقف الزهو والغرور والاعتزاز بما لديه، وهو ظالم لنفسه اذ لم يكفها عن جماحها، فهو حين يدخل جنتيه بهذه الأحاسيس التي تعينس فيه وتملك عليه تفكيره يقول مناجيا نفسه ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ (سورة الكهف الآيتان ٣٥ - ٣٦) صورة فيها صراع مع النفس الأمارة بالسوء التي دفعته الى الغرور، والغرور قاده الى الكفر، ثم يسلمه

---

(١٠) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٣٠ ص ٥٦١.

(١١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق ص٢٠٨ و ٢٠٩.

(١٢) نفس المصدر السابق ص ٢٠٩ و ٢١٠.

الكفر الى الحماقة والسخف.. انه كان رجلا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن حبه للمال والثراء والجاه أذهله عن كل هذا، فلم يعد يرى الا جنتيه هاتين، وليس في امانيه الا أن تخلد هاتان الجنتان، ويخلد هو بخلودهما. ولذلك فهو يستبعد قيام الساعة، ويمني النفس بالخلود في هذا الظل الزائف، ويجيئه أمل كاذب يوهمه بأنه اذا فرض وكانت هناك قيامة، فهو سيجد عند ربه جنات بدل جنتيه. وهذا غرور ما بعده غرور[١٣].

وما أن ينتهي هذا الصراع، حتى تبدأ المعركة من جديد.. فهذا هو صوت العقل أو الحق يتمثل في رجل يحاوره ويهتف به: ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا. لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي احدا. ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا. فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا. أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾.

(سورة الكهف الآيات ٣٧ - ٤١)

ويقف الرجل مترددا بعد سماع هذا الصوت الهادي القوي يفكر ويقدر، واذ هو في هذا الحساب والتقدير يطلع عليه حسبانا من السماء فيذهب بكل ما جمع ﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا. ولم تكن له فئة

(١٣) نفس المصدر السابق من ص ٢١٠ حتى ص ٢١٢.

ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا﴾.
(سورة الكهف الآيتان ٤٢ - ٤٣)

وهكذا ينتهي هذا الصراع بهذا الانفجار المدوي الذي يحطم هذا الانسان. وهذا لون من ألوان الصراع الذاتي بين عقل الانسان وهواه، وبين دوافع الحق ونوازع الباطل[١٤].

معلم قرآني آخر حول الصراع النفسي يتمثل في قوله تعالى: ﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا﴾.
(سورة الأنعام الآية ٧١)

يبرز هذا المعلم القرآني الحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد، ومن يتوزع قلبه بين الاله الواحد والآلهة المتعددين، ويتفرق احساسه بين الهدى والضلال، فيرسم الصورة المحسة المتخيلة لهذا المخلوق التعيس. الذي استهوته الشياطين في الأرض. ويا ليته يتبع هذا الاستهواء في اتجاهه، فيكون له راحة ذي القصد الواحد - ولو كان في طريق الضلال - ولكن هناك من الجانب الآخر، اخوان له يدعونه الى الهدى وينادونه «ائتنا» وهو بين هذا الاستهواء، وهذا الدعاء «حيران» موزع القلب لا يدري أي الفريقين يجيب، ولا أي الطريقين يسلك[١٥].

كذلك من المعالم القرآنية التي توضح الصراع النفسي قوله

---

(١٤) نفس المصدر السابق ص ٢١٣.
(١٥) سيد قطب - التصوير الفني في القرآن (القاهرة - الطبعة الثامنة عام ١٩٧٥ م) ص ٤٠ و ص ٤١.

تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾. (سورة الحج الآية ١١)

انه يوضح الاضطراب الحسي لهذا البعض من الناس في وقفتهم، وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب. ويرسم حالة التزعزع في العقيدة بأوضح ما يؤديه وصف التزعزع(١٦).

ثانيا: الصراع بين الانسان والانسان:

وبعد أن قدمنا نماذج من المعالم القرآنية حول الصراع النفسي، ننتقل الى تقديم معالم قرآنية حول الصراع بين الانسان والانسان... وهـذا الصراع هو المعركـة الـدائمة الخالدة، التي يتقلب فيها الانسان بين النصر والهزيمة، والتي يلتقي فيها بوجوه الحياة كلها من خير وشر، وهدى وضلال، وحق وباطل.. فحيث كان الانسان في الناس فهو معهم في هذا الصراع، الذي كلما انتهى في جبهة قام في جبهات أخرى.. والقرآن الكريم يعترف بهذا الصراع على أنه طبيعة متمكنة في الناس قائمة في وجودهم، ويزكيه حينما يكون متجها الى الخير قائما على الحق والعدل، ويعمل على تعديله أو يخفف من حدته اذا كان متجها الى البغي والعدوان، قائما على الجور والظلم، وذلك بما يكشف من آثاره السيئة، ويجلي من عواقبه الوخيمة(١٧).

وفي القرآن الكريم معالم كثيرة حول صراع الانسان مع

---

(١٦) نفس المصدر السابق ص ٤٢.

(١٧) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق، ص ٢١٦ و ص ٢١٧.

الانسان.. ومن أبرزها ما أورده القرآن الكريم في قصة ابني آدم في قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين. اني أريد أن تبوء باثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾.

(سورة المائدة الآيات ٢٧ - ٣٠)

والصراع في هذه المأساة صراع صريح بين الخير والشر، أو بين الأخيار والأشرار من الناس حيث لا تصبح الحياة أو تمسي الا ومسرحها يغص بألوان شتى، وصور متعددة من هذا الصراع.. فالقصة تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان الصارخ الذي لا مبرر له.. كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة، والطيبة والوداعة، وتقفهما وجها لوجه، كل منهما يتصرف وفق طبيعته[١٨].

ثالثا: الصراع بين الانسان والطبيعة:

أما بالنسبة للصراع بين الإنسان والطبيعة فانه صراع ليس فيه ما في الصراع بين الانسان والانسان من عداوة، وحسد، وبغضاء، لأن هذه الدوافع انما تقوم بين المتماثلين جنسا، والمتقاربين درجة، والمتناسبين صناعة وعملا، وفي الطبيعة قوى عاتية مدمرة، لو استسلم لها الانسان لأهلكته.

(١٨) نفس المصدر السابق ص ٢٢٣ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٦ ص ٨٧٤.

ولهذا فهو معها في صراع متصل منذ ظهر في هذا الوجود، يحاول جاهدا أن يدفع شرها، بل وأن يحيل هذا الشر خيرا، حين يبسط يده عليها، ويقيم سلطانه فوقها[19].

وفي القصص القرآني معالم كثيرة تشير الى هذا النوع من الصراع بين الانسان والطبيعة.. ونجد في جانب من قصة يوسف عليه السلام، نموذجا واضحا لهذا النوع من الصراع، فيما يتعلق بالرؤيا التي رآها ملك مصر.. واستمع الى القرآن الكريم يقص هذه الواقعة في قوله تعالى: ﴿وقال الملك اني آرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون. قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين. وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون. يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمات يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات لعلي أُرجع الى الناس لعلهم يعلمون. قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون. وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم. قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشى الله ما علمنا عليه من سوء قالت

(١٩) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق ص ٢٢٥.

امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين. ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين. وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم. وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم﴾. (سورة يوسف ٤٣ - ٥٥)

وهنا لا نرى يوسف عليه السلام يقف عند مجرد تأويل رؤيا الملك، بل انه اذ يرى الطبيعة وقد فغرت فاها، وكشرت عن أنيابها، تريد أن تبتلع الناس. فقد نبه الى هذا الخطر، وأعطى الرأي الذي يراه دافعا له. ولما طلبه الملك بعد ظهور براءته ليستخلصه لنفسه، ويجعله لديه «مكين أمين» طلب يوسف عليه السلام من الملك بما يعتقد أنه قادر على النهوض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أول بها رؤيا الملك، وبما يعتقد أنه سيصون به أرواحا من الموت، وبلادا من الخراب، ومجتمعا من فتنة الجوع، فكان قويا في ادراكه لحاجة الموقف الى خبرته، وكفاءته، وأمانته ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم﴾.. فالأزمة القادمة، وسنوات الرخاء التي تسبقها في حاجة الى الحفظ، والصيانة والقدرة على ادارة الأمور بالدقة وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها. وفي حاجة الى الخبرة وحسن التصرف، والعلم بكافة فروعه الضرورية لتلك المهمة في سنوات الخصب. وفي سنوات الجدب على السواء.. والملحظ في هذا المعلم القرآني ان الانتصار على الطبيعة، انما يتحقق بأمرين: العلم والمعرفة. فبهذين الأمرين استأهل يوسف عليه السلام أن

ينهض بالواجب المرهق الثقيل، ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الازمة، وليكون مسئولا عن اطعام شعب مصر بكامله، وشعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنوات متوالية، لا زرع فيها ولا ضرع[٢٠].

* * *

كانت تلك معالم قرآنية بارزة حول الصراع، الذي هو من الغرائز الطبيعية في الجنس البشري، وعنصر بارز في مسرحية الحياة.. معالم يقوم بناؤها على أحداث تتصارع فيها قوى متعادية، يحاول كل منها أن يقضي على خصمه ليخلو له وجه الحياة.. معالم توضح الصراع العقلي والمادي الذي وقع بين الأنبياء والرسل وأقوامهم.. وتبين ألوانا من صراع الانسان المشتبك فيه مع نفسه.. ومع الناس.. ومع الطبيعة. ولما كانت الصحافة - كما نعلم - تعكس أحداث الحياة بشتى صورها، فانها لذلك لا غنى لها عن استغلال غريزة الصراع تلك لتزويد الناس بمادة صحفية تشبع رغبتهم في تتبع الجانب الدرامي من الحياة، وتستحوذ على اهتمامهم، باعتبارهم طرفا هاما في كل صور ذلك الصراع وألوانه المختلفة.

ثم ان جمع ونشر تلك الأنباء والأخبار - والتي يرتبط معظمها كما قلنا بالصراع - بعد التثبت من صحتها والصدق في نقلها، يرتبط ارتباطا وثيقا بموضوع هام آخر، يتعلق بالحرية الشخصية في القول والكتابة، وفق نصوص الشريعة الاسلامية، وبما لا يخرج عن قواعد الآداب العامة، والأخلاق الفاضلة. وهذا مما يستدعي وجود رقابة ذاتية، نابعة من داخل الصحفي أو رجل الاعلام في الظروف

---

(٢٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٣ ص ٢٠٠٥ وكذلك القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق ص ٢٢٦ حتى ص ٢٢٨.

العادية، أو وجود رقابة صحفية سليمة راشدة في أزمنة الحرب والأوقات الحرجة والفترات العصيبة.. وهذا هو ما يتناوله الفصل التالي مرتبطا بمعالمه القرآنية..

الفصل الرابع

الحرّية والرّقابة

FREEDOM AND CENSORSHIP

يتصل موضوع هذا الفصل وهو الخاص بالمعالم القرآنية لحرية القول والكتابة والرقابة اتصالا وثيقا بما سبق أن تناولناه حول الأخبار والأنباء.. والنبأ اليقين.. حيث نستعرض فيه التوجيهات الربانية، والمعالم القرآنية الخاصة بحرية القول والكتابة في وسائل الاعلام المختلفة، والرقابة الرشيدة، على اذاعة الأخبار والأنباء ونشرها في تلك الوسائل، بما يضمن الصالح العام، ويجنب الأمة الكثير من الأضرار، سواء كان ذلك في أوقات السلم والأمان، أو في أوقات الحروب والخوف والاضطراب وعدم الاطمئنان.

فلقد أباحت الشريعة الاسلامية حرية القول والكتابة، وجعلتها حقا لكل انسان، بل جعلت ذلك واجبا على الانسان في كل ما يمس الأخلاق، والمصالح العامة، والنظام العام[1]. وذلك لقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (سورة آل عمران الآية ١٠٤) وقوله تعالى: ﴿الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾. (سورة الحج الآية ٤١)

فمنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وارشاد وبيان، فهذا شطر..

---

(١) عبد القادر عودة/التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي. (الجزء الأول - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م) ص ٣٣.

أما الشطر الآخر فهو القيام بسلطة الأمر بتحقيق المعروف، والنهي عن المنكر في الحياة البشرية، وصيانة تقاليد الجماعة الخيرة من أن يعبث بها كل ذي هوى، وكل ذي شهوة، وكل ذي مصلحة، وضمانة هذه التقاليد الصالحة من أن يقول فيها كل امرىء برأيه، وبتصوره، زاعما أن هذا هو الخير، والمعروف والصواب[٢].

لكن تلك الحرية التي أباحتها الشريعة الاسلامية، وجعلتها حقا لكل انسان، ليست مطلقة، بل هي مقيدة بأن لا يكون ما يكتب أو يقال خارجا عن حدود الآداب العامة، والأخلاق الفاضلة، أو مخالفا لنصوص الشريعة الاسلامية.. ولقد أمر الله رسوله ﷺ أن يبلغ رسالته للناس. وأن يدعو الناس جميعا الى الايمان بالله وبالرسالة، وأن يحاج الكفار والمكذبين، ويخاطب عقولهم وقلوبهم. ورسم الله تعالى له معالم الطريق، وأوجب عليه أن يعتمد في دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل بالتي هي أحسن، ولا يجهر بالسوء من القول.. فهي ليست حرية مطلقة، وانما هي حرية مقيدة بعدم العدوان، وعدم اساءة الاستعمال[٣].

وحرية القول في الحدود التي وضعتها الشريعة الاسلامية، تعود دون شك على الأفراد والأمم بالنفع والتقدم، وتؤدي الى الرخاء والحب والاحترام بين الأفراد والهيئات، وتجمع كلمة أولى الأمر على الحق دون غيره، وتجعلهم في حالة تعاون دائم، وتقضي على النعرات الشخصية والطائفية. وهذا كله ينقص العالم اليوم، أو يبحث عنه العالم فلا يهتدي اليه[٤].

ويبين الشهيد عبد القادر عوده[٥]، مدى صلاحية نظرية الشريعة

---

(٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٤ ص ٤٤٤.

(٣) و (٤) التشريع الجنائي الاسلامي، مصدر سابق، ص ٣٣ و ٣٤.

(٥) هذا الكلام وما بعده من نفس المصدر السابق ص ٣٤ - ٣٥.

الاسلامية في هذا الصدد فيقول: ان المشرعين الوضعيين بعد تجاربهم الطويلة، ينقسمون الى قسمين: قسم يرى حرية القول دون قيد الا فيما يمس النظام العام، وهؤلاء لا يعيرون الأخلاق أي اهتمام، وتطبيق رأيهم يؤدي دائما الى التباغض، والتنابز، والتحزب، والقلاقل، والثورات، وعدم الاستقرار.. وقسم يرى تقييد حرية الرأي في كل ما يخالف رأي الحاكمين ونظرتهم للحياة. وتطبيق رأي هؤلاء يؤدي الى كبت الآراء الحرة، وابعاد العناصر الصالحة عن الحكم ويؤدي في النهاية الى الاستبداد، ثم القلاقل والثورات.

ويوضح الشهيد عبد القادر عوده، أن الشريعة الاسلامية تجمع بين هاتين النظريتين اللتين تأخذ بهما دول العالم، ذلك أن نظرية الشريعة تجمع بين الحرية والتقييد، وهي لا تسلم بالحرية على اطلاقها، ولا بالتقييد على اطلاقه. فالقاعدة الأساسية في الشريعة هي حرية القول. والقيود على هذه الحرية ليست الا فيما يمس الأخلاق، أو الآداب أو النظام، والواقع أن هذه القيود قصد منها حماية الأخلاق والآداب والنظام. ولكن هذه الحماية لا تتيسر الا بتقييد حرية القول، فاذا منع القائل من الخوض فيما يمس هذه الأشياء، فقد منع من الاعتداء ولم يحرم من أي حق لأن الاعتداء لا يمكن أن يكون حقا.

ويمكننا بعد ذلك - على حد قول الشهيد عبد القادر عوده - أن نقول أن الشريعة الاسلامية، تبيح لكل انسان - والصحفي ورجل الاعلام من بينهم بطبيعة الحال - أن يقول أو يكتب ما يشاء دون عدوان، فلا يكون شتاما، ولا عيابا، ولا قاذفا، ولا كاذبا. وأن يدعو الى رأيه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتي هي أحسن، ولا يجهر بالسوء من القول، ولا يبدأ به، وأن يعرض عن الجاهلين ولا جدال في أن من يفعل هذا يحمل الناس على أن يسمعوا قوله، ويقدروا رأيه، فضلا عن بقاء علاقاته بغيره سليمة، ثم بقاء الجماعة يدا واحدة تعمل

للمصلحة العامة. والنصوص القرآنية الآتية تعتبر دستور القول في الشريعة الاسلامية وهي قوله تعالى: ﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(سورة النحل الآية ١٢٥) وقوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (سورة الأعراف الآية ١٩٩) وقوله تعالى: ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (سورة الفرقان الآية ٦٣) وقوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ (سورة الأنعام آية ١٠٨) وقوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم﴾ (سورة العنكبوت آية ٤٦) وقوله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم﴾ (سورة النساء آية ١٤٨).

ولنا وقفة قصيرة مع هذه الآية الأخيرة، لأن الاسلام يحمي سمعة الناس ما لم يظلموا، فاذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية، وأذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظالمه.. فان الجهر بالسوء من القول - في أية صورة من صوره - سهل على اللسان ما لم يكن هناك تحرج في الضمير وتقوى الله، وشيوع هذا السوء كثيرا ما يترك آثارا عميقة في ضمير المجتمع، ويدمر الثقة فيه، ويسقط الحياء النفسي والاجتماعي، الذي يمنع الألسنة من النطق بالقبيح، ويعصم الكثيرين من الاقدام على السوء، وينتهي الأمر الى انحلال اجتماعي، وفوضى أخلاقية.. ولذلك كله كره الله للجماعة المسلمة أن تشيع فيها قالة السوء، وأن يقتصر حق الجهر بها على من وقع عليه ظلم، يدفعه بكلمة السوء يصف بها الظالم، في حدود ما وقع عليه منه من الظلم، وفي هذه الحالة يكون الوصف بالسوء - ويشمل ما تعبر عنه المصطلحات القانونية بالسب والقذف - انتصارا من ظلم، ودفعا لعدوانه، وردا لسوء بذاته قد وقع بالفعل على انسان بذاته، وتشهيرا بالظلم والظالم في المجتمع، لينتصف المجتمع للمظلوم، وليضرب على يد الظالم، وليخشى

الظالم عاقبة فعله فيتردد في تكراره. وعندئذ يكون الخير الذي يتحقق بهذا الجهر مبررا له، ويكون تحقيق العدل والنصفة هو الهدف لا مطلق التشهير[٦].

ولقد سبقت الشريعة الاسلامية القوانين الوضعية في تقرير حرية القول والكتابة بأحد عشر قرنا على الأقل، لأن القوانين الوضعية لم تبدأ بتقرير هذه النظرية الا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، أما قبل ذلك فلم تكن هذه القوانين تعترف بالحرية بل كانت أقسى العقوبات تخصص للمفكرين، ودعاة الاصلاح، ولمن يعتقد عقيدة تخالف العقيدة التي يعتنقها أولو الأمر[٧].

ويجرنا الكلام في موضوع حرية القول والكتابة، الى الحديث عن حرية الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام والرقابة التي تفرض عليها في الوقت الحاضر سواء في أوقات السلم والأمان أو في أوقات الحروب، وما يجب الاسترشاد به من المعالم القرآنية في هذا الصدد لكي تصبح رقابة سليمة رشيدة تكفل الحرية، وتمنع الخطأ، وتستهدف الصالح العام، وتبتعد عن تكميم الأفواه، والقضاء على الحرية..

فقد كثر الجدل حول حرية الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة في كل بلاد العالم.. فمن قائل ان هذه الحرية يجب ألا يكون لها حد، وحجته في ذلك ان في الصحافة ووسائل الاعلام بوجه عام دواء يشفي من دائها، ذلك أن القارىء الحديث أصبح يقرأ أكثر من صحيفة، والمستمع والمشاهد، يستمع لأكثر من اذاعة ويشاهد أكثر من تليفزيون، ومن ثم كان الضرر الذي تحدثه وسيلة اعلام ما تصلحة وسيلة أخرى.. ومن قائل ان حرية الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة يجب أن تكون لها

---

(٦) في ظلال القرآن - مصدر سابق - جـ٦ ص ٧٩٥ و٧٩٦.

(٧) التشريع الجنائي في الاسلام، مصدر سابق، ص٣٦.

حد، وأن على الحكومة أن تخضع تلك الوسائل لطائفة من القيود التي تكفل صيانة الأمن. وحجته في ذلك أن الدولة مسئولة عن هذا الأمن في الداخل وفي الخارج. غير ان هناك اتفاق على أن هذا النوع من القيود لا يصح مطلقا أن ينصب على حرية الرأي(٨).

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزة(٩): انه مهما بولغ في حرية الصحف فان لهذه الحرية حدودا معينة. والشارع حينما وضع القوانين التي تخول الحكومة حق الرقابة على الصحف انما قصد في الحقيقة الى حماية المصالح العامة، والذود عن التقاليد التي تواضع عليها الناس، فأخذهم بشيء من التحفظ في ابداء الرأي، حتى لا تضر الحرية المطلقة بكيان الفرد أو المجتمع.

وتتخذ الرقابة الحكومية مظهرين في الغالب:

١ - **شكل الرقابة الاستثنائية**، وأكثر ما تكون هذه الرقابة في زمن الحروب والأزمات والاضطرابات.. الخ.

٢ - **شكل الرقابة الجزائية**، وهي الرقابة التي يحكم فيها القضاء(١٠).

وكلا المظهرين من مظاهر الرقابة، لا تلحقان ضررا كبيرا بالحرية الفكرية أو الصحفية، أو الاعلامية ما دام الهدف منهما واضحا كل الوضوح، وهو حماية المجتمع من الانحرافات أو التيارات التي قد تفضي به الى الهاوية.. ولكن فمن الحق أن يقال: ان الشارع في هذه المحاولات قد يتجاوز الحد، حين لا يكتفي بالقيود الضرورية لحماية الدولة أو المجتمع، بل يعمد الى وضع العراقيل في طريق هذه الحرية، وقصده حماية الحكام المستأثرين بالسلطان، ومنع الناس من نقد أعمالهم أو

---

(٨) عبد اللطيف حمزه/أزمة الضمير الصحفي (القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦٠ م) ص ٥٧.

(٩) المدخل في فن التحرير الصحفي، مصدر سابق، ص ٣٤ و ٣٥.

(١٠) أزمة الضمير الصحفي، مصدر سابق، ص ٥٨.

التعليق على تصرفاتهم، أو محاسبتهم على أخطائهم التي يرتكبونها ضد شعوبهم[١١]. وهذا يعني تكميم الأفواه والقضاء على الحرية، وذلك مما لا تقره الشريعة الاسلامية. ولا يتفق مع مقتضى الرقابة السليمة الرشيدة التي تستهدف الصالح العام.

ولكي نصل الى تحقيق تلك الرقابة الرشيدة المبتغاة، التي تكفل الحرية، وتمنع الخطأ، وتستهدف المصلحة العامة، علينا أن نستهدي بما في القرآن الكريم من معالم خاصة في هذا الصدد، حيث لم يترك لنا رب العالمين سبحانه وتعالى في كتابه شيئا الا ونبهنا اليه، حتى اداعة الأخبار والرقابة على نشرها وتداولها..

ونفتح كتاب الله، فنجد فيه معلما قرآنيا كريما هاما، يقدم لنا توجيهات ربانية تتعلق بموضوع الرقابة على نشر واذاعة الأنباء والأخبار، وخاصة في أوقات الحروب والأزمات، بما يضمن تحقيق الفائدة للصالح العام. وتجنيب الأفراد والأمة الكثير من الأضرار والمصائب.

هذا المعلم القرآني الكريم، يتمثل في قوله تعالى: ﴿واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا﴾[١٢].

قيل ان هذه الآية في المنافقين، وهم الذين كانوا يذيعون مسائل

---

(١١) المدخل في فن التحرير الصحفي، مصدر سابق، ص ٣٥.

(١٢) سورة النساء الآية رقم (٨٣).. ومن المفردات الهامة في تلك الآية

(١) اذاعوا به: يقال أذاع السر ونشره وأشاعه بين الناس (٢) ردوه: أرجعوه (٣) يستنبطونه: استنبط الماء استخرجه من البئر، ثم استعمل فيما يستخرجه الرجل بفضل عقله من المعاني والحلول والمشكلات (التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي، جـ ٥ ص٤١).

الأمن والخوف ونحوها، مما ينبغي أن يترك لأهله. وقيل هم ضعفاء الايمان. ويجوز أن يكون الكلام في جمهور المسلمين، فان الاذاعة بمثل أحوال الأمن أو الخوف مما يلهج به الناس في مختلف البيئات بحسب المناسبات، وان كانت تختلف النيات فالمنافق قد يذيع ما يذيعه لاجل الضرر، وضعيف الايمان قد يذيع ما يرى فيه الشبهة استشفاء مما في صدره من الاحن والبغضاء. وغيرهما من عامة الناس، فكثيرا ما يولعون بهذه الأمور، رغبة في كشف الأسرار.. فخوض العامة في السياسة، وأمور الحرب والسلم والأمن والخوف، أمر ضار جدا اذا شغلوا به عن عملهم. ويكون ضرره أكثر اذا وقفوا على أسرار ذلك واذاعوا به، وهم لا يستطيعون كتمان ما يعلمون، ولا يعرفون ضرر ما يقولون. والضرر الأكبر أن يعلم جواسيس العدو أسرار أمتهم، لما يكون وراء ذلك من العواقب الوخيمة على الأمة. ومثل ذلك سائر الأمور السياسية والشئون العامة التي تختص بالخاصة دون العامة[١٣].

ويوضح المعلم القرآني أن ضعفاء الايمان من المسلمين الذين لا خبرة لهم بالشئون العامة، قد بلغ من طيشهم، وخفة أحلامهم، أن كل خبر يصل اليهم يستفزهم، ويطلق ألسنتهم بالكلام فيه واذاعته بين الناس، سواء كان من ناحية الجيش الذي يغزو ويقاتل العدو، أو من ناحية المركز العام للسلطة، ولا ينبغي أن تشيع العامة أخبار الحرب وأسرارها، ولا أن تخوض في السياسة العامة للدولة، لأن ذلك مضرة لها، ومفسدة لشئونها ومرافقها العامة[١٤].

ثم يدل هذا المعلم القرآني الكريم جماعة المسلمين على الطريق

---

(١٣) تفسير المراغي - مصدر سابق جـ ٥ ص ١٠٤ و ١٠٥ وكذلك تفسير المنار - مصدر سابق - جـ ٥ ص ٢٤٢.

(١٤) المصدر الأول السابق ص ١٠٥.

الصحيح وما ينبغي أن يفعلوه في مثل هذه الحال فيقول: ﴿ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾.. أي لو أن هؤلاء المذيعين ردوا وأرجعوا ما يبلغهم من أنباء الأمن أو الخوف الى الرسول ﷺ، ان كان معهم، أو الى أمرائهم المؤمنين وأولي الأمر منهم من أهل الحل والعقد، لعلم حقيقته القادرون على استنباط هذه الحقيقة واستخراجها من ثنايا الأنباء المتناقضة، والملابسات المتراكمة(١٥).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا(١٦): وفي المستنبطين وجهان: أحدهما أنهم الرسول ﷺ، وبعض أولي الأمر، فالمعنى لو أن أولئك المذيعين ردوا ذلك الأمر الى الرسول والى أولي الأمر لكان علمه حاصلا عنده، وعند بعض أولي الأمر، وهم الذين يستنبطون مثله ويستخرجون خفاياه بدقة نظرهم. فهو اذا من الأمور التي لا يكتنه سرها كل فرد من أفراد أولي الأمر، وانما يدرك غوره بعضهم، لأن لكل طائفة منهم استعداداً للاحاطة ببعض المسائل المتعلقة بسياسة الأمة وادارتها دون بعض. فهذا يرجح رأيه في المسائل الحربية، وهذا يرجح رأيه في المسائل المالية. وهذا يرجح رأيه في المسائل القضائية، وكل المسائل تكون شوري بينهم. فاذا كان مثل هذا لا يستنبطه الا بعض أولي الأمر دون بعض، فكيف يصح أن يجعل بين العامة من يذيعون به؟.

والوجه الثاني أن المستنبطين هم بعض الذين يردون الأمر الى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر منهم، أي لو ردوا ذلك الأمر اليهم وطلبوا العلم به من ناحيتهم، لعلمه من يقدر أن يستفيد العلم به من الرسول ﷺ، ومن أولي الأمر منهم. فان الرسول ﷺ وأولي الأمر، هم

---

(١٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٥ ص ٧٢٤.

(١٦) تفسير المنار، مصدر سابق، جـ ٥ ص ٢٤٣ و ٢٤٤.

العارفون به، وما كل من يرجع اليهم فيه يقدر على أن يستنبط من معرفتهم ما يجب أن يعرف، بل ذلك مما يقدر عليه بعض دون بعض.

والمختار الوجه الأول.. فالواجب على الجميع تفويض ذلك الى الرسول ﷺ، والى أولي الأمر في زمنه ﷺ، واليهم دون غيرهم من بعده. لأن جميع المصالح العامة توكل اليهم، ومن أمكنه أن يعلم بهذا التفويض شيئا يستنبطه منهم فليقف عنده ولا يتعداه، فان مثل هذا من حقهم والناس فيه تبع لهم. ولذلك وجبت فيه طاعتهم، ولا غضاضة في هذا على فرد من أفراد المسلمين، ولا خدشا لحريته واستقلاله، ولا نيلا من عزة نفسه. فليس من الحكمة، ولا من العدل، ولا المصلحة أن يسمح له بالتصرف في شئون الأمة ومصالحها، وأمورها العامة، وانما الحكمة والعدل ألا يتصرف في هذه الشئون العامة الا من تثق بهم الأمة من أهل الحل والعقد، المعبر عنهم في كتاب الله بأولي الأمر، لأن تصرفهم وقد وثقت بهم الأمة، هو عين تصرفها.

وهكذا كان القرآن الكريم يربي.. فيغرس الايمان والولاء للقيادة المؤمنة.. فصدر الآية القرآنية **يرسم صورة منفرة لمن يتلقى نبأ الأمن أو الخوف، فيحمله ويجري به متنقلا مذيعا له من غير تثبت ولا تمحيص، ومن غير رجعة الى القيادة.. وآخر الاية يعلم المسلم ويدله على الطريق الصحيح الذي يجب عليه أن يفعله في مثل هذه الأحوال حرصا على المصلحة العامة.. آية قرآنية واحدة تحمل هذه الشحنة كلها، وتتناول القضية من أطرافها، وتضع التوجيه والتعليم**[١٧].

وهذه هي عينها الرقابة السليمة الرشيدة التي يجب أن تفرض على وسائل الاعلام المختلفة اذا لزم الأمر، سواء في أوقات السلم أو الحرب أو الظروف الاستثنائية.. رقابة تكفل الحرية، وتمنع الخطأ، وليست

---

(١٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٥ ص ٧٢٤.

تلك الرقابة التي تستهدف تكميم الأفواه والقضاء على الحرية لمصلحة فئة متحكمة، وهي رقابة لا يقرها الاسلام، وتتعارض مع نصوصه وشرائعه.

★ ★ ★

خلاصة ما سبق.. أن الاسلام قد أباح حرية القول والكتابة لكل انسان، بشرط عدم مخالفة نصوص الشريعة الاسلامية، وعدم العدوان أو اساءة الاستعمال أو الخروج على حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة. وهذا مما يعود بالنفع على الأفراد والأمم، وتجمع كلمة أولي الأمر على الحق دون غيره.. وفي مجال الرقابة على نشر واذاعة الأنباء والأخبار سواء في الظروف العادية أو الظروف الاستثنائية، نجد أن القرآن الكريم يدل على الطريق الصحيح الذي يجب سلوكه في هذا الشأن حتى تكون الرقابة هادفة بناءة، تحقق المصلحة العامة والخاصة.. وحتى نجني الفائدة المرجوة، يجب أن نحرص على نشر واذاعة تلك المادة الصحفية البناءة، في الوقت المناسب، وعندما تكون الظروف مهيأة من جميع جوانبها.. ولتحقيق ذلك، فان الأمر يدعونا الى دراسة موضوع التوقيت المناسب ومعالمه القرانية.. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

الفصل الخامس

التوقيت المناسب[٧]

GOOD TIMING

ان الحالة النفسية المهيأة، وظروف الزمان والمكان المواتية، توقيت مناسب لنشر واذاعة المادة الصحفية والاعلامية، وبث الأفكار والآراء والمعلومات[١] المطلوب توصيلها الى القراء والمستمعين والمشاهدين وغيرهم، حيث يكونوا مهيئين لقراءة تلك المادة الاعلامية والاستماع اليها، والانفعال بها، وتقبل تلك الأفكار والآراء والمعلومات، والتصرف من خلالها، وتكوين رأيهم على ضوئها..

والصحفي الناجح، ورجل الاعلام الماهر، هو الذي يدرس اللحظة، وينظمها في سياق التأثير والاقناع، لا تتقدم ولا تتأخر، بل يتحرى الوقت المناسب لاذاعة الحقيقة، كما يفعل المؤذن وهو يتحرى دخول وقت الصلاة، فيرفع صوته بالأذان[٢]، فيجيب المؤمنون النداء على الفور لأداء الصلاة التي كتبها الله سبحانه وتعالى عليهم في اليوم والليلة خمس مرات.. فالصحفي ورجل الاعلام يتعامل مع الناس، والناس بمشكلاتهم وقضاياهم المطروحة، والأحداث التي يعيشونها، هم مادة

---

(١) زين العابدين الركابي - النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية - في كتاب (الإعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية النظرية والتطبيق - الرياض - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ص ٣٢٢.. والكتاب عبارة عن أبحاث ووقائع اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الاسلامي المنعقد في الرياض بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٩٦ هـ - ١٦ أكتوبر ١٩٧٦ م. وقد نشرته منظمة الندوة العالمية للشباب الاسلامي.

(٢) نفس المصدر السابق، ونفس الصفحة.

الصحافة ووسائل الاعلام الناجحة التي تحقق الغاية المطلوبة منها، بشرط أن تطرحها في الوقت المناسب لا تتقدمه ولا تتأخره. عندئذ تكون الاستجابة فورية، وتتحقق النتيجة المبتغاة لصلاح المجتمع، وحل مشكلاته، وتنوير القراء وتكوين رأي عام راشد، يتصرف بحكمة وروية، في مواجهة المشكلات التي تعترضه، والأحداث التي تفجأه.

هذه القاعدة الهامة، وهي التوقيت المناسب، أو اذاعة الحقيقة في ابانها، تستمد أهميتها، ومعناها، وعمق جذورها، من أسباب نزول القرآن الكريم منجما حسب الحوادث على امتداد ثلاثة وعشرين عاما.. كل آية، أو مجموعة آيات، أو سورة، تنزل بمناسبة من المناسبات، أو تعالج مشكلة من المشكلات، أو ترد على موقف معين، أو تناقش رأيا مطروحا في واقعة محددة[٣].

وقد أخبرنا الله عز وجل هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾ (سورة الاسراء الآية ١٠٦) أي جعلنا نزوله متفرقا كي تقرأه على مهل وتثبت، ليكون حفظه أسهل، والوقوف على دقائقه أيسر.. ونزلناه تنزيلا بحسب الوقائع والأحداث والمصالح[٤].

كما يدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا. ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾

(سورة الفرقان الآيتان ٣٢ – ٣٣).

---

(٣) رمضان لاوند – من قضايا الاعلام في القرآن (الكويت ١٩٧٩ م) ص ١٩٦.

(٤) مناع القطان – مباحث في علوم القرآن (دار الشروق – بيروت – الطبعة السابعة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م) ص ١٠٦ – وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ١٥ ص ١٧٩.

فقد تساءل الكفار.. لم نزل القرآن كذلك مفرقا؟. ولماذا لم ينزل دفعة واحدة؟. فجاءهم الرد السماوي ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ أي أن الله تعالى نزله مفرقا كذلك لحكمة مرادة له، وما كان يعجز سبحانه وتعالى عن ابرازه للناس مرة واحدة، ولكن ذلك - لو حدث - يفوت الآثار العظيمة المقصودة من ارسال الكلام في مواضعه التي يجود فيها. فالكلمة في مناسبتها الدقيقة تجيء كالعون المسعف عند الحاجة الماسة.. ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ أي بيناه في ترسل وتثبت. والتبيين على هذه الصورة، معناه سوق الآيات على مهل مفرقة تفريقا يكسب الوضوح واليقين في كل جزء فيها. فالتفصيل المتأني دائما قرين الصدق والدقة[٥].

وكذلك الحكم في القضايا المتجددة، أو الافتاء في المسائل العارضة، والتدرج في التشريع وتربية الأمة، فما كان الناس ليسلس قيادهم طفرة للدين الجديد، لولا أن القرآن عالجهم بحكمة، وأعطاهم من دوائه الناجع بقدر يغسل عنهم درن الرذيلة، ويكسوهم بحلة الفضيلة[٦].

وقوله تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾ هو بيان لحكمة أخرى من حكم نزول القرآن منجما، وهو أن هذا النزول على تلك الصورة يرصد الأحداث الواقعة على طريق الدعوة الاسلامية من مبدئها الى ختامها، ثم يطلع على كل حدث بما هو مناسب له، فيحق حقا، ويبطل باطلا، ويزيل شبهة، ويحيي سنة، ويميت بدعة[٧]. وفي ذلك مثل يتكرر على مر العصور لشئون الحياة والأحياء.

---

(٥) محمد الغزالي - نظرات في القرآن الكريم (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٦١) ص ٢٠.

(٦) المصدر السابق ص ٢١ وكذلك مباحث في علوم القرآن (مناع القطان) مصدر سابق ص ١١١.

(٧) عبد الكريم الخطيب - التفسير القرآني للقرآن (القاهرة - بدون تاريخ) الكتاب العاشر جـ ١٩ وجـ ٢٠ ص ١٩.

والقرآن النازل بازائها هو الارشاد الالهي الخالد لهذه النظائر المطردة[٨].

وخلاصة القول ان هذا القرآن الكريم جاء ليربي أمة، وينشىء مجتمعا، ويقيم نظاما. والتربية تحتاج الى زمن، والى تأثر وانفعال بالكلمة، والى حركة تترجم التأثر والانفعال الى واقع. والنفس البشرية لا تتحول تحولا كاملا شاملا بين يوم وليلة، بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد. انما تتأثر يوما بعد يوم بطرف من هذا المنهج، وتتدرج في مراقيه رويدا رويدا، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئا فشيئا، فلا تجفل منه كما تجفل لو قدم لها ضخما ثقيلا عسيرا[٩].

لقد كانت السماء متصلة بالأرض صلة دائمة، حية مشهودة، فتقول السماء للأرض وتخبر أهلها عن حالهم وجهرهم وسرهم، وتقوّم خطاهم أولا بأول، وتشير عليهم في خاصة أنفسهم وشئونهم.. يقول أحدهم القولة، ويفعل أحدهم الفعلة، ويسر أحدهم الخالجة، فاذا السماء تطلع، واذا الله جل جلاله ينبىء رسوله بما وقع، ويوجهه الى ما يفعل، وما يقول في هذا الذي وقع[١٠].

وما أكثر المعالم القرآنية التي طرحها القرآن الكريم في هذا الصدد ومنها قوله تعالى: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكي. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك الا يزكي. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى﴾.
(سورة عبس الآيات ١ - ١٠)

هذا التوجيه القرآني بشأن حادث ابن أم مكتوم رضي الله عنه،

---

(٨) نظرات في القرآن الكريم (محمد الغزالي) مصدر سابق ص ٢٣.
(٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٩ ص ٢٥٦٢.
(١٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٦ ص ٣٣٤١ و٣٣٤٢.

نزل في وقته المناسب تماما، لم يتأخر عنه، ولم يتقدمه، حيث تتدخل السماء لتقول كلمة الفصل في هذا الأمر، ولتضع معالم الطريق كله، فان هذا التوجيه الذي جاء تعقيبا على حادث فردي، ورد هكذا على طريقة القرآن الالهية في اتخاذ الحادث المفرد، والمناسبة المحدودة، فرصة لتقرير الحقيقة المطلقة، والمنهج المطرد، بهدف أن يستمد الناس قيمهم وموازينهم من السماء، طلقاء من قيم الأرض وموازينها المنبثقة من واقعهم كله[١١].

وقوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير﴾.

(سورة المجادلة الآية ١)

تلك حقيقة أُذيعت في ابانها، حين أتت خولة بنت ثعلبة الى رسول الله ﷺ، تشتكي زوجها أوس بن الصامت اليه، فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بتلك الآية[١٢]. ومنها نشهد السماء تتصل بالأرض في صورة مباشرة محسوسة، وفي الوقت المناسب وتتدخل في شأن يومي لأسرة فقيرة مغمورة، لتقرر حكم الله في قضيتها من فوق سبع سماوات، وتعطيها حقها، وتريح بالها وبال زوجها، وترسم للمسلمين الطريق في مثل هذه المشكلة العائلية اليومية، وانه لأمر عظيم أن يقع مثل هذا الحادث العجيب، وأن تشعر جماعة من الناس أن الله سبحانه وتعالى هكذا معها، حاضر شئونها، جليلها وصغيرها، معني بمشكلاتها اليومية، مستجيب لأزماتها العادية[١٣].

---

(١١) في طلال الفرآن، مصدر سابق حـ٣٠ من ص ٣٨٢٢ حتى ص ٣٨٣٤ وكذلك النطرية الاسلامية في الاعلام (زين العابدين الركابي) مصدر سابق ص ٣٢٣.

(١٢) النظربة الاسلامية في الاعلام (زين العابدين الركابي) مصدر سابق ص ٣٢٤.

(١٣) في ظلال الفرآن، مصدر سابق جـ٢٨ ص ٣٥٠٣ حتى ص ٣٥٠٥ وفد روى في سبب نزول هذه الآيات أن .(خولة بنت ثعلبة) زوجة (أوس بن الصامت) فد ظاهر منها زوجها - على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار - فجاءت =

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾.

(سورة الجمعة الآيات ٩ - ١١)

حقيقة أذيعت في وقتها، وتعالج حالة وقعت في تلك الجماعة الأولى، وتشير الى حادث معين حيث كان رسول الله ﷺ، يخطبهم يوم جمعة، حين حضرت قافلة من قوافلهم، وكان أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فما أن أعلن نبأ قدومها حتى انفض المستمعون منصرفين الى التجارة واللهو الذي كانت القافلة تحاط به، من ضرب بالدفوف والصياح، وتركوا رسول الله ﷺ قائما[١٤].

كذلك كان القرآن الكريم ينزل من السماء وحيا متتابعا في ضوء الواقع والوقائع، ويرد على المعارضين ادعاءاتهم الباطلة، أو يواجه العنف بالعنف في محاربتهم.. فهذا أبو لهب (واسمه عبد العزى ابن عبد المطلب) عم النبي ﷺ، كان من بين الفئة من زعماء قريش التي ناهضت دعوة الاسلام بأقصى ما تملك من العنف.. كما كان هو وامرأته ام **جميل** (وهي أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان) من أشد

= الى رسول الله ﷺ تشكو ظلم زوجها لها، ورسول الله ﷺ يقول لها: «ما أراك الا قد حرمت عليه»، فكانت تجادله وتقول: يا رسول الله ما طلقني ولكنه ظاهر مني، فيرد عليها قوله السابق. ثم قالت: اللهم اني أشكو اليك. فاستجاب الله نداءها، وفرج كربها وشكواها فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات. (أنظر في ذلك - صفوة التفاسير جـ ٢٨ ص ٣٣٣ و ٣٣٤).

(١٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٨ ص ٣٥٦٣ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ٢٨ ص ٣٨١.

الناس ايذاء لرسول الله ﷺ، واتخذوا أشد المواقف عنادا وعدوانا للدعوة التي جاء بها.. ونماذج كيد أبي لهب وامرأته للدعوة الاسلامية، وللرسول ﷺ كثيرة.. لذلك كان رد الوحي عليهما ردا عنيفا قاسيا، على الصورة التي جاءت بها معارضتهما لرسول الله ﷺ، ولدعوة الاسلام التي جاء بها.. وقد تولى الله سبحانه وتعالى، عن رسوله ﷺ، أمر المعركة، فأنزل «**سورة المسد**» في الوقت المناسب: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد﴾(سورة المسد الآيات ١ - ٥).. والتباب الهلاك والبوار والقطع.. و «تبت» الأولى دعاء. و«تبت» الثانية تقرير لوقوع هذا الدعاء.. ففي آية قصيرة واحدة في مطلع السورة تصدر الدعوة وتتحقق، وتنتهي المعركة ويسدل الستار.. وهذا كان في الدنيا.. أما في الآخرة فانه ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ وستصلاها معه امرأته كونها حمالة الحطب، وفي عنقها حبل من مسد[١٥].

فاذا انتقلنا الى موقف آخر.. نجد الوحي السماوي ينزل بسورة (الأنفال) في غزوة بدر الكبرى، التي تعد معلما ضخما في طريق الحركة الاسلامية، وفي طريق التاريخ البشري كله.. فقد توجه الوحي السماوي في تلك المناسبة الى المسلمين يخاطبهم، ويسلط الأضواء على المواقف والاتجاهات التي ظهرت في صفوفهم. فكانت سورة (الأنفال) التي نزلت في تلك المناسبة، أشبه ما تكون بمجموعة من التعاليم والتشريعات التي يتحدد بها الطريق إلى المستقبل، وتتعين بها الأبعاد الحقيقية للشخصية الاسلامية المطلوبة.. **ولا شك أن توقيت نزول الوحي في تلك المناسبة كان توقيتا مناسبا تماما، جاء في وقته، لم يتقدم عليه، ولم يتأخر عنه.. ولو**

(١٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٣٩٩٩ و ص ٤٠٠٠ وكذلك من قصابا الاعلام في القرآن - رمضان لاوند - مصدر سابق ص ١٩٩.

تصورنا أن هذه المعاني قد وردت في لائحة تعليمية أو تشريعية ولم ترافقها الوقائع التي جرت يوم بدر الكبرى، لما كان لها في النفوس الوقع العميق، والتأثير الفعال كما هو شأنها حين تتصل بالتجربة، وحين يعاني المؤمنون الذين هم هدف هذه الآيات من الأزمات التي تتعاقب، والتحديات التي تتلاحق، قبيل المعركة، وبعدها، وفي أثنائها[١٦].

ان القرآن الكريم يشرح حقيقة الدين عند الله، وهو في دعوته العامة يبسط الشبهات العارضة ويفندها، ويسوق أدلته وهو على بينة من آراء خصومه، ويتبع أقصى ما يثار ضده ثم يكر عليه بالحجة فيسحقه.. والأسئلة التي توجه الى النبي ﷺ، أو التي ينتظر أن توجه اليه في مختلف العقائد والأحكام، وجدت إجابتها الشافية في القرآن الكريم، باعتبار ان السؤال لا يمثل حاجة صاحبه وحدها، بل حاجات الناس على مر الأيام.. وفي هذا الجو المليء بالتساؤل استفهاما أو استنكارا، كان القرآن الكريم رسولا حيا يلاحق رسول الله ﷺ، قل كذا.. قل كذا.. وما أكثر الآيات التي صدرت بهذا الأمر اجابة لسؤال ورد، او سؤال مفترض.. فها هو القرآن يؤسس عقيدة البعث والجزاء، وينوه بشمول الارادة والعقيدة في ثنايا اجابته على سؤال موجه من منكر للبعث. وقد صيغت المعاني في أخذ ورد، واعتراض ودفع، كأنها حوار سيال يتعدى أصحابه حتى يجمع الناس الى آخر الدهر[١٧].

«أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين. وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها

---

(١٦) نفس المصدر السابق جـ٩ ص١٤٣١ وما بعدها.. وكذلك المصدر الثاني السابق ص٢٠٢ وص٢٠٦.

(١٧) محمد الغزالي - فقه السيرة - (القاهرة الطبعة السابعة ١٩٧٦ م) ص ٢٩ و ٣٠.

الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون. أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم. انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون﴾. (سورة يس الآيات ٧٧ - ٨٣)

قال المفسرون إن الآية الأولى نزلت في (أبيّ بن خلف) جاء بعظم رميم، وفتته ونفخه في وجه النبي الكريم وقال ساخرا: تزعم يا محمد ان الله يحيينا بعد أن نصبح رفاتا مثل هذا؟ فقال ﷺ له: نعم يبعثك ويدخلك النار[١٨].. فكان ذلك ردا على هذا المثل الذي ضربوه، وابطالا له، واطفاء لنار الفتنة المنطلقة منه، قبل أن يعظم لهيبها، ويشتد ضرامها[١٩]. وفي ذلك بيان لحكمة نزول القرآن منجما حسب الحوادث، اذ جاءت الآيات للرسول ﷺ، قل كذا.. ردا على ما عرض له من أسئلة. ثم ثبت السؤال والجواب ليكون منهما علم ينفع الناس الى آخر الزمان[٢٠].

واستزادة من الفائدة في مجال دراسة (التوقيت المناسب) نستعين أيضاً بحادثة تناولت شخصية أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، وامتحنت بها أخلاق أصحاب العلاقة بهذا الحادث.. فهذا قول الله عز وجل: ﴿ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم. لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا

---

(١٨) صفوة التفاسير - مصدر سابق - جـ ٢٣ ص ٢٤.
(١٩) التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - مصدر سابق ص ٢٠.
(٢٠) فقه السيرة - محمد الغزالي - مصدر سابق ص ٣٠.

وقالوا هذا افك مبين. لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون. ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم. اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم. ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم. يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين. ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾. (سورة النور الآيات ١١ - ١٨)

انها قضية الافك الذي تروج به شائعات ليس لها من دليل غير أنها شائعات، تتداولها الالسنة على غير علم ولا هدى ولا برهان مبين.. والوحي السماوي يعالج في تلك الآيات القرآنية هذه القضية، وهي من أخطر القضايا الاجتماعية التي يترتب عليها خراب البيوت، وفساد العلاقات، والسمعة السيئة التي قد لا تقف عند جيل واحد، بل تتجاوزه الى جيل الأبناء والأحفاد. ولكي تكون معالجة هذا الافك معالجة فعالة، سبق في علم الله سبحانه وتعالى أن تمتحن بهأسرة هي في قمة أسر الدنيا نقاء وطهارة.. وكانت أزمة حادة عنيفة زلزلت أخلاق الناس، وشابها هم عظيم، فاذا مضى شهر على هذه الحادثة نزل الوحي يبرىء ساحة السيدة عائشة رضي الله عنها، ويتوعد الذين خاضوا في هذا الإثم العظيم، ويضع الأمور في نصابها، ويرسي للمؤمنين القواعد التي يجب عليهم اتباعها في مثل تلك الأحوال، فلا يظنوا بأنفسهم الا خيرا، ولا يرددوا الاشاعات بغير علم.. الخ. ولو فرضنا أن تحذير الناس من الكذب، وترديد الاشاعات على هذا النحو قد ورد دون أن يواجه المسلمون الآثار العملية التي زلزلت النفوس، وشاع بها الهم العظيم، لما كانت له النتائج التربوية الهامة في تعليم الناس ووعظهم، وتبيين الأبعاد الخطيرة لانتشار قالة السوء. ومن ذلك يتضح مدى

أهمية اتصال التوجيه والارشاد والتحذير، بالوقائع والأحداث الجارية، ذات العلاقة بهذا التوجيه والارشاد، والتحذير، حتى تكون أقوى أثرا، وتأتي بالنتيجة المرجوة على أفضل وجه[٢١].

وفي مجال التوقيت المناسب نقدم نموذجا آخر يتمثل في قوله تعالى: ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾. (سورة آل عمران آية ١٤٤)

كانت تلك الآية سببا من أسباب النزول لحادثين: أما الحادث الأول فقد نزلت الآية بشأنه في وقتها المناسب، تشير الى واقعة معينة، حدثت في غزوة أحد، حين انكشف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أماكنهم من الجبل مخالفين بذلك أمر رسول الله ﷺ لهم بعدم ترك أماكنهم فركبه المشركون، وأوقعوا بالمسلمين. وكسرت رباعية الرسول ﷺ، وشج وجهه، ونزفت جراحه. واختلطت الأمور، وتفرق المسلمون لا يدري أحدهم مكان الآخر.. حينئذ نادى مناد أن محمدا قد قتل. وكان لهذه الصيحة وقعها الشديد على المسلمين، فانقلب الكثيرون منهم الى المدينة تاركين المعركة يائسين، لولا أن ثبت رسول الله ﷺ، في قلة من الرجال، وجعل ينادي المسلمين وهم منقلبون حتى فاءوا اليه، وثبت الله قلوبهم. فهذه الحادثة التي أذهلتهم هذا الذهول، يتخذها القرآن هنا مادة للتوجيه، ومناسبة لتقرير حقائق التصور الاسلامي، ويجعلها محورا لاشارات موحية في حقيقة الموقف، أو حقيقة الحياة[٢٢].

---

(٢١) من قضايا الاعلام في القرآن، رمضان لاوند، مصدر سابق، من ص ٢٠٧ حتى ص ٢١٠.

(٢٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٤ ص ٤٨٥.

وكأنما كان الله سبحانه وتعالى يعد الجماعة المسلمة لتلقي الصدمة الكبرى حين تقع، وهو سبحانه يعلم أن وقعها عليهم يكاد يتجاوز طاقتهم فشاء أن يدربهم عليها هذا التدريب، وأن يصلهم به هو، وبدعوته الباقية، قبل أن يستبد بهم الدهش والذهول، وكانت تلك هي مناسبة النزول للحادث الثاني.. فلقد أصيب المسلمون بالفعل بالدهش والذهول، حين توفي رسول الله ﷺ، بالفعل، حتى لقد وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، شاهرا سيفه يهدد به من يقول ان محمداً قد مات!! ولم يثبت الا أبو بكر رضي الله عنه، وكانت هذه الآية حين ذكرها وذكر بها المدهوشين الذاهلين، هي النداء الالهي المسموع، فاذا هم يثوبون ويرجعون[٢٣].. **وبذلك أذيعت الحقيقة المنزلة فعلا في سياق زمني مناسب أيضا، مع أنها كانت قد نزلت كما سبق أن رأينا في مناسبة أخرى وقبلها بوقت طويل.**

معلم قرآني آخر نرى فيه نموذجا دقيقا لأهمية التوقيت المناسب واذاعة الحقيقة في ابانها.. ذلك المعلم القرآني يتعلق بجانب من قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وهو قوله تعالى: ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين. قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون. واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان

---

(٢٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٤ ص ٤٨٦ و ٤٨٧.

الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

(سورة يوسف الآيات ٣٦ - ٤١)

تذكر الآيات القرآنية أن اثنين من رفقاء سيدنا يوسف عليه السلام في السجن، رأى كل منهما حلما، فجاءا اليه وعرض كل منهما عليه ما رأى،وطلب أن يكشف له عن مضمونه.. وقد أمسك سيدنا يوسف عليه السلام بقولهما ﴿انا نراك من المحسنين﴾ اذ وجد من حسن ظنهما فيه منطلقا الى أمر هو أعظم وأنفع لهما من تأويل حلميهما، وهو دعوتهما الى الله، والى الايمان به ايمانا مبرأ من كل شرك، فكشف لهما عن حقيقة دينه، وعن المعبود الذي يعبده، وأنه ترك عبادة تلك المعبودات الفاسدة الضالة التي يعبدها أولئك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر من المشركين والملحدين، واتبع ما يعبد آباؤه من قبله ابراهيم واسحق ويعقوب، وهو عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، والايمان بالحياة الآخرة وما فيها من حساب، وجزاء، ونعيم وعذاب ذلك هو الدين الحق الذي ينبغي أن يدين به العقلاء.. وهذا الفضل من الله ليس محبوسا على يوسف وآبائه، بل هو فضل يسع الناس جميعا، والطريق الى الله مفتوح للجميع.. ويكشف لهما عن زيف آلهتهم التي يعبدونها من دون الله وعجزها، وأنها لا تملك مع الله شيئا، ولا تملك من أمرها شيئا. ثم ينتهي يوسف عليه السلام من هذا العرض الكاشف لصاحبيه عن حقيقة ما يعبدون من آلهة، وعن الاله الواحد الحق الذي يدعوهم الى عبادته؛ فيبلغهم رسالة ربه اليهما والى كل انسان، وأن ذلك الذي يدعوهم اليه هو الدين الحق ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقة بما يغشاهم من جهل.. وبعد أن أدى يوسف عليه السلام حق الله تعالى عليه في الدعوة الى الايمان بالله وباليوم الآخر، ودلهما على الطريق المستقيم الى

الله، كشف لهما عن تأويل الحلم الذي عرضاه عليه، وذلك مما علمه ربه، فيقول لهما ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾. وهذا هو تأويل حلميهما في كلمات جامعة موجزة، كان من الممكن أن يقولها لهما من البداية، ولكنه انتهز الفرصة، ووجد التوقيت المناسب لدعوتهما الى الله سبحانه وتعالى، خاصة وأن هذين السائلين كانا واثقين من فضله وعلمه، وشديدي الاهتمام لسماع تأويله لرؤياهما، ولذلك ضمن حسن اصغائهما له، فبدأ حديثه بما هو أهم عنده، وهو دعوتهما الى توحيد الله وعبادته، وابلاغ رسالة ربه، ثم كشف لهما عن تأويل الحلمين في نهاية المطاف[٢٤].

والى هنا نتوقف عن ايراد المعالم القرآنية، والشواهد التي تثبت أهمية العلاقة الوثيقة بين القرآن وبين الوقائع التي تجري بين الناس، وتدرج تحت أبصارهم.. فان المعالم القرآنية في هذا الصدد كثيرة جدا، وقد اخترنا بعضها لتكون بمثابة نماذج تبين أهمية التوقيت المناسب ودوره في العملية الاعلامية، وقد بلغت الذروة في كتاب الله عز وجل[٢٥].. وقد علمنا وحي السماء مواجهة الأحداث والوقائع حين حدوثها، ذلك لأن الفكرة النابعة من المواجهة تتصف بالحرارة والحيوية وتتميز بقدرة فائقة على التأثير في النفوس، وهذا هو السر في أن القرآن الكريم قد نزل على رسول الله ﷺ منجما حيث كانت السورة أو الآيات تنزل استجابة لحادث معين، أو جوابا عن سؤال معين، أو شرحا لموقف من المواقف، فكانت الظروف مهيأة للتأثر

---

(٢٤) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ص ٤٤٣ حتى ص ٤٤٧.

(٢٥) من قضايا الاعلام في القرآن (رمضان لاوند) مصدر سابق ص ٢١٤.

بها، وتطبيق ما فيها..[٢٦] والصحفي الناجح، أو رجل الاعلام الماهر، هو الذي يتعلم من تلك المعالم القرآنية ويستهدي بها ويسترشد في حياته العملية. فلا يكتب أو ينشر أو يذيع مادته وآراءه وأفكاره الا في الوقت المناسب عندما تكون حالة القراء أو المستمعين النفسية مهيأة، وظروف الزمان والمكان مواتية، فيقبلوا ما يقدمه، وينفعلوا به، ويتصرفوا من خلاله، ويكونوا رأيهم على ضوئه، وبذلك تأتي النتائج المرجوة على أفضل وجه وأحسنه.

ومما يدعم ذلك، وييسر تحقيق النتائج المرجوة، أن يعمد الكاتب الى تكرار نشر مادته وآرائه، وأفكاره في أكثر من مناسبة مواتية، مع ضرورة الحرص على التنويع فيما يقدمه، والامساك بالزوايا الجديدة في كل مرة، وتكرار المعنى في سياقات مختلفة وصياغة كل ذلك بعبارات متنوعة، والتفنن في عرضه بصور شتى، حتى يدفع الملل من أن يتسرب الى القارىء، ويصل الى اقناعه واحداث التأثير المطلوب.. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

---

(٢٦) رمضان لاوند - السياسة الاعلامية في القرآن بين التاريخ والمعاصرة (بحث منشور في كتاب الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية) مصدر سابق ص ٤٤٣ و ٤٤٤.

الفصل السادس

التكرار وأهميته

THE IMPORTANCE OF REPETITION

المقصود بالتكرار هو ذكر الشيء مرة بعد مرة.. وأكثر ما يتحقق فيه ذلك المفهوم، أن يعاد ذكر الشيء بلفظه، أو مرادفه من غير أن يكون هنالك جديد في الافادة[1]. والتكرار له فوائده لأنه من العوامل التي تساعد على الاقناع، ولكن اعادة ذكر الشيء نفسه دون تنويع، قد يضايق السامع أو المتلقي.. ولذلك فان التكرار مع التنويع، أي تكرار المعنى نفسه بعبارات مختلفة، وبصيغ شتى وسياقات متنوعة، يكون أكثر فعالية في الايحاء المستمر.. لأنه يجنب السامع أو القارىء الملل، ويذكره باستمرار الهدف، ويعمق التوعية بالمعنى المقصود منه[2].

ويلاحظ ما يعمد اليه أصحاب المصانع والمؤسسات التجارية، من استخدام الوسائل المختلفة للدعاية لمصنوعاتهم ومنتجاتهم على أوسع نطاق، عن طريق تكرار الدعاية لها في صور متنوعة، وفي مناسبات مختلفة، بقصد احداث التأثير المطلوب، وذلك تطبيقا لما يقوله علماء النفس، من أنه متى كثر تكرار أمر تولد تيار فكري وعاطفي، يتلوه

---

(١) بحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص ١٨٠.

(٢) جيهان أحمد رشتي (دكتورة) - الأسس العلمية لنظريات الاعلام (القاهرة ١٩٧٥ م) ص ٤٤٨ وكذلك محمد رمضان لاوند - السياسة الاعلامية في القرآن بين التاريخ والمعاصرة (بحث منشور في كتاب الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية) مصدر سابق ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات وهو العدوى. اذ لا يكفي لتحول الانفعال الى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لا بد لحصول ذلك أن يتكرر حدوثه. فالتكرار هو السبيل لربط الانفعال به، ونركزه حوله، الى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى، تدخل في تركيب العاطفة، وأن عاطفة قوية لكافية لتحديد نشاط الفرد واتجاهه في الحياة. ولا شك أن تكرار القول لا يقل تأثيرا في اثارة الانفعال، وتكوين العواطف من تكرار الفعل، بل ان التكرار في القول مما يدفع الى الفعل(٣).

واذا نظرنا في كتاب الله، نستمد منه القول الفصل في هذا الشأن، نجد أن التكرار في القرآن الكريم، لم يقصد به الاعجاز البياني فحسب، بل يقصد به أيضا التأثير النفسي، لما يعلم الله تعالى من تفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم، اذ منها ما ينفذ الى الحقيقة، ومنها ما يسيطر عليه الوهم تحت سلطان الأفكار الموروثة، ومنها ما يصل به برود العاطفة الى جمودها رغم المثيرات العاصفة(٤). فالتكرار القرآني يخدم غرضين في آن واحد، غرضا فنيا، يتمثل في تجدد الأسلوب ايرادا وتصويرا، والتفنن في العرض ايجازا واطنابا، والتنوع في الأداء لفظا ومعنى.. وغرضا نفسيا، بما له من تأثير في النفوس، لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية، التي تختمر فيها أسباب أفعال الانسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس(٥).

والقرآن الكريم كتاب الله الى الناس جميعا، جاء لينقذ البشرية من وهدة الضلالة ويخرجها من الظلمات الى النور باذن ربهم يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. وهو حجة الله على خلقه، وآيته الناطقة على قدرته

(٣) التهامي نقره (دكتور) سيكولوجية القصة في القرآن (تونس ١٩٧٤ م) ص ١١٦.
(٤) نفس المصدر السابق ص١٢٨.
(٥) نفس المصدر السابق ص ١١٥ - ١١٦.

وعلمه، ومعجزته الباهرة، على صدق رسوله الأمين الى الناس أجمعين. وقد وسع كل ما مضى، وحكم في كل ما وقع وما سيقع، ورسم الخطة المثلى للغيب المحجوب في ضمير الزمن. وهو كتاب الوجود الأبدي، فيه دواء لكل داء، وعلاج لكل مرض، وشفاء لما في الصدور. والناس مختلفون متباينون فمنهم الشقي، ومنهم السعيد، ومنهم السهل ومنهم الصعب، ومنهم من شرح الله صدره فهو على نور من ربه، ومنهم من ختم الله على بصره.. والقرآن الكريم كما عرفنا، له أهداف وأغراض، اذ هو كتاب الوجود من رب الوجود، فهو اذا لتحقيق هده الأغراض، وللوصول الى هذه الأهداف، لا بد له أن يطرق الموضوع الواحد عدة مرات، مرة بالشدة، وأخرى باللين. وتارة بالتصريح، وأخرى بالتلميح. ومرة بضرب الأمثال، وأخرى بتأييد المقال. وكان لا بد في علاجه للأمراض المستوطنة من أن يسلك طرقا متعددة، وأساليب متباينة، تبعا لتباين الناس في استعدادهم، وأن يمر بمراحل، ويتطور في علاجه تبعا لعمق الداء، واستفحال المرض، حتى يصل الى العلاج الناجع والدواء الشافي[٦].

من أجل ذلك رأينا القرآن الكريم يكرر الحديث عن الشيء الواحد، في شتى أغراضه، وفي مختلف هداياته.. ولكن الحديث في كل مقام عن ذلك الشيء الواحد، لا يكون من زاوية واحدة، بل تختلف فيه الجهة حين يحدث عن ذلك الشيء في موضع، عن الجهة حين يحدث بها عنه في الموضع الآخر، فقد تكرر حديثه عن (الصلاة) وأحكامها (٦٧) مرة بخلاف المشتقات، وذلك في عدة مناسبات، حيث نرى ما جاء عنها في سورة (البقرة) غير المعروض في سورة (النساء) أو خاتمة

(٦) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (محمد محمود حجازي) مصدر سابق ص ٣٦ - ٣٩.

(الإسراء)، أو غير ذلك.. فمثلا أمر بالمحافظة عليها في مكان ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ (سورة البقرة الآية ٢٣٨) وفي مكان آخر أمر بالاستعانة بها مع شيء آخر وهو الصبر ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ (سورة البقرة الآية ٤٥) وفي مكان ثالث أمر باقامتها ﴿فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة﴾ (سورة النساء الآية ١٠٣) وفي أمكنة أخرى أمر باقام الصلاة وايتاء الزكاة ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (سورة البقرة الآية ٤٣) وغير ذلك في الأمكنة المختلفة.. ونجد مثل ذلك في (الزكاة) حيث تكرر اللفظ (٣٢) مرة بخلاف المشتقات.. و(الصيام) حيث تكرر اللفظ ٨ مرات بخلاف المشتقات.. و(الحج) حيث تكرر اللفظ ٩ مرات بخلاف المشتقات.. وفي سائر التشريعات حدث مثل ذلك بحسب المناسبات، واختلاف المقامات، والفوائد في حكمة الله سبحانه[٧].

وفي كل ذلك لم نجد فيه هذا التكرار الآلي الممل، لأن الحقيقة الواحدة يطالعنا بها القرآن الكريم في مواطن مختلفة ولكن في أثواب جديدة، مع تصرف معجز في صيغ التعبير، وطرق الأداء. فان اعادة الكلام في الموضوع الواحد مع التنويع، والطرافة، والتجديد، هو من بلاغة القرآن واعجازه[٨].

* * *

وفي مجال القصص القرآني، فانه لعظمة أهدافه وخطورة آثاره، نجد أن القصة الواحدة، قد يتكرر عرضها مرتين أو ثلاثا، أو أربعا، أو أكثر في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة، قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق،وطريقة الأداء في السياق، وانه حيثما تكررت حلقة كان هنالك

---

(٧) بحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص ٥٧ و ص ١٨٠.

(٨) سيكولوجية القصة في القرآن (التهامي نقرة) مصدر سابق ص ١٣٨.

جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار[9] الآلي الممل الذي يعاد فيه ذكر الشيء بنصه دون تغيير.

ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يكرر من القصص، أو من حلقاتها الا ما كان أشد تجاوبا مع بيئة الدعوة، وأكثرها استجابة لأهدافها،وخدمة لأغراضها، مثل قصص آدم، ونوح، وابراهيم، ولوط، وهود، وصالح، وشعيب، وموسى عليهم السلام.. ومما يؤيد ذلك أنا لا نجد تكرارا في غير قصص الأنبياء، حيث توجد قصص غير مكررة، كقصة البقرة التي أمر بنو اسرائيل بذبحها في سورة (البقرة). وقصة أصحاب القرية في سورة (يس) وقصة نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، في سورة(ص)،وقصة موسى والخضر، وقصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة ذي القرنين، التي وردت كلها في سورة (الكهف) وغيرها[10]. لأنها لم تكن في مثل شدة قصص الأنبياء في التجاوب مع الدعوة، والاستجابة لأهدافها وخدمة أغراضها..

واذا تتبعنا بعض مواطن التكرار في قصص القرآن استخلصنا مبرراته وأسبابه[11].. فلقد تكررت قصة آدم وابليس، لأنها قصة الانسانية كلها، في صراعها المتجدد بين قوى الخير والشر. ووردت القصة في سورة البقرة في الآيات (٢٩ - ٣٨) والأعراف في الآيات (١١ - ٢٧) والحجر في الآيات (٢٦ - ٤٤) والاسراء في الآيات (٦١ - ٦٥) والكهف في الآية (٥٠) وطه في الآيات (١١٥ - ١٢٣) وص في الآيات (٧١ - ٧٥).

---

(٩) في ظلال القران، مصدر سابق جـ ١ ص ٥٥.

(١٠) بحوث في قصص القرآن، مصدر سابق هامش ص ١٨١ وكذلك سيكولوجية القصة في القرآن، مصدر سابق ص ١١٨.

(١١) أنظر سيكولوجية القصة في القرآن، مصدر سابق ص١١٧ - ٨ ١١ و ص ١٢٠ - ١٢٣.

وتكررت قصة نوح عليه السلام، لأنه هو الرائد الأول للرسل، وأول رسول الى أهل الأرض، وجعل الله تعالى ذريته عمارا للأرض وخلفاء، وأبقى ذكره الى آخر الزمان. ووردت قصته في سورة الأعراف من الآيات (٥٩ - ٦٤) ويونس في الآيات (٧١ - ٧٣) وهود في الآيات (٢٥ - ٤٨) والأنبياء في الآيات (٧٦ - ٧٨) والمؤمنون في الآيات (٢٣ - ٣٠) والعنكبوت في الآيات (١٤ - ١٥) والصافات في الآيات (٧٥ - ٨٢) والقمر في الآيتين (٩ - ١٧).

وكان ابراهيم الخليل عليه السلام، هو من أكثر الأنبياء ذكرا في القرآن الكريم بعد موسى عليه السلام.. فقد جاء ذكره في القرآن (٦٩) مرة، بينما ذكر موسى عليه السلام (١٣٩) مرة.. وابراهيم الخليل هو أبو الأنبياء بعد نوح عليه السلام وهو أفضل أولي العزم من الرسل بعد محمد ﷺ، ولذلك أمر الله تعالى أن يصلى عليه بعده في التشهد.. وكانت بعثته ﷺ استجابة لدعوته. وفي هذا ما يشرح أسباب دوران شخصية ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، وعرض ما اتصل به من وقائع وأحداث بأكثر تنويع.

كذلك تكررت في القرآن الكريم قصص: عاد، وثمود، ومدين(*)، مع أنبيائهم هود، وصالح، وشعيب، لأنهم أقوام عرب تربطهم صلة بالحياة، والظروف، والتقاليد التي كانت عليها البيئة النبوية.

وتكررت أيضا قصة موسى مع فرعون وبني اسرائيل، لأن قومه قد أذلهم طول الاستعباد، وأفسد طباعهم، فأعرضوا عن الحق، ولاقى منهم نبيهم .ما لاقى محمد ﷺ من قريش.. وردت تلك القصة في سورة

(*) عاد كانوا يسكنون في المناطق الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب.. وثمود فتقع منازلهم بين الشام والحجاز.. ومدين فكانوا في قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز.

الأعراف في الآيات (١٠٣ - ١٧١) ويونس في الآيات (٧٥ - ٩٣) وطه في الآيات (٧٧ - ٩٨) والشعراء في الآيات (٩ - ٦٨) والقصص في الآيات (٣ - ٤٩) وغافر في الآيات (٢٣ - ٤٦) كذلك وردت تلك القصة بايجاز في سورة هود في الآيات (٩٦ - ١٠١) وابراهيم في الآيات (٥ -٨) والاسراء في الآيات (١٠١ - ١٠٤) والمؤمنون في الآيات (٤٥ - ٤٩) والنمل في الآيات (٧ - ١٤) والزخرف في الآيات (٤٦ - ٥٦) والذاريات في الآيات (٣٨ - ٤٠) ووردت أخبار بني اسرائيل في سورة البقرة في الآيات (٣٩ - ١٢٣) والمائدة في الآيات (٢٠ - ٢٦).

ولقد كانت قصة موسى مع فرعون وبني اسرائيل حافلة بالعظات، التي لا يستغني عنها الرسول ﷺ، في اقتحام العقبات، والتعود على الصبر والصمود أمام القوى الغاشمة، ليجعل من الاسلام طلائع النور في أمة طال عليها الليل، كما طال الأمد على بني اسرائيل فقست قلوبهم. وقد كان يهود المدينة أشد على الدعوة الاسلامية، في المكر والغدر واللجاجة من مشركي مكة، ومنهم الذين حرضوا المشركين وتآمروا معهم، واحتضنوا المنافقين في المدينة، وهم الذين تولوا حرب الاشاعات والدس في صفوف المسلمين، وتشكيكهم في عقيدتهم، فلم يكن بد من كشفهم للجماعة المسلمة، لتعرف من هم أعداؤهم؟ ما طبيعتهم؟ وما تاريخهم؟ وما وسائلهم[١٢]؟.

ومن الجدير ذكره أننا لا نجد تكراراً مملا أبداً في عرض أي قصة من تلك القصص، أو حلقة منها على كثرة ما عرضت في سور القرآن كما رأينا، لأنه كان هناك تنويع في اختيار الحلقات التي تعرض في كل موضع، وتغيير في مشاهد كل حلقة والجانب الذي يختار من كل مشهد،

(١٢) سيكولوجية القصة في القرآن (التهامي نقرة) مصدر سابق ص ١٢٦.

وتنويع في طريقة عرضه.. وكال هذا كان يجعلها جديدة في كل موضع، متناسقة مع هذا الموضع، ومع موضوع السورة أو السياق الذي يعرض فيه، وتشارك في تصوير الموضوع الذي يهدف اليه السياق[13].

وهكذا نجد أن في تنويع قصص الأنبياء، وما يجمع بينهم من وحدة المبادىء والأهداف، أو تشابه العلل والأمراض التي تحول دون انصياع أقوامهم الى الحق، من عوامل تأثير الالحاح على النفس بالموعظة المتكررة، والضغط عليها بالعبرة المتجددة، مما يجعل حقيقة الايمان أكثر استقرارا في القلوب لأن ذلك بمثابة الاستقراء الذي يقيم الدليل على ثبات تلك الحقيقة، واطراد نتائجها ايجابا وسلبا في كل عصر، مهما تباعد المكان، وتفاوت الزمان[14].

* * *

خلاصة ما سبق، أن التكرار في القرآن الكريم - كما رأينا - كان تكرارا غير ممل، ولا يدعو الى النفور عند القارىء أو السامع، لأنه ورد على صور متباينة، وفي سياقات مختلفة، وبتفصيلات طولا وقصرا، مع التنويع في طريقة عرضه وصياغته.. وكل ذلك مما تقتضيه الطبيعة البشرية التي لا تتأثر التأثر المطلوب، ولا تنفعل الانفعال الذي يتحول الى وجدان عميق في النفس، ما لم يتكرر تنبيهها، وتحذيرها، والتحاور معها، والتدليل على صحة ما بين يديها.. والتكرار المتنوع على هذه الصورة، هو من صميم الفعالية المطلوبة لكل رسالة اعلامية، حتى تحدث الأثر المطلوب في تشكيل الرأي العام النابه، الذي يتصرف التصرف الرشيد، بشرط أن يتميز كل ذلك بالاستقامة والنظافة، ويلتزم بالعقيدة الاسلامية الصافية، وخدمة الحق وأهله وخذلان الباطل وحزبه.

(١٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١٩ ص ٢٥٨٨ - ٢٥٨٩.

(١٤) سيكولوجية القصة في القرآن (التهامي نفرة) مصدر سابق ص ١٣٣.

الباب الثاني

الكتابة الصحفية في ضوء معالم قرآنية

الفَصْـلُ الأوّل

الاسْتِفهامَات السِّتَّة

THE SIX QUERIES

مقدمة النبأ أو الخبر أو الموضوع الصحفي، هي تلك الأسطر القليلة التي توجز في عبارات قصيرة أهم ما في تلك المادة الصحفية. وترتبط بها ارتباطا وثيقا، وتوضع في مقدمتها.. والهدف من المقدمة هو جذب القارىء، وتشجيعه على متابعة قراءة المادة الصحفية حتى النهاية، أو على الأقل تقوده في براعة الى أن يقرأ باقي المادة الصحفية أو أغلبها، وذلك بما تحمله المقدمة في طياتها من عناصر الجاذبية، والتشويق، وما يشير الى أهمية المادة الصحفية نفسها.. ولذلك فانه على نوع صياغة المقدمة، وأسلوبها، يتوقف نجاح النبأ أو الخبر أو الموضوع الصحفي بأكمله.

وهناك أنواع عديدة من مقدمات الأخبار القصيرة، والأخبار الطويلة، والموضوعات الصحفية الكبيرة، التي نجد لها في القرآن الكريم معالم كثيرة، ترشد الصحفي وتوجهه الى صياغة مقدمات جيدة، تجذب القارىء، وتشوقه، وتشجعه على قراءة المادة الصحفية حتى نهايتها.

ولنبدأ من البداية، وذلك بتخصيص هذا الفصل لتناول المعالم القرآنية التي نجد فيها أمثلة معبرة صادقة، يسترشد بها الصحفي في كتابة مقدمة الخبر القصير البسيط، وجعلها مشوقة للقارىء.. وعملية التشويق في الأخبار البسيطة تتوقف على البراعة في استهلال الخبر بالاجابة عن أقوى الاستفهامات الستة (**من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ كيف؟**) وهي الاستفهامات التي يصبح الخبر القصير البسيط كاملا اذا

تضمن اجابات عليها، أو على أغلبها، أو بعضها على حسب الاحوال.. وبمعنى آخر فان الصحفي يجري مقارنة ومفاضلة بين تلك الاستفهامات الستة، ليتخير أنسبها وأجملها وأقواها أثرا وتشويقا، لابراز اجابتها وجعلها مقدمة للخبر القصير البسيط الذي يكتبه.

وقبل أن ندخل في استعراض نماذج من المعالم القرآنية التي نسترشد بها في هذا الصدد، نوضح أن الاستهلال باستفهام **(من؟)** يعرف بالاسم أو بالشخص الذي يدور حوله الخبر.. والاستهلال باستفهام **(ماذا؟)** يعرف بالحدث.. والاستهلال باستفهام **(متى؟)** يبرز عنصر الزمان.. والاستهلال باستفهام **(أين؟)** يبرز عنصر المكان.. والاستهلال باستفهام **(لماذا؟)** يوضح سبب الحدث.. والاستهلال باستفهام **(كيف؟)** يبين كيفية الحدث.

وسنرى عند عرض أمثلة للمعالم القرآنية في هذا المجال، كيف أن القرآن الكريم كان يجري على أساس ابراز العنصر الأهم، ويلقي عليه الضوء القوي ويجعله يحتل مكان الصدارة من السياق، ويأتي في الوضع المناسب، وبالقدر المناسب منه، ويكاد ما عداه من العناصر الأخرى يختفي، أو يهمل، أو يأتي متأخرا في نهاية السياق، وذلك لعدم الاعتداد بأمره، ولعدم تعلق الغرض بذكره.

ولتوضيح ذلك نبدأ في تقديم الأمثلة من المعالم القرآنية التي يتضح منها كيف يتقدم عنصر على ما عداه من العناصر الأخرى، ويبرز في المقدمة باعتباره العنصر الأهم، الذي يدور حوله الحدث.

مقدمة (من؟) Who Lead

أولا: الاستهلال بالاستفهام من؟ أي الإسم أو الشخصية:

ومقدمة (من؟) تجيب في بداية الحدث على (الاسم) باعتباره أهم عنصر يدور حوله الحدث، أو اذا تعلق الحدث

بشخص مشهور، لذلك يقدم على ما عداه من العناصر الأخرى، ويبرز في الاستهلال. فالاسم في هذه الحالة كاف في حد ذاته لاجتذاب الاهتمام.

والدليل على ذلك أن القرآن الكريم يذكر من الأسماء ما تدعو اليه حاجة الحدث أو القصة، حتى تترك أثرها في نفس القارىء أو السامع.. ولقد ذكر الفرآن الكريم في قصصه الحق، أسماء كثيرة لشخصيات كان لها وجودها الحقيقي، ويحملون الأسماء التي كانوا يعيشون بها في الحياة، ويعرفون بها ويميزون عن غيرهم.. ومن تلك الأسماء أسماء كثير من الأنبياء والرسل، مثل: نوح، وهود، وصالح، وابراهيم، واسماعيل، واسحق، ويعقوب، وشعيب، ولوط، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.. كما ذكر القرآن الكريم أسماء كثيرين من أعداء الأنبياء والرسل، ممن تحدوا دعوة السماء، وحادوا الله ورسله مثل: فرعون، وهامان، وقارون، وآزر، وجالوت، والسامري، وهؤلاء جميعا عاشوا حياتهم، وتمثلوها، وتقلبوا في أعطافها، واحتفظ بها الواقع في سجلاته الواعية. ولهذا التأكيد البالغ لوجود الشخصيات التي ذكرها القصص القرآني بأسمائها، أثر بعيد في الأحداث التي تشارك فيها، وفي الأعمال التي تضاف اليها. وذلك من شأنه أيضا أن يرفع لعيني القارىء أو السامع للحدث، صورا حية كان لها وجود حقيقي، فان كانت الشخصية يدور حولها الحدث كان لا بد من الكشف عنها بأن يذكر اسم صاحبها، والوصف الذي له في المجتمع، وان كان ذا موقف لا يتجاوز حواشي الحدث، ولا يبرح

أطرافه، فليس من الضروري أن يذكر شيء عنه[1].

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة من المعالم القرآنية، التي أبرزت الشخصيات بأسمائها، لما لها من أثر هام في الحدث الذي شاركت فيه، أو يدور حولها الحدث ويتعلق بها.

ففي سورة (مريم) نجد عدة قصص ورد فيها أسماء بعض الأنبياء، وكانت الأسماء تحتل مكان الصدارة في مقدمة كل قصة، حيث يتركز الحدث حولها..

فهي تبدأ بقصة **(زكريا)** لذلك ورد اسمه عليه السلام في مقدمتها في قوله تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك عبده **زكريا**★ اذ نادى ربه نداء خفيا﴾.. الى آخر القصة. وقد شملت الآيات من رقم(٢) حتى رقم(١١) من سورة مريم.

ثم نجد اسم **(يحيى)** يتقدم قصته التي وردت في نفس السورة، من الآية رقم(١٢) حتى الآية رقم(١٥) ابتداء من قوله تعالى: ﴿يا **يحيى** خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا﴾.. الى آخر الآيات..

بعد ذلك نجد اسم **(مريم)** بارزا في مقدمة قصتها ومولد عيسى عليه السلام، في نفس السورة من الآية رقم(١٦) حتى الآية رقم(٣٦) ابتداء من قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب **مريم** اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾.. الى آخر الآيات. ويهمني أن أشير في هذا الصدد الى ان القرآن الكريم قد أبرز اسم (مريم) وألقى عليه الضوء، وجعله يحتل

---

(١) السيد عبد الحافظ عبد ربه - بحوث في قصص القرآن (ببروت - الطبعة الأولى ١٩٧٢ م) ص ٦٥ و ٦٦ وكذلك القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٩٥ - ٩٧.

مكان الصدارة في مقدمة تلك القصة، باعتباره العنصر الأهم الذي يدور حوله الحدث، بينما جاء اسم (عيسى) عليه السلام في أواخر تلك القصة، باعتباره يحتل دورا ثانويا فيها، حيث كان ذلك في الآية رقم(٣٤) في قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾.

يلي ذلك حلقة من قصة(**ابراهيم**) عليه السلام مع أبيه، وتنتهي باشارة الى النبيين (اسحق ويعقوب) من الآية رقم(٤١) حتى الآية رقم(٥٠) حيث نجد اسم (ابراهيم) عليه السلام، يحتل مكان الصدارة في مقدمة القصة باعتباره العنصر الأهم الذي يتعلق بالحدث.. وتبدأ تلك الحلقة من القصة بقوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب **ابراهيم** انه كان صديقا نبيا﴾.. الى آخر الآيات.. ثم نجد اسمي (اسحق ويعقوب) عليهما السلام في الآية قبل الأخيرة من تلك الحلقة من قصة ابراهيم مع أبيه، وذلك لعدم تعلق الغرض بذكرهما، في قوله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا★ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ (الآيتان ٤٩ - ٥٠).

ونجد في سورة (مريم) أيضا اسم (**موسى**) عليه السلام، بارزا في مقدمة الآيات التي أشارت اليه في قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب **موسى** انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا★ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا★ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾ (الآيات ٥١ - ٥٢ - ٥٣) وهذه الآيات تتعلق بموسى عليه السلام وتدور حوله، حيث يصف الله تعالى موسى بأنه كان مخلصا

استخلصه الله له، وتبين فضل موسى بندائه من جانب الطور الأيمن، وتقريبه الى الله لدرجة الكلام القريب في صورة مناجاة، ويذكر رحمة الله بموسى في مساعدته بارسال أخيه هارون معه حين طلب الى الله ان يعينه به[٢].. وواضح أن اسم (هارون) جاء في نهاية هذه الآيات، لأن الأمر الرئيسي لا يتعلق به، بل يتعلق بموسى عليه السلام في المقام الأول.

كذلك نجد في نفس سورة مريم اسم **(اسماعيل)** عليه السلام بارزا في مقدمة الآيتين (٥٤ و ٥٥) اللتين تتعلقان به في قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب **اسماعيل** انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا★ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾.. حيث ينوه القرآن الكريم من صفات اسماعيل عليه السلام بأنه كان صادق الوعد. وصدق الوعد صفة كل نبي وكل صالح، فلابد أن هذه الصفة كانت بارزة في اسماعيل عليه السلام بدرجة تستدعي التنويه بها بشكل خاص. كما يذكر السياق أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وهما من أركان العقيدة التي جاء بها، ويثبت له أنه كان عند ربه مرضيا[٣].. وواضح أن كل ما ورد في هذا السياق القرآني يتعلق باسماعيل عليه السلام وحده ويدور حوله، ولذلك كان إبراز اسمه في المقدمة من اللحظة الأولى، وذكره في أول السياق القرآني الذي يدور حوله ويتصل به.

---

(٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١٦ ص ٢٣١٣.
(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

وأخيرا يختم السياق هذه الإشارات بذكر اسم (ادريس) عليه السلام في الآيتين (٥٦ - ٥٧) في قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا★ ورفعناه مكانا عليا﴾ والآيتان تتعلقان به وحده وتدوران حوله.. حيث يصفه القرآن الكريم بأنه كان صديقا نبيا، ويسجل له أن الله رفعه مكانا عليا، فأعلى قدره ورفع ذكره[٤]. ومن أجل ذلك وجدنا اسمه عليه السلام يحتل مكان الصدارة في هذا السياق المتعلق به.

★ ★ ★

مقدمة (ماذا؟) What Lead

ثانيا: الاستهلال بالاستفهام (ماذا؟) أي الحدث:

وهذه المقدمة تجيب في بداية القصة الخبرية عن سؤال (ماذا؟) أو عن الحدث، باعتباره أهم ما تدور حوله القصة الخبرية، ولذلك تتقدم ما عداها، وتبرز في المقدمة.

ففي دائرة الدقة التي هي منتهى الحكمة، نجد القرآن الكريم يشير في هذا المجال الى بعض الشخصيات دون ذكر أسمائها، أو الكشف عن وظائفها الاجتماعية في الحياة، بل يكتفي بذكر بعض ما لها من صفات نفسية، وروحية، حيث لم يتعلق الغرض بذات الشخص وبالوظيفة الاجتماعية التي له، وانما الشأن كله فيما يشتمل عليه كيانها من قوى، وما لهذه القوى من أثر في مجرى الحدث الذي تعرضه القصة الخبرية[٥].

---

(٤) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٥) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٩٩ - ١٠٠ وكذلك بحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص ٦٦.

ومن أمثلة المعالم القرآنية في هذا الشأن قوله تعالى: ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ (سورة الكهف الآيات ٦٥ - ٨٢) ففي هذه الصفات يلقي القرآن ضوءه، ويسلط أشعته على سر مواقفه غير المألوفة لموسى مع صاحبه[٦]، في الأحداث التي اشتملت عليها القصة التي وردت في الآيات التي تلت الآية السابقة.. فالأحداث هي المقدمة والمبرزة، وليس هناك فائدة من ذكر اسم هذا العبد، لأن الصفات التي اتصف بها هي التي كان لها الأثر الأقوى في مجرى الأحداث.

ومثل قوله تعالى في قصة ثمود: ﴿كذبت ثمود بطغواها★ اذ انبعث أشقاها★ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها★ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ★ ولا يخاف عقباها﴾ (سورة الشمس الآيات ١١ - ١٥) وواضح ان (أشقاها) لم يذكر السياق القرآني اسمه، ولا داعية لتسميته باسمه، ولا أكثر من وصفه بأنه أشقى رجل في قبيلته. كما لم يذكر السياق القرآني أيضا اسم الرسول، لأن العبرة هي الردع لمن يكذب رسالة الله ويجحد بآياته.. وكان التركيز في المعلم القرآني على ذكر الحادث، جزاء ما فعل المجرمون. لأنه هو المقصود من ضرب المثل لتخويف العصاة وردعهم، وكان الاقتصار على ذكر صفة الشخصية على قدر ما تتطلبه حاجة البيان في هذا الحدث، لعدم الاعتداد بأمر الشخصية، ولعدم تعلق الغرض بذكر اسمه[٧]. ومن هنا برز عنصر الحدث، وتراجع ما عداه من العناصر.

(٦) المصدر الأخير السابق ص٦٧.

(٧) بحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص٥٢.

ومثل قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون ★ اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون﴾.. الى آخر الآيات (سورة يس الآيات ١٣ حتى ١٩). ونقرأ حتى آخر القصة نجد أن ليس فيها أسماء، حتى اسماء، المرسلين، فهذه الشخصيات المغطاة لا تدعو ضرورة الى كشفها أو التعريف بها، لأنها لا تؤدي دورها في الحدث هنا باعتبارها خاصة مميزة لها، وانما هي مثل عام لجنسها كله في صلاحيته للقيام بهذا الدور. ومن هنا تكون عمومية المثل وصلاحيته، وشموله لجميع الأفراد فيما ضرب له، وسيق من أجله، ولأن عبرة القصة، ونتاج الموعظة لا تستدعي أكثر من ذلك[٨]. فالحدث هو البارز هنا، لأنه سيق للعبرة والموعظة، والمقام يستدعي ابراز الحدث والتركيز عليه، وتقديمه على ما عداه لتعلق الغرض به.

ويلاحظ في كل المعالم القرآنية التي قدمناها في مجال الاستهلال بالاستفهام (ماذا) أي الحدث، أن القرآن الكريم كان يبرز عنصر الحوادث، ويخفي أو يهمل ما عداها من العناصر، فان القصص القرآني الذي يقصد فيه الى التأثير بالأحداث، والتخويف بها، تبرز الحادثة، ويختفي ما عداها، ومما يختفي الأسماء ويكتفي عوضا عنها بالاشارة الى الصفات.

★ ★ ★

(٨) بحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص ٦٧.

مقدمة (متى؟) When Lead

ثالثا: الاستهلال بالاستفهام (متى؟) أي الوقت أو الزمان:

ومقدمة (متى؟) تجيب في بداية القصة الخبرية عن (الوقت أو الزمان) باعتباره أهم ما يدور حوله الحدث، ولذلك يتقدم هذا العنصر على ما عداه من العناصر الأخرى.. وأوضح أن المقصود بالوقت أو الزمان في هذا النوع من المقدمات، ليس كلمات (أمس أو اليوم أو غدا) التي ترد في مقدمة الأخبار للتدليل على جدة الخبر وحداثته، ولكن المقصود أن يكون عنصر الوقت أو الزمان هو المحور الأساسي الذي يدور حوله الخبر، أو أن يكون للوقت والزمن الأثر الأقوى في مجرى الحدث مما يحتم تحديده، وجعله يحتل مكان الصدارة، ويتقدم ما عداه من عناصر أخرى.

ومن المعالم القرآنية التي توضح أهمية الزمن أو الوقت، حيث يستدعيه الموقف ويقتضيه داعية الحال.. قوله تعالى: ﴿وجاءوا أباهم **عشاء** يبكون﴾ (سورة يوسف الآية ١٦).. هنا نجد أن القرآن الكريم قد ركز على كلمة (**عشاء**) لتوضيح الغرض والهدف وهذا من دقائق التصوير القرآني، حيث أن هذه الجزئية من جزئيات الزمن لها الأثر الأقوى في مجرى الحدث، والمكان البارز فيه.. فهؤلاء اخوة يوسف وقد فعلوا فعلتهم، والقوه في غيابات الجب، لم يستطيعوا أن يواجهوا أباهم بهذا الكذب الصراح، وبأن الذئب قد أكله، لم يستطيعوا مواجهة أبيهم بهذا في وضح النهار، حيث ينكشف على ضوئه ما ينعكس على عيونهم من استخذاء

وانكسار، وما يظلل وجوههم من كسوف الكذب وخسوفه. لهذا فقد ضبط القرآن الكريم الزمن الذي جاءوا فيه الى أبيهم (عشاء) ليخبروه بهذا الخبر المكذوب. فهذه الجزئية من جزئيات الزمن، حرص القرآن الكريم على اثباتها لأن لها مكانا بارزا في سير أحداث ارتكاب الجريمة، ولقد كان ظلام الليل (عشاء) دثارا كثيفا احتمى فيه هؤلاء الأبناء، وداروا فيه ما كان يفضحه النهار منهم من كذب وخجل(٩).

معلم قرآني آخر يوضح حرص القرآن الكريم أيضا على اثبات جزئية من جزئيات الزمن، لأن لها مكانا بارزا في سير الحدث، وهو قوله تعالى: ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ★ فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى ★ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾ (سورة طه الآيات ٥٧ - ٥٩).. فقد طلب فرعون الى موسى تحديد موعد للمباراة مع السحرة.. وترك له اختيار ذلك الموعد للتحدي ﴿فاجعل بيننا وبينك موعدا﴾ وشدد عليه في عدم اخلاف الموعد زيادة في التحدي ﴿ لا نخلفه نحن ولا أنت﴾ وأن يكون الموعد في مكان مفتوح مكشوف ﴿مكانا سوى﴾ مبالغة في التحدي(١٠).

وقبل موسى عليه السلام تحدي فرعون له. واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، يأخذ فيه الناس في

---

(٩) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٨٤ - ٨٥ وكذلك بحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص ٥٩.

(١٠) في ظلال الفرآن، مصدر سابق جـ ١٦ ص ٢٣٤٠.

مصر زينتهم، ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة، ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ وطلب أن يجمع الناس «**ضحى**» ليكون المكان مكشوفا والوقت ضاحيا، فقابل التحدي بمثله وزاد عليه اختيار **الوقت** في أوضح فترة من النهار، وأشدها تجمعا يوم العيد.. لا في الصباح الباكر، حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية(١١).

ويذكر الله تعالى الاشراق والصباح في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ (سورة الحجر الآية ٧٣) وفي قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ (سورة الحجر الآية ٨٣) وفي قوله تعالى: ﴿فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾ (سورة الصافات الآية ١٧٧) وهنا نجد الاعجاز القرآني قد أشار الى فعالية الزمان وأن الله ينزل العذاب في هذا الزمان في الصباح المبكر، وفي أول خيوط النهار، ومع الاشراقة الوليدة، حتى يشاهدوا عذاب الله ويبصرونه واقعا فيهم، فيزداد وقعه عليهم، ويكون تعذيبا فوق تعذيب(١٢).

* * *

مقدمة (أين؟) Where Lead

رابعا: الاستهلال بالاستفهام (أين) أي المكان:

ومقدمة (أين؟) تجيب في بداية الخبر عن (المكان) عندما يكون مكان الحدث له معنى خاص، باعتباره أهم ما يدور

(١١) نفس المصدر السابق.

(١٢) بحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص ٥٩ و ٦٠.

حوله الخبر، ولذلك يتقدم ما عداه من الاستفهامات الأخرى، على أساس أن عملية التشويق تتوقف على أن عنصر **المكان** أقوى أثرا، واثارة في الحدث.

والمكان له أيضا حساب في ضبط حركات الأحداث، وانتظام خطوها.. اذ هو أشبه بالوعاء للأحداث لأنها نقع فيه، وهو ملموس، ويكون له أثر بعيد في صنع الحدث وتطوره، اذا كان لهذا المكان طبيعة خاصة يتأثر بها الحدث، ولا يقع له هذا التأثر في مكان آخر.. والقرآن الكريم ينظر الى المكان في قصصه على هذا الاعتبار.. فهو لا يلتفت اليه، ولا يجري له ذكرا الا اذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في سير الحدث، أو يبرز ملامحه أو يقيم شواهد العبرة والعظة منه(١٣).

وأوضح معلم قرآني يظهر فيه لتحديد المكان قيمة نفسية وروحية، تفتقدها الحادثة اذا لم تجيء في صحبة هذا المكان، ولم تتلبس به، ما جاء في ذكر الاسراء مقترنا بالمكان الذي بدأ منه، والذي انتهى اليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ (سورة الاسراء آية ١).. فقد ذكر القرآن الكريم المكان صراحة لأنه مكان له وضع خاص.. فالمسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في بيت المقدس، وبين هذين المسجدين أو البلدين كان مسرى

---

(١٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٩١ و ٩٢ وكذلك بحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص ٦٢ و ٦٣.

رسول الله ﷺ، وليس يغني في هذا الصدد أن يجهل المكان الذي كان منه الاسراء أو الذي انتهى اليه، اذ تفتقد الصورة هذا اللون الذي يشيعه ذكر المسجدين الحرامين في النفوس، من مشاعر الجلال والاعظام[١٤].

مثال آخر حدد القرآن الكريم فيه المكان تحديدا تاما، وهو المكان الذي كلم الله سبحانه وتعالى فيه موسى عليه السلام. وذلك في قوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين﴾ (سورة القصص آية ٣٠) فان تحديد المكان في هذه الآية من الاعجاز القرآني، لما للمكان هنا من كيان خاص، ووضع خاص انفرد به من بين الأمكنة، ويؤدي مغزاه في موضعه، ويتعلق الغرض به، بحيث تهب منه على الحدث أنسام معطرة، ممزوجة بمشاعر الجلال والاعظام لهذه البقعة المباركة.

كذلك من الأمثلة التي ذكر فيها القرآن الكريم المكان ذكرا محددا، لما لهذا الذكر من أثر يبرز ويقوي دواعي العبرة والعظة التي يحملها.. ففي قصة يوسف تحدد المكان الذي حمل «يوسف» عليه السلام اليه، وبيع فيه، وهو «مصر»[١٥].. وكان لا بد من ذكر ذلك المكان الذي استقر فيه يوسف عليه السلام، لأن هذا المكان له أثر وتعلق بالحدث. حيث يشير الى تلك الغربة النائية التي فصلت بين يوسف وبين أبيه وأهله، فهو في **مصر** وهم في أرض كنعان.

---

(١٤) المصدر الأول السابق ص ٩٢ وكذلك الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (محمد محمود حجازي) مصدر سابق ص ٣١٥.

(١٥) أنظر سورة يوسف الآية ٢٠ و ٢١.

بالشام.. وأيضا لأن هذا المكان (مصر) سيكون مسرحا لأحداث كثيرة ستقع في هذه القصة كما ذكرت في القرآن الكريم، وأهمها حلم «الملك» وتأويل يوسف له، ثم قيام يوسف على تدبير شئون الحياة الاقتصادية في مصر خلال تلك الأزمة العصيبة، ثم مجيء يعقوب عليه السلام وأهله آخر الأمر الى مصر، واستقرارهم بها.. الخ[١٦].

وهكذا نرى أن عنصر المكان هنا، تتوقف عليه عملية التشويق، لما له من أثر واثارة في الحدث، ولما له أيضا من أثر كبير في الباس الحدث ثوبا من الواقع الذي يجتذب اهتمام الناس وانتباههم. أما اذا لم يكن للمكان تلك الخاصية التي تجعل له وضعا منفردا به من بين الأمكنة، أو لم يكن له أثر وتعلق بالحدث، فان القرآن الكريم لا يحدده تحديدا تاما واضحا، ونكاد نلمح ظلال المكان فقط، بل ويكاد لا يعبأ به.. كقوله تعالى: «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان﴾ (سورة النحل آية ١١٢) وقوله تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ (سورة القصص آية ٢٠).. وفي قصة أصحاب الكهف أيضا وغير ذلك من الأمثلة لم يذكر القرآن الكريم الأمكنة التي جرت فيها الأحداث محددة بالتعيين، حيث لا يتعلق غرض بها، وانما الذي يشغل البال هو الحدث في حد ذاته.

* * *

(١٦) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٩٤.

مقدمة (لماذا؟) Why Lead

خامسا: الاستهلال بالاستفهام (لماذا؟) أي السبب:

ومقدمة (لماذا؟) تجيب في بداية القصة الخبرية عن (السبب) باعتباره أهم ما يدور حوله الحدث. وأن عملية التشويق تتوقف على أنه أقوى أثراً واثارة في الحدث. ولذلك يتقدم هذا العنصر على ما عداه من العناصر الأخرى.

والمعالم القرآنية في هذا الصدد كثيرة جدا، ونجدها مبثوثة على امتداد كتاب الله.. ومن بينها قوله تعالى: ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل آية ١٤).. وهنا نجد أن السبب الذي سخر الله تعالى البحر من أجله واضح تمام الوضوح وبارز في صلب الآية، وهو محورها الأساسي وتدور حوله.. فان السبب في تسخير البحر وتذليله أنه يلبي ضرورات الانسان وأشواقه، فمنه اللحم الطري من السمك الذي يصطاد منه، وغيره من الطعام. والى جواره الحلية من الجواهر النفسية كاللؤلؤ والمرجان وغيرهما من الأصداف والقواقع التي يتحلى بها أقوام حتى الآن.. والتعبير عن الفلك يشي بتلبية حاسة الجمال أمام مشهد البحر والفلك تشق عبابه وهي تحمل الأمتعة والأقوات. كذلك يوجهنا السياق القرآني الى ابتغاء فضل الله ورزقه، والى شكره على ما سخر من الطعام والزينة والجمال في ذلك الملح الأجاج[١٧].

(١٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٤ ص ٢١٦٣.

ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ (سورة النحل آية ٣٦).. والسبب هنا واضح أيضا وبارز في الآية، فان الله سبحانه وتعالى قد بعث الرسل الى الأمم يأمرون بعبادة الله وحده، واجتناب كل ما عداه من وثنية وهوى وشهوة وسلطان، ففريق استجاب الى الهدى وفريق شرد في طريق الضلال[١٨].

* * *

مقدمة (كيف؟) How Lead

سادسا: الاستهلال بالاستفهام (كيف؟) أو كيفية الحدث:

ومقدمة (كيف؟) تجيب في بداية القصة الخبرية عن الطريقة التي وقع بها الحدث، باعتبارها أكثر تشويقا وأهم ما يدور حوله الحدث وأكثر أثرا واثارة. ولذلك تتقدم على ما عداها من عناصر أخرى.

ومن المعالم القرآنية في هذا الشأن قوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (سورة المعارج آية ٤) والسياق يشير هنا الى الطريقة التي يقع بها الحدث وهي أن الملائكة والروح تصعد الى الله عز وجل في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا. وقال ابن عباس هو يوم القيامة، وعروج الملائكة والروح في هذا اليوم يفرد بالذكر ايحاء بأهميته في هذا اليوم وخصوصيته. ونحن لا ندري ولم نكلف أن ندري كيف يصعدون[١٩].

(١٨) نفس المصدر السابق جـ ١٤ ص ٢١٧١.

(١٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٩ ص ٣٦٩٦ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ٢٩ ص ٤٤٣.

وكذلك قوله تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا﴾ (سورة الاسراء آية ٦٤) وفي هذا تجسيم لوسائل الغواية والاحاطة والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول. فهي المعركة الصاخبة تستخدم فيها الأصوات، والخيل، والرجال على طريقة المعارك والمبارزات، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة، أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة، فاذا استدرجوا الى العراء أخذتهم الخيل، وأحاطت بهم الرجال. والمشاركة في الأموال بكسبها من الحرام، وانفاقها في المعاصي والتصرف فيها بغير حق. وفي الأولاد بتحسين اختلاط الرجال بالنساء حتى يكثر الفجور ويكثر أولاد الزنى. والتعبير يصور في عمومه شركة تقوم بين ابليس وأتباعه، تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة. وابليس مأذون في أن يستخدم وسائله كلها، ومنها الوعود المغرية الخادعة، والأماني الكاذبة، كالوعد بشفاعة الأصنام، والوعد بالغنى من المال الحرام، والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل القذرة والأساليب الخسيسة، والوعد بالعفو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة، وهي الثغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب، التي يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة، فيتلطف الى تلك النفوس المتحرجة، ويزين لها الخطيئة وهو يلوح لها بسعة الرحمة وشمول العفو والمغفرة(٢٠).

---

(٢٠) في ظلال القرآن - مصدر سابق جـ ١٥ ص ٢٢٣٩ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ١٥ ص ١٦٧.

وقوله تعالى: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية★ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ (سورة الحاقةالآيتـان٦-٧) والسياق القرآني يشير هنا الى الطريقة التي أهلكت بها عاد - قوم هود - حيث أهلكهم الله بالريح الشديدة الباردة العاتية التي تناسب عتو عاد وجبروتها، وكانوا جبارين بطاشين. وقد سلط الله عليهم تلك الريح الصرصر العاتية سبع ليال وثمانية أيام متتابعة لا تفتر ولا تنقطع. والتعبير يرسم مشهد العاصفة المزمجرة المدمرة المستمرة هذه الفترة الطويلة. ثم يعرض السياق المشهد الساكن الكئيب بعد تلك العاصفة المزمجرة المدمرة شاخصا، حيث نرى القوم موتى لا حراك بهم، كأنهم جذوع نخل متآكلة الأجواف ساقطة على الأرض هامدة[٢١].

وقوله تعالى: ﴿الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ★ ألم يجعل كيدهم في تضليل ★ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ★ ترميهم بحجارة من سجيل ★ فجعلهم كعصف مأكول﴾ (سورة الفيل آية ١ - ٥) وهنا يبين السياق القرآني كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، وكيف جعل كيدهم في تضليل، وذلك في صورة وصفية رائعة ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل★ ترميهم بحجـارة من سجيـل★ فجعلهم كعصـف مـأكول﴾. والأبابيل الجماعات، وسجيل كلمة فارسية مركبة من كلمتين تفيدان: حجر وطين، أو أحجار ملوثة بالطين، والعصف الجاف من أوراق الشجر، ووصفه بأنه مأكول أي فتيت

(٢١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٩ ص ٣٦٧٩ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ ٢٩ ص ٤٣٥.

طحين. وهي صورة حسيـة للتمزيـق البـدني بفعـل هـذه الأحجار التي رمتهم بها جماعات الطير[٢٢].

* * *

مقدمات استفهامية أخرى

ما تقدم كان استعراضا لمعالم قرآنية حول الاستفهامات الستة، وكيفية اختيار الاستفهام الأهم في القصة وجعله يتقدم ما عداه من الاستفهامات، ويحتل المقدمة على أساس أن عملية التشويق تتوقف على أنه أقوى أثرا واثارة الاهتمام في الحدث، وأنه أهم ما يدور حوله ذلك الحدث..

لكن ليس شرطا أن تجيب مقدمة القصة الخبرية البسيطة على سؤال واحد من تلك الأسئلة الستة (من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ كيف؟) فقد يكون عامل التشويق، وقوة الأثر واثارة الاهتمام في الاجابة في المقدمة يتوقف على عدد من تلك التساؤلات، بل ربما يكون ذلك في الاجابة عن الأسئلة الستة كلها مرة واحدة.

وهناك الكثير من المعالم القرآنية في هذا الصدد ومنها قوله تعالى: ﴿وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾ (سورة الشعراء الآيات ١٩٢-١٩٥) يتحدث السياق عن القرآن الكريم، فيؤكد أنه تنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين وهـو جبريل عليه السلام، من عند الله على قلب رسول الله ﷺ، فتلقاه تلقيا مباشرا، ووعاه وعيا مباشرا ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين[٢٣].

---

(٢٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق حـ ٣٠ ص ٣٩٧٩.
(٢٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٩ ص ٢٦١٧.

هذا المعلم القرآني يقدم لنا اجابات عن أكثر من استفهام واحد. فانه يقدم اجابة عن أربعة استفهامات على النحو التالي:

أولا: **استفهام (من؟) أو الاسم أو الشخصية:** حيث ذكرت الآيات أكثر من اسم، والأسماء هي: لفظ الجلالة (رب العالمين) وجبريل عليه السلام (الروح الأمين) ومحمد ﷺ، وقد أشار اليه قوله تعالى: ﴿على قلبك لتكون من المنذرين﴾.

ثانيا: **استفهام (ماذا؟) أو الحدث:** وهو هنا تنزيل القرآن الكريم.

ثالثا: **استفهام (كيف؟):** أو الطريقة التي نزل بها القرآن الكريم، وهي هنا ﴿نزل به الروح الأمين﴾ على قلب رسول الله ﷺ.

رابعا: **استفهام (لماذ؟) أو السبب:** فان الاجابة عن سبب نزول القرآن الكريم، ولماذا أنزل ﴿لتكون من المنذرين﴾ أي ليكون رسول الله ﷺ من المنذرين بلسان عربي مبين.

ومعلم قرآني آخر اجابة عن أكثر من استفهام يتمثل في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾ (سورة الاسراء آية ١) والتفسير أن الله سبحانه وتعالى تقدس وتنزه عما لا يليق بجلاله، الذي انتقل بعبده ونبيه محمد ﷺ، في جزء من الليل من المسجد الحرام في مكة المكرمة، الى المسجد الأقصى في بيت المقدس، وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام. وقد قال المفسرون ان السياق القرآني قال (ليلا) بلفظ التنكير لتقليل مدة الاسراء، وأنه قطع به المسافات الشاسعة البعيدة في جزء من الليل، وكانت مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في القدرة والاعجاز، الدال على كمال القدرة، وبالغ الحكمة، ونهاية تنزهه تعالى عن صفات المخلوقين وقد بارك الله تعالى حول المسجد الأقصى بأنواع البركات الحسية والمعنوية، بالثمار والأنهار

التي خص الله بها بلاد الشام، وبكونه مقر الأنبياء، ومهبط الملائكة الأطهار. ثم يوضح السياق القرآني أن سبب هذا الاسراء، لنري محمدا ﷺ آياتنا العجيبة العظيمة، ونطلعه على ملكوت السماوات والأرض. فقد رأى صلوات الله عليه السماوات العلى، والجنة والنار، وسدرة المنتهى، والملائكة، والأنبياء، وغير ذلك من العجائب والآيات التي تدل على قدرة الله تعالى السميع البصير[٢٤].

من ذلك نرى أن هذه الآية الواحدة، قد تجمعت فيها اجابات عن الاستفهامات الستة كلها وذلك على النحو التالي:

أولا: **استفهام (من؟) أو الاسم**: حيث نجد «سبحان الذي» والذي هنا تعود على الله سبحانه وتعالى.. ثم نجد «بعبده» وهو نبيه محمد ﷺ.

ثانيا: **استفهام (ماذا؟) أو الحدث**: وهو هنا حدث الاسراء نفسه. وهذه الرحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، الى محمد خاتم النبيين ﷺ، وتربط الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا[٢٥].

ثالثا: **استفهام (كيف؟) أو الطريقة**: وهي هنا طريقة الاسراء بعبده، أي الانتقال بعبده ونبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، في جزء من الليل، بينما المسافة بين المسجدين شاسعة وتقطع في أربعين ليلة.

رابعا: **استفهام (متى؟) أو الزمان**: فكلمة (أسرى) تحمل معها زمانها، ولا تحتاج الى ذكره، فالاسراء من السري ومعناه

---

(٢٤) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ١٥ ص ١٥١ و ١٥٢.
(٢٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٥ ص ٢٢١٢.

السير ليلا. ولكن السياق ينص على الليل ﴿اسرى بعبده ليلا﴾ للتظليل والتصوير - على طريقة القرآن الكريم - فيلقي ظل الليل الساكن، ويخيم جوه الساجي على النفس وهي تتملى حركة الاسراء اللطيفة وتتابعها[٢٦]. وأيضا كما سبق ذكره من أن السياق قال (ليلا) بلفظ التنكير لتقليل مدة الاسراء وأنه قطع به المسافات الشاسعة البعيدة في جزء من الليل، وكانت مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في القدرة والاعجاز.

خامسا: **استفهام (أين؟) أو المكان:** وقد سبق أن تحدثنا عن هذا الاستفهام عندما تناولنا الاستهلال باستفهام (أين؟) أو المكان (فليرجع اليها في موضعها من الكتاب) والمكان في الآية هنا «من المسجد الحرام» في مكة المكرمة «الى المسجد الأقصى» في بيت المقدس. وبين هذين المسجدين أو البلدين المباركين كان مسرى رسول الله ﷺ.

سادسا: **استفهام (لماذا؟) أو السبب:** فسبب هذا الحدث العظيم كما ذكرت الآية كاشفة عن حكمة الاسراء.. ليطلع الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ، على آياته العجيبة العظيمة، وهي ملكوت الله في السماوات والأرض. فقد رأى ﷺ - كما سبق ذكره في تفسير الآية - السماوات العلى، والجنة والنار، وسدرة المنتهى، والملائكة، والأنبياء، وغير ذلك من آيات الله السميع البصير، الدالة على قدرته تعالى.

* * *

---

(٢٦) نفس المصدر السابق جـ١٥ ص ٢٢١١ و٢٢١٢.

وهكذا رأينا كيف كان الاعجاز القرآني يبرز أهم الحلقات والمشاهد، وأشدها حيوية وحركة، ويجعلها تحتل المقدمة ومكان الصدارة في الحدث، ويضع اجابة كل استفهام من الاستفهامات الستة، أو بعض تلك الاستفهامات، أو كلها، في الموضع المناسب، وبالقدر المناسب، وكل ذلك من شأنه أن يشد انتباه القارىء أو السامع، ويرفع لعينيه وسمعه صورا حية، لها وجود حقيقي. فكل تلك المواد من أسماء وزمان ومكان وأحداث، وأسباب وقوع تلك الأحداث، وطريقة وقوعها، كل ذلك من بين يدي الواقع المصفى، الذي له وجود حقيقي معروف لا تشوبه شائبة من خداع، أو وهم، أو نسيان. وليس أدل على ذلك من أن الأشخاص الذين تعرضهم قصص القرآن وأحداثه يحملون الأسماء التي كانوا يعيشون بها في الناس وفي الحياة. فقد ذكر القرآن الكريم أسماء كثير من الأنبياء والرسل، وأسماء شخصيات تحدت دعوة السماء وحادت الله ورسوله. وذكر أيضا أسماء كثير من الأمكنة التي ما زال الكثير منها معروفا معلوما حتى الآن.. .. والأزمنة أيضا ما زالت بنفس مسمياتها كما ذكرها القرآن حتى وقتنا الحاضر.. والأحداث وأسباب وقوعها، وكيفية وقوعها كلها أيضا من صميم الواقع الحق... وهل هناك أصدق من قول الله سبحانه وتعالى «ومن أصدق من الله قيلا».

ونكتفي بهذا القدر في مجال استعراض المعالم القرآنية التي تتعلق بالاستهلال بالاستفهامات الستة (من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ كيف؟) وهي الخاصة بمقدمات الأخبار القصيرة البسيطة.. ويبقى بعد ذلك ان نستعرض المعالم القرآنية الخاصة بمقدمات الأخبار الطويلة والموضوعات الصحفية الكبيرة.. وهذا هو موضوع الفصل التالي..

الفصل الثاني

مُقدّمات الأخبار الطّويلة

THE LEAD OF LENGTHY REPORTS

لقد ركزنا الاهتمام في الفصل السابق على دراسة معالم قرآنية، للاسترشاد بها في كتابة مقدمات الأخبار القصيرة أو البسيطة، لكي تشد انتباه القارىء، وتدفعه الى متابعة قراءة المادة الصحفية حتى نهايتها.

وفي هذا الفصل نركز الاهتمام، على دراسة معالم قرآنية نسترشد بها ونستهدي في كتابة مقدمات الأخبار الطويلة والموضوعات الصحفية الكبيرة، حيث نخرج بالمقدمة الى نطاق أوسع يعطيها أسماء عديدة، وأنواعا مختلفة، تجعلها أكثر بريقا ودقة، وأشد جاذبية[1].. ومن أنواع تلك المقدمات ما يلي:

أولا: مقدمة التباين : THE CONTRAST LEAD

وهي مقدمة تقوم على أساس أن جوهر الخبر أو الموضوع يوجد في التباين، أو تصادم الحقائق المتعارضة أو المتناقضة، أو المقارنة بين الحالة الطارئة وحالة أخرى سابقة أو قد يكون الجوهر في ربط التطور الجديد بحالة قديمة لها علاقة بهذا الجديد[2].

ومن المعالم القرآنية في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿لقد

(١) جلال الدين الحامصي - من الخبر الى الموضوع الصحفي (القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٣٢.

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٢٣ وكذلك فن الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد) مصدر سابق ص ٣٥٦.

كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ★ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ★ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ★ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين ★ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلمو أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (سورة سبأ الآيات ١٥ - ١٩)

تتحدث الآيات القرآنية عن الخير العميم الذي كانت عليه سبأ، ثم بطرها بالنعمة وزوالها عنهم، وتفرقهم بعد ذلك وتمزقهم كل ممزق، بعد اعراضهم عن شكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعم[٣].

وواضح في هذا التباين بين الحالتين، والمقارنة بين الحالة السابقة والحالة الطارئة.. الأولى نعيم عميم، والثانية زوال النعيم عنهم، وتمزقهم كل ممزق. وقد جمع السياق القرآني بين الصورتين في خمس آيات، تبدأ بوصف ما كانت عليه سبأ من رزق ورغد ونعيم، وسبأ اسم لقوم كانوا يسكنون جنوبي اليمن في أرض خصبة، وجنان عن اليمين والشمال. وكانوا يتحكمون في مياه الأمطار الغزيرة، حيث أقاموا خزانا طبيعيا يتألف جانباه من جبلين، وجعلوا على فم الوادي بينهما سدا عرف باسم سد مأرب، وبه عيون تفتح وتغلق ليتحكموا في استخدام الماء وفق حاجتهم. وقد

---

(٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٢٢ ص ٢٩٠٠.

أمروا ان يستمتعوا برزق ربهم ويشكروه على ما أنعم عليهم. فأعرضوا عن شكر الله، فسلبهم سبب هذا الرخاء الذي يعيشون فيه، وأرسل عليهم سيلا جارفا حطم السد وخربه، وذهب بالجنان والبساتين، وتبدلت الى صحراء تتناثر فيها أشجار الخمط والأثل وقليل من النبق.. وكان العمران متصلا بينهم وبين القرى المباركة: مكة في الجزيرة، وبيت المقدس في الشام. والطريق عامر مطروق مسلوك مأمون، والراحة موفورة لتقارب المنازل، وتقارب المحطات في الطريق.. فغلبت الشقوة على سبأ، ولم ينفعهم النذير الأول، ولم يوجههم الى التضرع الى الله، بل دعوا دعوة الحمق والجهل، وطلبوا الأسفار البعيدة المدى، وكان هذا من بطر القلب، وظلم النفس. واستجيبت دعوتهم، فشردوا ومزقوا، وتفرقوا في أنحاء الجزيرة مبددي الشمل، وصاروا مضرب الأمثال، فقيل للقوم يتفرقون تفرق أبدي سبأ، وأصبحوا أحاديث يرويها الرواة، وقصة على الألسنة والأفواه، بعد أن كانوا أمة ذات وجود في الحياة[4].

ومن المعالم القرآنية في هذا المجال، أيضا، قوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ★ تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ (سورة الأحقاف الآيتان ٢٤ - ٢٥).

وواضح من هذا المعلم القرآني وجود التباين في تصادم الحقائق المتعارضة أو المتناقضة.. والنص القرآني هنا كان

(٤) نفس المصدر السابق ص٢٩٠٠ - ٢٩٠٢ وكذلك تفسير المراغي، مصدر سابق جـ٢٢ ص٧٤.

ضمن جدل طويل بين هود عليه السلام وقومه. وتقول الروايات: انه أصاب القوم حر شديد، واحتبس عنهم المطر، وقحطوا مدة طويلة من الزمن. ثم ساق الله اليهم سحابا، ففرحوا به فرحا شديدا، وخرجوا يستقبلونه في الأودية، وقالوا هذا السحاب يأتينا بالمطر.. فقال لهم هود عليه السلام: ليس الأمر كما زعمتم أنه مطر، بل هو ما استعجلتم به من العذاب، وهو ريح عاصفة مدمرة تخرب وتهلك كل شيء أتت عليه، من رجال، ومواشي، وأموال، بأمره تعالى واذنه. فأصبحوا هلكى لا تُرى الا مساكنهم، لأن الريح لم تبق منهم الا الآثار والديار خاوية(٥).

كذلك من المعالم القرآنية في مجال التباين، قوله تعالى: ﴿وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (سورة القصص الآية ٧) وجوهر التباين في هذا المعلم القرآني أيضا، يوجد في تصادم الحقائق المتعارضة أو المتناقضة.

يا لله! يا للقدرة! يا أم موسى أرضعي ابنك، فاذا خفت عليه وهو في حضنك، وهو في رعايتك، اذا خفت عليه وفي فمه ثديك، وهو تحت عينيـك. اذا خفت عليه من فرعون، فألقيه في البحر ولا تخافي عليه من الغرق، ولا تحزني على بعده.. فكيف يكون الالقاء في البحر نتيجة للخوف؟. وهل من المعقول أن الانسان اذا خاف على طفله الرضيع

---

(٥) نفس المصدر السابق جـ ٢٦ ص ٣٢٦٧ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ ٢٦ ص ١٩٩.

مكروها يلقيه في البحر؟. ومعروف أن البحر قد يغرق فيه الرجال والشباب فكيف بالرضع؟! ولكنها عناية الله ورعايته تحوط برسوله وهو في المهد، ويحفظه لها ويرده اليها كما وعدها، ويجعله من المرسلين، وتلك بشارة الغد ووعد الله أصدق القائلين ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ أهذا هو الأمن؟. أهذا هو الوعد؟. أهذه هي البشارة؟. وهل كانت أمه تخشى عليه الا من آل فرعون؟.. وهل كانت ترجف الا أن ينكشف أمره لآل فرعون؟ وهل كانت تخاف الا أن يقع في أيدي آل فرعون؟ ولكنها القدرة تتحدى فرعون وهامان وجنودهما بطريقة سافرة مكشوفة، وتلقي اليهم بالطفل الذي على يديه هلاكهم أجمعين، وهو مجرد من كل قوة، ومن كل حيلة. وعاجز عن أن يدفع عن نفسه أو حتى يستنجد، ليكون لهم عدوا يتحداهم، وحزنا يدخل الهم على قلوبهم[(٦)].

أيضا من المعالم القرآنية في مجال التباين قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق * ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد﴾ (سورة الحج الآيات ١٩-٢٤).

مشهد من مشاهد القيامة يتجلى فيه التباين في صورتين

(٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٠ ص ٢٦٧٩ وكذلك التفسير الواضح، مصدر سابق، جـ ٢٠ ص ٢٣.

واقعيتين: صورة الاكرام، وصورة الهوان. فهذان فريقان مختصان، فريق المؤمنين المتقين، وفريق الكفرة المجرمين، اختلفوا وتنازعوا من أجل الله ودينه.. فالذين كفروا فصلت لهم ثياب من نار على قدر أجسادهم، ويصب على رؤوسهم الماء الحار المغلي بنار جهنم، يذاب به ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء مع الجلود، ولهم مطارق وسياط من الحديد يضربون بها. وكلما أراد أهل النار الخروج منها من شدة غمها، ردوا الى أماكنهم ويقال لهم: ذوقوا عذاب جهنم المحرق الذي كنتم به تكذبون.. ولما ذكر الله تعالى..ما أعد للكفار من العذاب والدمار، ذكر ما أعده للمؤمنين من الثواب والنعيم، فهم في الجنات تجري من تحتها الأنهار، وملابسهم لم تقطع من النار، انما فصلت من الحرير، ولهم فوقها حلي من الذهب واللؤلؤ. وقد هداهم الله الى الطيب من القول، والهداية الى صراط الحميد نعمة تذكر في مشهد النعيم، نعمة الطمأنينة واليسر والتوفيق[٧].

ومعلم قرآني آخر يتمثل في قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية ★ وجوه يومئذ خاشعة ★ عاملة ناصبة ★ تصلى نارا حامية ★ تسقى من عين آنية ★ ليس لهم طعام الا من ضريع ★ لا يسمن ولا يغني من جوع ★ وجوه يومئذ ناعمة ★ لسعيها راضية ★ في جنة عالية ★ لا تسمع فيها لاغية ★ فيها عين جارية ★ فيها سرر مرفوعة ★ وأكواب موضوعة ★ ونمارق مصفوفة ★ وزرابي مبثوثة﴾ (سورة الغاشية الآيات ١ - ١٦).

(٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٧ ص ٢٤١٥ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ١٧ ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

تعرض هذه الآيات مشهدي العذاب والنعيم، من مشاهد يوم القيامة.. ويعجل السياق القرآني بمشهد العذاب، قبل مشهد النعيم، فهو أقرب الى جو «الغاشية» وظلها.. فهذه وجوه في ذلك اليوم ذليلة خاضعة مهينة، دائبة العمل فيما يتعبها ويشقيها في النار. تدخل نارا مسعرة شديدة الحر، وتسقى من عين متناهية الحرارة، وصل حرها وغليانها درجة النهاية. وليس لأهل النار طعام الا الضريع، وهو نبت ذو شوك، وأخبث طعام وأبشعه، لا يفيد القوة والسمن في البدن، ولا يدفع الجوع عن آكله.. وعلى الجانب الآخر، يذكر السياق القرآني أن وجوه المؤمنين يوم القيامة ناعمة، ذات بهجة وحسن، واشراق ونضارة، لعملها الذي عملته في الدنيا وطاعتها لله، راضية مطمئنة، في حدائق وبساتين مرتفعة مكانا وقدرا، لا تسمع في الجنة شتما أو سبا أو فحشا. فيها عيون تجري بالماء السلسبيل لا ينقطع أبدا. وفي الجنة أسرة مرتفعة مكللة بالزبرجد والياقوت، عليها الحور العين، وأقداح موضوعة على حافات العيون معدة لشرابهم، ووسائد صفت الى جانب بعضها ليستندوا اليها، وفيها طنافس فاخرة مبسوطة في أنحاء الجنة[٨].

★★★

ثانيا: مقدمة السؤال: Question Lead

وهذه المقدمة تصاغ فيها أهم المعلومات في الخبر الطويل، أو الموضوع الصحفي الكبير، على شكل سؤال، (أو أسئلة).. والسؤال هو استفهام لطلب العلم بشيء لم يكن معلوما من

(٨) في ظلال القرآن مصدر سابق، جـ٣٠ ص ٣٨٩٦ - ٣٨٩٧ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٥٥٢ - ٥٥٣.

قبل.. وجسم المادة الصحفية تشكل الاجابة التفصيلية لهذا السؤال (أو تلك الأسئلة).. وتستخدم هذه المقدمة في حالة ما اذا كان الخبر الطويل أو الموضوع الصحفي الكبير يتعلق بسر لم يكشف النقاب عنه من قبل، أو مناقشة مسألة عامة تهم الجمهور، أو كانت متعلقة بموضوع يمكن أن يثير جدلا ونقاشا بين القراء[٩].

ومن معالم القرآن التي توضح ذلك.. قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ (سورة الصف الآيتان ١٠ - ١١).

تبدأ الآية بالنداء باسم الايمان، يليه الاستفهام الموحي المشوق، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يسألهم، ويشوقهم الى الجواب ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟﴾. ومن ذا الذي لا يشتاق لأن يدله الله على هذه التجارة؟. وهنا تنتهي الآية للتشويق بانتظار الجواب المرموق. ثم يجيء الجواب وقد ترقبته القلوب والأسماع ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون﴾.

كذلك من المعالم القرآنية في مجال مقدمة السؤال أيضا قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين﴾
(سورة الماعون الآيات ١ - ٣).

---

(٩) من الخبر الى الموضوع الصحفي (جلال الدين الحمامصي) مصدر سابق، ص ١٢٥ وكذلك فن الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد) مصدر سابق ص ٣٥٥.

تبدأ السورة بهذا الاستفهام، الذي يراد به تشويق السامع ليعرف ما بعده وللاشارة الى أن الأمر خفي، فان من يسمع هذا الاستفهام ينتظر متشوقا ليرى الى أين تتجه الاشارة؟ والى من تتجه؟ ومن هو هذا الذي يكذب بالدين، والذي يقرر القرآن أنه يكذب بالدين؟. واذا الجواب ﴿فذلك الذي يدع اليتيم ★ ولا يحض على طعام المسكين﴾.. وقد تكون هذه مفاجأة بالقياس الى تعريف الايمان التقليدي.. ان الذي يكذب بالدين هو الذي يدفع اليتيم دفعا بعنف، اي الذي يهين اليتيم ويؤذيه، والذي لا يحض على طعام المسكين، ولا يوصي برعايته، فان حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان، انما هي تحول في القلب يدفعه الى الخير والبر باخوانه في البشرية، المحتاجين الى الرعاية والحماية، والله لا يريد من الناس كلمات، انما يريد منهم أعمالا تصدقها[١٠].

أيضا من المعالم القرآنية في هذا المجال قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ (سورة الغاشية الآية ١). بهذا المطلع تبدأ سورة الغاشية وهو استفهام يوحي بالعظمة، أريد به التقرير ولفت النظر، وتعجيب السامع مما سيذكر، وتشويقه الى استماعه، وتوجيه فكره الى هذا الحديث، حتى كأنه الحديث المنفرد في بابه.. انه يوم القيامة، وتسمى القيامة بالغاشية، أي الداهية التي تغشى الناس وتغمرهم بأهوالها.. فحديث الغاشية هو حديث هذا القرآن المتكرر، يذكر به وينذر، ويبشر، ويستجيش به في الضمائر الحساسية والخشية

(١٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٣٠ ص ٣٩٨٥ وكذلك التفسير الواضح، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٨٣ - ٨٤.

والتقوى والتوجس، كما يشـير بـه الرجـاء، والارتقـاب والتطلع، ومن ثم يستحي هذه الضمائر فلا تموت ولا تغفل[١١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ (سورة الانسان الآية ١) هذا الاستفهام في مطلع السورة انما هو للتقرير. ولكن وروده في هذه الصيغة كأنما ليسأل الانسان نفسه، ألا يعرف أنه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا؟ ثم ألا يتدبر هذه الحقيقة ويتملاها؟ ثم ألا يفعل تدبرها في نفسه شيئا من الشعور باليد التي دفعته الى مسرح الحياة، وسلطت عليه النور، وجعلته شيئا مذكورا.. انها ايحاءات كثيرة وتأملات شتى تنبـض من وراء صيغـة الاستفهـام في هـذا النـص القرآني[١٢].

وهذا معلم قرآني آخر يتمثل في قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ★ ألم يجعل كيدهم في تضليل ★ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ★ ترميهم بحجارة من سجيل ★ فجعلهم كعصف مأكول﴾
(سورة الفيل الآيات ١ - ٥).

والسورة تبدأ بسؤال للتعجب من حادث الفيل، والتنبيه الى دلالته العظيمة.. ثم أعقب هذا المطلع باستفهام تقريري آخر.. والحادث كان مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، وخلاصته أن الحاكم الحبشي لليمن

---

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٣٨٩٦ وكذلك التفسير الواضح، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٤٤ وهامشها.

(١٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٩ ص ٣٧٧٩.

(أبرهة الأشرم) قد بنى كنيسة في اليمن باسم ملك الحبشة، على نية أن يصرف بها العرب عن بيت الله الحرام في مكة، ولكن العرب لم ينصرفوا عن بيتهم المقدس. فقاد (أبرهة) جيشا جرارا تصاحبه الفيلة وفي مقدمتها فيل عظيم، واتجه الى مكة لهدم الكعبة.. فبرك الفيل دون مكة لا يدخلها. ثم كان ما أراد الله من اهلاك الجيش وقائده، فأرسل عليهم جماعات من الطير تحصبهم بحجارة من طين وحجر، فتركتهم كأوراق الشجر الجافة الممزقة، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء فما مات حتى انشق صدره عن قلبه كما تقول الروايات[١٣].

ومن المعالم القرآنية ايضا في مجال مقدمة السؤال، قوله تعالى: ﴿القارعة ★ ما القارعة ★ وما أدراك ما القارعة ★ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ★ وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (سورة القارعة الآيات ١ - ٥) لقد بدأت السورة باستفهام للتهويل والتفخيم ﴿القارعة ★ ما القارعة؟﴾ فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل.. ثم أجاب السياق القرآني بسؤال التجهيل الذي زاد أمر القارعة تعظيما ﴿وما أدراك ما القارعة؟﴾ فهي أكبر من أن يحيط بها الادراك، وأن يلم بها التصور.. ولما ذكر الله سبحانه وتعالى ان ادراك حقيقتها مما لا سبيل اليه، جاءت الاجابة بما يكون فيها لا بماهيتها ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ★ وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ فماهيتها فوق الادراك والتصور[١٤].

---

(١٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٣٩٧٤ - ٣٩٧٩.

(١٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٣٩٦٠ - ٣٩٦١.

ومعلم قرآني آخر في قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ★ ارم ذات العماد ★ التي لم يخلق مثلها في البلاد ★ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ★ وفرعون ذي الأوتاد ★ الذين طغوا في البلاد ★ فأكثروا فيها الفساد ★ فصب عليهم ربك سوط عذاب ★ ان ربك لبالمرصاد ★﴾

(سورة الفجر الآيات ٦ - ١٤).

وصيغة الاستفهام في هذا السياق أشد اثارة لليقظة والالتفات. والخطاب للنبي ﷺ، ابتداء، ثم هو لكل من تتأتى منه الرؤية أو التبصر في مصارع أولئك الأقوام، وكلها مما كان المخاطبون بالقرآن أول مرة يعرفونه. وقد جمع الله في هذه الآيات القصيرة، مصارع أقوى الجبارين الذين عرفهم التاريخ القديم: مصرع «عاد» وإرم لقبها، وكانوا بدوا يسكنون الخيام في الأحقاف جنوبي الجزيرة بين حضرموت واليمن، وقبيلة (عاد) هي أقوى قبيلة في وقتها أما (ثمود) فكانت تسكن بالحجر في شمال الجزيرة العربية بين المدينة والشام، وقد قطعت الصخر وبنت منه القصور، كما نحتت في الجبال ملاجىء ومغارات، و«فرعون» المشار اليه هنا فرعون موسى الطاغية الجبار(١٥).

★ ★ ★

ثالثا: مقدمة الوصف: Descriptive Lead

وهي مقدمة تصف الحدث لكي تضع القارىء في قلبه وكأنه شاهده بنفسه(١٦). ويتحقق نجاح هذه المقدمة اذا

(١٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٣٩٠٣ - ٣٩٠٤.

(١٦) في الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد)، مصدر سابق، ص ٣٥٥.

ركزت حول طبيعة القصة على أساس أن ابراز عناصرها يستند الى الوصف.. أو اذا ركزت على مظهر الشخص أو المكان الذي يدور حوله الموضوع[١٧].

والمعالم القرآنية التي تتضمن الوصف كثيرة جدا في القرآن الكريم. وسنكتفي بضرب مثال واحد لتشابه كل تلك المعالم. ومنها قوله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا * ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا * قواريرا من فضة قدروها تقديرا * ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾

(سورة الانسان الآيات ١١ - ٢٢)

وهنا نرى السياق القرآني قد ركز على وصف النعيم الذي عليه الأشخاص. فهذه هي الهيئة العامة للجنة التي جزى الله بها عباده الأبرار، الذين يرسم لهم تلك الصورة المرهفة اللطيفة الوضيئة في الدنيا. ويتضمن السياق القرآني وصفا لمناعم الجنة، وصفا لطعامهم ولباسهم ومسكنهم وشرابهم وأوانيه، وأوصاف السقاة الذين يسقونهم. واذا نظرت في الجنة رأيت نعيما عظيما، وملكا كبيرا لا يحيط به الوصف[١٨].

* * *

---

(١٧) من الخبر الى الموضوع الصحفي (جلال الدين الحمامصي)، مصدر سابق ص ١٢٧.

(١٨) تفسير المراغي، مصدر سابق جـ ٢٩ ص ١٦٤ - ١٧١ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق، جـ ٢٩ ص ٣٧٧٨ - ٣٧٨٣.

رابعا: المقدمة الحالة أو الجو: Context Lead

وهي المقدمة التي تعتمد على تصوير حالة أو جو الحدث وهي تشبه المقدمة (الوصف) التي سبق الحديث عنها، ولكنها تختلف عنها في أنها تصف الجو المحيط بالحدث، بينما الأخرى تصف وقائع الحدث نفسه[١٩].

ومن المعالم القرآنية في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة ★ لسعيها راضية ★ في جنة عالية ★ لا تسمع فيها لاغية﴾ (سورة الغاشية الآيات ٨ - ١١).

يصف السياق القرآني الحالة التي سيكون عليها أهل الاخلاص والصدق والجو الذي سيعيشون فيه في جنة الخلد التي وعدهم الله بها... الوجوه ذات نضرة وبهجة، ولا يكون ذلك الا اذا كانت منعمة فرحة لاقت جزاء سعيها في الدينا، ورضي الله عنها.. ثم يصف الحالة التي عليها الجنة ومناعمها المتاحة لهؤلاء السعداء، ومن ذلك أن الجنة عالية في ذاتها، رفيعة مجيدة، منزهة عن اللغو اذ أنها منزل جيران الله وأحبائه وهذا التعبير ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ يطلق جوا من السكون والسلام والاطمئنان والود والرضى[٢٠]

★ ★ ★

خامسا: المقدمة المعبرة أو المؤثرة: Effective Lead

وهي مقدمة تعتمد اعتمادا كليا على قوة المعاني الانسانية المستخلصة من الموضوع، وعلى الأسلوب البسيط المؤثر،

---

(١٩) فن الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد) مصدر سابق ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٣٨٩٧ وكذلك تفسير المراغي، مصدر سابق جـ ٣٠ ص ١٣٣ - ١٣٤.

والألفاظ التي تحرك الأوتار الحساسة في القارىء[٢١].

والمعالم القرآنية في هذا المجال كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿والضحى ★ والليل اذا سجى ★ ما ودعك ربك وما قلى ★ وللآخرة خير لك من الأولى ★ ولسوف يعطيك ربك فترضى ★ ألم يجدك يتيما فآوى ★ ووجدك ضالا فهدى ★ ووجدك عائلا فأغنى ★ فأما اليتيم فلا تقهر ★ وأما السائل فلا تنهر ★ وأما بنعمة ربك فحدث ★﴾

(سورة الضحى الآيات ١ - ١٠)

هذه السورة بموضوعها، وتعبيرها، ومشاهدها، وظلالها، وايقاعها، لمسة من حنان، ونسمة من رحمة، وطائف من ود، ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتنسم بالروح والرضى والأمل، وتسكب البرد والطمأنينة واليقين.. انها كلها خالصة للنبي ﷺ، مجاملة من ربه، وتسرية وتسلية وترويحا وتطمينا، تتسرب من خلال النظم اللطيف العبارة، الرقيق اللفظ، ومن الموسيقى السارية في التعبير.. فقد أجمع الرواة أن الوحي فتر عن رسول الله ﷺ، وأبطأ عليه جبريل عليه السلام، فحزن لذلك حزنا شديدا، مخافة أن يكون ذلك غضبا من ربه عليه. وقال المشركون ودع محمدا ربه. فأنزل الله تعالى هذه السورة، حاملة له أجمل البشرى، وتفيض بالود، والحب، والرحمة، والايناس، والقربى، والأمل، والرضى، والطمأنينة، واليقين. فالله سبحانه وتعالى يقسم بالضحى الرائق، والليل الساجي، وهما أصفى وأشف آنين

---

(٢١) من الخبر الى الموضوع الصحفي (جلال الدين الحمامصي) مصدر سابق ص ١٣٠.

من آونة الليل والنهار.. أقسم تعالى بهذا وذاك على أنه ما تركك يا محمد ولا جفاك، كما زعم من يريدون ايذاء روحك، وايجاع قلبك، واقلاق خاطرك. فان لك عند الله في الآخرة من الحسنى خيرا مما يعطيك منها في الدنيا. ويمضي سياق السورة يذكر رسول الله ﷺ، ما كان من شأن ربه معه منذ أول الطريق وليستحضر في خاطره جميل صنع ربه به، ومودته له، وفيضه عليه. وبمناسبة ما ذكره ربه بايوائه من اليتم، وهدايته من الحيرة، واغنائه من العيلة، يوجهه ويوجه المسلمين من ورائه الى رعاية كل يتيم، والى كفاية كل سائل، والى التحدث بنعمة الله الكبرى عليه(٢٢).

معلم قرآني آخر في مجال المقدمة المعبرة أو المؤثرة يتمثل في قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك ★ ووضعنا عنك وزرك ★ الذي أنقض ظهرك ★ ورفعنا لك ذكرك ★ فان مع العسر يسرا ★ ان مع العسر يسرا ★ فاذا فرغت فانصب ★ والى ربك فارغب﴾. (سورة الشرح الآيات ١ - ٨).

لقد نزلت هذه السورة بعد سورة (الضحى) السابق الحديث عنها، وكأنها مكملة لها.. فيها ظل العطف الندي، وفيها روح المناجاة الحبيب، وفيها استحضار مظاهر العناية، واستعراض مواقع الرعاية، وفيها البشرى باليسر والفرج، وفيها التوجيه الى سر اليسر، وحبل الاتصال الوثيق.. وهي توحي بأن صدره ﷺ كان مثقلا بهموم هذه

---

(٢٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٣٠ ص ٣٩٢٥ - ٣٩٢٨ وكذلك التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص ١٥٠ وكذلك تفسير المراغي، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ١٨٢ - ١٨٥.

الدعوة الثقيلة التي كلفها، ومن العقبات الوعرة في طريقها، ومن الكيد والمكر المضروب حولها. وأنه كان في حاجة الى عون ومدد وزاد ورصيد.. ثم كانت هذه المناجاة الحلوة، وهذا الحديث الودود. وتنتهي هذه السورة كما انتهت سورة الضحى، وقد تركت في النفس شعورين ممتزجين: الشعور بعظمة الود الحبيب الجليل الذي ينسم على روح الرسول ﷺ من ربه الودود الرحيم، والشعور بالعطف على شخصه ﷺ[23].

مثال آخر قوله تعالى: ﴿انا أعطيناك الكوثر ★ فصل لربك وانحر ★ ان شانئك هو الأبتر★﴾.
(سورة الكوثر الآيات ١ - ٣).

هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ، كسورة الضحى، وسورة الشرح السابق تناولهما: يسري عنه ربه فيها، ويعده بالخير، ويوعد أعداءه بالبتر، ويوجهه الى طريق الشكر. ومن ثم فهي تمثل صورة من حياة الدعوة، وحياة الداعية في أول العهد بمكة.. فقد ورد أن سفهاء قريش ممن كانوا يتابعون الرسول ﷺ ودعوته بالكيد، والمكر، والسخرية، والاستهزاء، ليصرفوا الناس عن الاستماع اليه، من أمثال العاصي بن وائل، وعقبة بن أبي معيط، وأبي لهب، وأبي جهل وغيرهم. كانوا يقولون عن النبي ﷺ، أنه أبتر، يشيرون بهذا الى موت الذكور من أولاده، وقال أحدهم: دعوه فانه سيموت بلا عقب، وينتهي أمره، وكان هذا الكيد اللئيم يجد له صدى في البيئة العربية التي تتكاثر

(٢٣) في ظلال القران، مصدر سابق جـ٣٠ ص ٣٩٢٩ - ٣٩٣٠.

بالأبناء ولعلها أوجعت قلبه الشريف، ومسته بالغم أيضا. فجاءت هذه السورة تمسح على قلبه ﷺ، بالروح الندي، وتؤكد حقيقة الخير الباقي الممتد الذي اختاره له ربه، وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه.. ففي الآية الأولى ﴿انا أعطيناك الكوثر﴾ قرر سبحانه وتعالى أن محمدا ﷺ، ليس أبتر بل هو صاحب الخير الكثير البالغ في الافراط في كل شيء.. وفي الآية الأخيرة ﴿ان شانئك هو الأبتر﴾ يرد الكيد على كائديه، ويؤكد سبحانه أن الأبتر انما هم شانئوه وكارهوه. ولقد صدق فيهم وعيد الله، فقد انقطع ذكرهم، الا من الذكرى الخسيسة القبيحة، المقرونة باللعنات، بينما امتد ذكر نبيه ﷺ، وسيبقى حسن صيته وآثار فضله الى يوم القيامة(٢٤).

* * *

سادسا: المقدمة المتفجرة (المثيرة): **Cartridge Lead**

وهذا النوع من المقدمات يجب أن يكون قليل الكلمات، ولكن كل كلمة منها قوية قوة القنبلة، وهي لا تصلح الا للأحداث المثيرة، التي تفاجىء الناس، أو التي تحمل في طياتها مفاجأة، أو حدثا عظيما له نتائج هامة.

والمعالم القرآنية في هذا المجال كثيرة.. ومنها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما

---

(٢٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٣٩٨٧ - ٣٩٨٩ وكذلك تفسير المراغي مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٢٥١ - ٢٥٤ وكذلك التفسير الواضح مصدر سابق جـ ٣٠ ص ٨٥ - ٨٦.

تعملون بصيرا ★ اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ★ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً﴾

(سورة الأحزاب الآيات ٩ - ١١).

يصور هذا السياق القرآني حدثا من الأحداث الضخمة في تاريخ الدعوة الاسلامية، وفي تاريخ الجماعة المسلمة، ويصف موقفا من مواقف الامتحان العسيرة، وهو غزوة الأحزاب التي كانت سنة خمس من الهجرة، وقد سميت كذلك لتجمع الأحزاب من قريش، وغطفان، وقبائل نجد مع يهود المدينة، لحرب المسلمين على نية ابادتهم، والقضاء عليهم.. ويرسم السياق في الآية الأولى بدء المعركة، وختامها، والعناصر الحاسمة فيها، مجيء جنود الأعداء، وارسال ريح الله وجنوده التي لم يرها المؤمنون، ونصر الله المرتبط بعلم الله بهم، وبصره بعلمهم. ﴿اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾.. ثم يأخذ السياق بعد هذا الاجمال في التفصيل والتصوير ﴿اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾.. انها صورة الهول الذي روع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها. وقد أطبق عليها جنود الأحراب من كل جانب، من أعلاها ومن أسفلها. فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب، وانما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب، وظنها بالله وسلوكها في الشدة، وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج. ومن ثم كان الابتلاء كاملا، والامتحان دقيقاً، والتمييز بين المؤمنين

والمنافقين حاسما لا تردد فيه. وننظر اليوم فنرى الموقف بكل سماته، وانفعالاته، وخلجاته، وحركاته، ماثلا أمامنا كأننا نراه من خلال هذا النص القصير، ننظر فنرى الموقف من خارجه ﴿اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾. ثم ننظر فنرى أثر الموقف في النفوس ﴿اذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾. وهو تعبير مصور لحالة الخوف، والكربة، والضيق، يرسمها بملامح الوجوه، وحركات القلوب ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ ولا يفصل هذه الظنون ويدعها مجملة، ترسم حالة الاضطراب في المشاعر والخوالج، وذهابها كل مذهب، واختلاف التصورات في شتى القلوب[٢٥].

ثم تزيد سمات الموقف بروزا، وتزيد خصائص الهول فيه وضوحا ﴿هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾. والهول الذي يزلزل المؤمنين لا بد أن يكون هولا مروعا رهيبا. فقد كان الهول الذي واجه المسلمون في هذا الحادث من الضخامة، وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة، وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث زلزلهم زلزالا شديدا. فانهم من البشر، وللبشر طاقة. وعلى الرغم من ثقتهم بنصر الله في النهاية، فان الهول الذي كان حاضرا يواجههم كان يزلزلهم. ويزعجهم ويكرب أنفاسهم. ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.. والرسول ﷺ يحس حالة أصحابه، ويرى نفوسهم من داخلها، فيقول: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة» يشترط رسول

---

(٢٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢١ ص٢٨٣٢ و٢٨٣٦ و٢٨٣٧.

الله ﷺ الرجعة، ومع هذا الشرط بالرجعة، ومع الدعاء المضمون بالرفقة مع رسول الله في الجنة، فان أحدا لا يلبي النداء. فاذا عين بالاسم حذيفة قال: فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني.. ألا ان هذا لا يقع الا في أقصى درجات الزلزلة[٢٦].

ومن المعالم القرآنية الأخرى في مجال المقدمة المتفجرة قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ★ يـوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج الآيتان ١ - ٢).

مطلع عنيف رعيب، ومشهد ترتجف لهوله القلوب.. يبدأ السياق بالنداء الشامل للناس جميعا يدعوهم الى تقوى الله، ويخوفهم ذلك اليوم العصيب ﴿ان زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ يبدأ بالتهويل المجمل، وبالتجهيل الذي يلقى ظل الهول يقصر عن تعريفه التعبير.. فيقال انه زلزلة وأن الزلزلة «شي عظيم» من غير تحديد ولا تعريف.. ثم يأخذ في التفصيل، فاذا هو أشد رهبة من التهويل.. مشهد حافل بكل مرضعة ذاهلة عما أرضعت، تنظر ولا ترى، وتتحرك ولا تعي ،وبكل حامل تسقط حملها للهول المروع الذي ينتابها.. وبالناس سكارى وما هم بسكارى، تبدي السكر في نظراتهم الذاهلة، وفي خطواتهم المترنحة.. تكاد العين تبصره لحظة التلاوة، بينما الخيال يتملاه. والهول الشاخص يذهله، فلا

---

(٢٦) نفس المصدر السابق، جـ٢١ ص٢٨٣٧ - ٢٨٤٣.

يكاد يبلغ أقصاه.. انه مطلع عنيف مرهوب تزلزل له القلوب[٢٧].

وهذا قوله تعالى: ﴿اذا وقعت الواقعة ★ ليس لوقعتها كاذبة ★ خافضة رافعة ★ اذا رجت الأرض رجا ★ وبست الجبال بسا ★ فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة الآيات ١ - ٦) هذا المطلع القرآني واضح فيه التهويل في عرض هذا الحدث الهائل. ويتبدى الهول في كيان هذه الأرض الثابتة المستقرة فيما يحس الناس، فاذا هي ترج رجا، والجبال الصلبة الراسية تتحول تحت وقع الواقعة الى فتات يتطاير كالهباء.. فما أهول هذا الهول الذي يرج الأرض رجا ويبس الجبال بسا ويتركها هباء منبثا. وهكذا تبدأ السورة بما يزلزل الكيان البشري ويهول الحس الانساني[٢٨].

★ ★ ★

سابعا: مقدمة الملخص: Summary Lead

هذه المقدمة تلخص أهم المعلومات التي يحتوي عليها الخبر الطويل أو الموضوع الصحفي الكبير. وهي تناسب الموضوعات التي تتساوى فيها جميع عناصرها في الأهمية والقيمة. ومن ميزاتها أنها تفيد القارىء المتعجل، بحيث تمكنه من القاء نظرة عاجلة على ملخص لمحتوى المادة الصحفية[٢٩].

---

(٢٧) نفس المصدر السابق جـ ١٧ ص ٢٤٠٨.

(٢٨) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٧ ص ٣٤٦٣.

(٢٩) فن الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد) مصدر سابق ص ٣٥٣ وكذلك محمود أدهم - فن تحرير التحقيق الصحفي (القاهرة ١٩٧٩ م) ص ٦٥.

ومن المعالم القرآنية في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون﴾ (سورة الواقعة الآيات ٧ - ١٠).

تلخص هذه الآيات في كلمات قليلة، أن الناس سيكونون يوم القيامة «أزواجا ثلاثة»، وتقدم أيضا توضيحا مختصرا لكل زوج: فالزوج الأول منها ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾ والزوج الثاني ﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ والزوج الثالث ﴿والسابقون السابقون﴾.

وبعد هذا التلخيص الموجز للأصناف الثلاثة، تبدأ السورة في تفصيل مصير كل صنف منها، وما يلقاه من نعيم أو عذاب. وجاء وصف ما يخص كل صنف مستقلا على حدة، مفصلا أوفى تفصيل.. وسيأتي توضيح ذلك إن شاء الله في موضعه بالباب الثالث الخاص بالمعالم القرآنية للموضوع الصحفي.

معلم قرآني آخر يقدم نموذجا واضحا لمقدمة الملخص، يتمثل في قوله تعالى في بداية قصة أصحاب الكهف: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا * اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ (سورة الكهف الآيات ٩ - ١٢).

ذلك تلخيص يحمل قصة أصحاب الكهف، ويرسم

خطوطها الرئيسية العريضة. ومنه نعرف باختصار أن أصحاب الكهف والرقيم هم فتية مؤمنون أووا الى الكهف، وأنهم ناموا فيه سنين معدودة، ثم بعثوا من رقدتهم الطويلة، وأنه كان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم. وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة، يأخذ السياق في تقديم عرض مفصل لكل نقطة من النقاط التي لخصتها تلك المقدمة، وتتناول تشاورهم قبل دخولهم الكهف، وحالتهم بعد دخوله، ونومهم ويقظتهم، وارسالهم واحدا منهم ليشتري لهم طعاما، وكشفه في المدينة وعودته، وموتهم، وبناء المسجد عليهم، واختلاف القوم في أمرهم.. الخ[٣٠]. **ومن ذلك يتضح أن التلخيص الذي جاء في بداية القصة، هو من نوع (المقدمة الملخص) التي تشد السامع أو القارىء، وتشوقه الى معرفة تفاصيل تلك النقاط التي أجملتها المقدمة، والتي أوردها السياق القرآني بعد ذلك من بدء القصة الى نهايتها.. وسنرى توضيح ذلك ان شاء الله عندما نعود مرة أخرى الى تناول تلك القصة في موضعها بالباب الثالث والخاص بالمعالم القرآنية للموضوع الصحفي.**

★ ★ ★

ثامنا: مقدمة الحوار: Dialogue Lead

تقوم هذه المقدمة على أساس بدء المادة الصحفية، بمحاورة تدور بين شخصين أو أكثر، بشرط أن تكون تلك المحاورة هي المحور الأساسي الذي تدور حوله المادة الصحفية، أو يكون في ابرازها دلالة على اتجاه معين، أو أن يكون الحوار غريبا في حد ذاته.. على أن تكون لغة

(٣٠) التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص ١٤٩.

الحوار قوية، ومعبرة، ومؤثرة في ألفاظها، بحيث تترك في القارىء أثرا يفتح شهيته لقراءة المادة الصحفية[٣١].

المعالم القرآنية التي يرد فيها الحوار كثيرة في القصص القرآني، وقد ضربت بسهم وافر فيه، لأن الحوار يمد تلك القصص بالحياة والحركة، والتلوين والتنويع، وبدونه تصبح القصة لا حركة فيها. وسنعود ان شاء الله الى تناول موضوع الحوار ومعالمه القرآنية وأهميته في القرآن الكريم في فصل قادم.

ومن المعالم القرآنية في مجال مقدمة الحوار، تلك المحاورة القوية التي دارت بين أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام، مع ملك في أيامه، وتضمنتها آية واحدة في قوله تعالى: ﴿ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فآت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.
(سورة البقرة آية ٢٥٨).

والحوار فيه تعجيب للسامع من أمر هذا الكافر الذي يجادل ابراهيم عليه السلام في وجود الله وقدرته، حين قال له ابراهيم مستدلا على وجود الله: ان ربي هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد، فهو وحده رب العالمين. فقال له ذلك الطاغية: وأنا أيضا أحيي وأميت. وقد روي أنه دعا برجلين حكم عليهما بالاعدام، فأمر بقتل أحدهما فقال: هذا قتلته، وأمر باطلاق الآخر وقال: هذا أحييته. ولما رأى

---

(٣١) من الخبر الى الموضوع الصحفي (جلال الدين الحمامصي) مصدر سابق ص ١٣٣.

ابراهيم حماقته ومشاغبته في الدليل، عدل الى دليل آخر أجدى وأروع وأشد إفحاماً، وقال له فهذه الشمس تطلع كل يوم من المشرق بأمر الله ومشيئته، فأطلعها من المغرب بقدرتك وسلطانك. فأخرس ذلك الفاجر بالحجة القاطعة، وأصبح مبهوتا دهشا لا يستطيع الجواب، لأن الله سبحانه وتعالى لا يلهم الظالمين الحجة والبيان والبرهان في مقام المناظرة والمحاورة بخلاف أوليائه المتقين[٣٢].

وواضح أن هذه المحاورة الموجزة السريعة، التي تضمنتها آية قرآنية واحدة، كانت لغتها قوية معبرة، وألفاظها مؤثرة تفيض بالحركة والحياة، والمشهد فيها حاضر يملأ الأسماع والأبصار بكل أشخاصه، وبكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه.. وكل هذا مما يفتح شهية القارىء للقراءة، ويحفز السامع ويشجعه على مواصلة الاستماع.

* * *

تاسعا: المقدمة الساخرة: Mocking Lead

وهذا النوع من المقدمات يستهل به الصحفي موضوعات النقد اللاذع، أو التي تتناول قضايا أو آراء أو عادات وتقاليد وغيرها، ويريد المحرر الصحفي طرحها أمام الرأي العام بالسخرية من المعارضين لها أو المؤيدين لها واحتقارهم وازدرائهم، أو الذين يتخذون مواقف غريبة غير منطقية منها، لمجرد العناد والتمرد والخروج على المألوف أو التمسك

(٣٢) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ٣ ص ١٦٥.

الحرفي به.. الخ وذلك حتى يتم التجانس بين المقدمة وصلب الموضوع[٣٣].

ومن المعالم القرآنية في هذا المجال قوله تعالى في معرض السخرية من امرأة أبي لهب ﴿وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾. (سورة المسد الآيتان ٤ - ٥)

ولنا أن نتصور مبلغ سخرية القرآن من امرأة معجبة بنفسها، في ذروة المجد والشرف بين قومها، ثم هي أنثى ككل امرأة، يعنيها قبل كل شيء، صورتها ومظهرها في نفوس الناس وقلوبهم، فاذا هي تجد من يمحو عزها وشرفها، ويقبح صورتها حتى يجعلها مجرد حمالة للحطب، بل وأكثر من ذلك يرسم صورتها وكأنها دابة تقاد بحبل من ليف في عنقها[٣٤]. ولنا أن نتصور أيضا مقدار ما تتركه هذه الصورة الزرية المثيرة للسخرية في نفس تلك المرأة التي ذعرت لها وجن جنونها منها. وهي التي كانت تشن مع زوجها أبو لهب، حربا شعواء على النبي ﷺ، وعلى الدعوة، لا هوادة فيها ولا هدنة. فنزلت سورة (المسد) ترد على هذه الحرب المعلنة من أبي لهب وامرأته، وتولى الله سبحانه وتعالى عن رسول الله ﷺ أمر المعركة[٣٥].

والقرآن الكريم مليء بالمعالم القرآنية التي استهدفت السخرية ليس فقط من أعداء الاسلام من غير المسلمين وحدهم، وانما أيضا استهدفت كل مصدر يمكن أن يسيء

---

(٣٣) فن تحرير التحقيق الصحفي (محمود أدهم) مصدر سابق ص ٧٢.

(٣٤) عبد الحليم حفني - أسلوب السخرية في القرآن الكريم (القاهرة ١٩٧٨ م) ص ٥٥.

(٣٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٤٠٠٠.

الى مبادىء الاسلام، حتى ولو كان المصدر نابعا من صفوف المسلمين أنفسهم، في صورة عادات وتقاليد أو خلق لا تقره مبادىء الاسلام وغيرها[٣٦]. وسنزيد الأمر توضيحا عندما نتحدث عن الكاريكاتور في القرآن الكريم في فصل قادم ان شاء الله.

* * *

عاشرا: مقدمة التوجيه المباشر: Direct adress Lead

وهذا النوع من المقدمات يأتي مدخلا مناسبا، للموضوعات التي تقدم للقراء خدمات معينة، أو توجههم الى هدف ما فيه صلاح حالهم ومصلحتهم، حيث تكون المقدمة فيها توجيه مباشر الى القراء[٣٧].

والمعالم القرآنية في هذا المجال كثيرة جدا، ومبثوثة في ثنايا كتاب الله العزيز، وكلها فيها توجيهات ربانية مباشرة للناس كافة، من أجل هدايتهم، وصلاح حالهم في الدنيا والآخرة.. ونقدم فيما يلي عددا من الأمثلة على سبيل الاستشهاد وليس الحصر.. ومن تلك المعالم القرآنية قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا﴾ (سورة النساء آية ١).

فهذا خطاب موجه مباشرة للناس جميعا بدعوتهم الى

(٣٦) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص ٢٧.
(٣٧) فن تحرير التحقيق الصحفي (محمود أدهم) مصدر سابق ص ٧٠.

تقوى الله، وعبادته وحده لا شريك له، الذي أنشأهم من أصل واحد وهو نفس أبيهم آدم، وأوجد من تلك النفس الواحدة زوجها وهي حواء، ونشر وفرق من آدم وحواء خلائق كثيرين ذكورا وإناثاَ. وأكد الله سبحانه وتعالى الأمر بتقوى الله - وهي محور التوجيه الرباني المباشر للناس جميعا - في موطنين: في أول الآية، وفي آخرها، ليشير الى عظم حق الله على عباده. كما قرن تعالى بين التقوى وصلة الرحم، ليدل على أهمية هذه الرابطة الإنسانية. فالناس جميعا من أصل واحد، وهم إخوة في الانسانية والنسب. ولو أدرك الناس هذا لعاشوا في سعادة وأمان، ولما كانت هناك حروب طاحنة مدمرة تلتهب الأخضر واليابس، وتقضي على الكهل والوليد(٣٨).

ومعلم قرآني آخر في مجال مقدمة التوجيه المباشر يتمثل في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن أعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم* ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾.

(سورة البقرة الآيتان ١٧٨ - ١٧٩).

والنداء، والتوجيه المباشر للذين آمنوا، لينبئهم أن الله تعالى فرض عليهم شريعة القصاص في القتلى، بالتفصيل الذي جاء في الآية الأولى، ويبين حكمة هذه الشريعة في الآية الثانية، ويوقظ فيهم التعقل والتدبر لهذه الحكمة، كما

(٣٨) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ٤ ص ٢٥٨.

يستجيش في قلوبهم شعور التقوى. وهو صمام الأمن في مجال القتلى والقصاص. والحياة التي في القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء. فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمنا لحياة من يقتل، جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد. كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل، وشفائها من الحقد والرغبة في الثأر. وفي القصاص حياة في معناها الأشمل الأعم، فالاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها، واعتداء على كل انسان حي، يشترك مع القتيل في سمة الحياة، فاذا كف القصاص الجاني عن ازهاق حياة واحدة، فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها[٣٩].

كذلك من المعالم القرآنية في هذا الشأن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين* فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾.
(سورة البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩).

ان النص القرآني الموجه مباشرة للذين آمنوا، يعلق ايمانهم على ترك ما بقي من الربا. فهم ليسوا بمؤمنين الا أن يتقوا الله ويذروا ما بقي من الربا. فقد ترك لهم ما سلف من الربا، ولم يقرر استرداده منهم، ولا مصادرة أموالهم كلها أو جزء منها بسبب أن الربا كان داخلا فيها. اذ لا تحريم بغير نص، ولا حكم بغير تشريع. والتشريع ينفذ وينشىء آثاره بعد صدوره. فأما الذي سلف فأمره الى الله.. وهذه

(٣٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢ ص ١٦٤ - ١٦٥.

صفحة الترغيب، والى جوارها صفحة الترهيب الذي يزلزل القلوب ﴿فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ حرب رهيبة معروفة المصير، مقررة العاقبة، فأين الانسان الضعيف الفاني من تلك القوة الجبارة الساحقة الماحقة. ﴿وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ فهي التوبة عن خطيئة الجاهلية التي لا تتعلق بزمان دون زمان، ولا نظام دون نظام، انما هي الانحراف عن شريعة الله ومنهجه متى كان وحيث كان. واسترداد رأس المال مجردا، عدالة لا يظلم فيها دائن ولا مدين، فأما تنمية المال فلها وسائلها الأخرى البريئة النظيفة[٤٠].

وهذا معلم قرآني آخر يتمثل في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم آية ٦).

توجيه مباشر يهيب فيه القرآن الكريم بالذين آمنوا ليؤدوا واجبهم في بيوتهم من التربية والتوجيه والتذكير، فيقوا أنفسهم وأهليهم من النار، ويرسم لهم مشهدا من مشاهدها. فان تبعة المؤمن في نفسه وأهله تبعة ثقيلة رهيبة. فالنار هناك وهو متعرض لها هو وأهله، وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تنتظر هناك. إنها نار فظيعة مستعرة، الناس فيها كالحجارة سواء، في مهانة الحجارة، وفي رخص الحجارة، وفي قذف الحجارة. وما أفظعها نارا هذه التي توقد بالحجارة وما أشده عذابا هذا

---

(٤٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٣ ص ٣٣٠ - ٣٣٢ .

الذي يجمع الى شدة اللذع المهانة والحقارة. وكل ما بها ويلامسها فظيع رهيب. عليها ملائكة غلاظ شداد تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذي هم به موكلون، ومن خصائصهم طاعة الله فيما يأمرهم، والقدرة على النهوض بما يأمرهم وعلى المؤمن أن يقي نفسه وأن يقي أهله من هذه النار، وعليه أن يحول بينها وبينهم قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار[٤١].

★ ★ ★

حادي عشر: مقدمة الغرابة: Curiosity Lead

وهي تعتمد على عنصر الغرابة في الحدث، أو ما يشير الى مفارقة غير عادية، أو حدث نادر الحدوث[٤٢].

والمعالم القرآنية في هذا المجال كثيرة جدا، ومنها قوله تعالى: ﴿يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ★ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتياً﴾.

(سورة مريم آية ٧ – ٨)

ووجه العجب والغرابة في هذا الحدث، وندرة حدوثه، هو ولادة العاقر من بعلها الشيخ. فالله سبحانه وتعالى، ينادي عبده من الملأ الأعلى ﴿يا زكريا﴾ ويعجل له البشرى بالغلام، ويغمره بالعطف فيختار للغلام اسم فذ غير مسبوق.. وكأنما أفاق زكريا من غمرة الرغبة وحرارة الرجاء، على هذه الاستجابة القريبة للدعاء، فاذا هو يواجه

---

(٤١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٢٨ ص ٣٦١٧ – ٣٦١٨.

(٤٢) في الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد) مصدر سابق ص ٣٥٤.

الواقع.. انه رجل شيخ بلغ من الكبر عتيا. وهن عظمة واشتعل شيبه، وامرأته عاقر لم تلد له في فتوته وصباه، فكيف يا ترى سيكون له غلام؟ انه لبريد أن يطمئن، ويعرف الوسيلة التي يرزقه الله بها هذا الغلام. انه يواجه الواقع، ويواجه معه وعد الله، وانه ليثق بالوعد، ولكنه يريد أن يعرف. كيف يكون تحقيقه، مع ذلك الواقع الذي يواجهه ليطمئن قلبه. وهي حالة نفسية طبيعية في مثل موقف زكريا عليه السلام النبي الصالح الذي لا يملك أن يغفل الواقع، فيشتاق أن يعرف كيف يغيره الله[٤٣].

وهذا معلم قرآني آخر يعبر عن مقدمة الغرابة يتمثل في قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ★ فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ★ قالت اني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ★ قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ★ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسني بشر ولم أك بغياً﴾. (سورة مريم آية ١٦ - ٢٠).

فهذا حدث أعجب وأغرب من سابقه، ووجه العجب والغرابة فيه هو ولادة العذراء من غير بعل، فاذا تم التجاوز عن حادث خلق الانسان أصلا وانشائه على هذه الصورة، فان حادث ولادة عيسى بن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كله، ويكون حادثا فذا لا نظير له من قبله ولا من بعده.. ونظرا لغرابة الحادث وضخامته، فقد عز على فرق من الناس أن تتصوره على طبيعته، وأن

(٤٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٦ ص ٢٣٠٢ - ٢٣٠٤.

تدرك الحكمة في ابرازه فجعلت تضفي على عيسى بن مريم عليه السلام، صفات ألوهية، وتصوغ حول مولده الخرافات والأساطير، وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو العجيب - وهي اثبات القدرة الالهية التي لا تتقيد - تعكسها فتشوه عقيدة التوحيد.. والقرآن هنا يقص كيف وقعت هذه العجيبة ويبرز دلالتها الحقيقية، وينفي تلك الخرافات والأساطير[٤٤].

ويتصل بالمعلم السابق أيضا حدث عجيب آخر في قوله تعالى: ﴿فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ★ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ★ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ★ فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا﴾. (سورة مريم آية ٢٣ - ٢٦).

يالله! طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها، يطمئن قلبها، ويصلها بربها، ويرشدها الى طعامها وشرابها، ويدلها على حجتها وبرهانها[٤٥].

كذلك يتصل بكل ما سبق قوله تعالى: ﴿فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ★ قال اني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا ★ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ★ وبرا بوالدتي ولم

---

(٤٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١٦ ص ٢٣٠٤ - ٢٣٠٥.
(٤٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١٦ ص ٢٣٠٧.

يجعلني جبارا شقيا ★ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾. (سورة مريم آية ٢٩ - ٣٣)

فماذا تقول في العجب الذي ساورهم وهم يرون عذراء تواجههم بطفل، ثم تسخر ممن يستنكرون فعلتها فتصمت وتشير لهم الى الطفل ليسألوه عن سرها. ولكن ها هي ذي الخارقة العجيبة تقع، فيعلن لهم عبوديته لله، وأن الله جعله نبيا، وبارك فيه، وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته[٤٦].

واليك معلم قرآني آخر في نفس هذا المجال يتمثل في قوله تعالى: ﴿وان يونس لمن المرسلين ★ اذ أبق الى الفلك المشحون ★ فساهم فكان من المدحضين ★ فالتقمه الحوت وهو مليم ★ فلولا أنه كان من المسبحين ★ للبث في بطنه الى يوم يبعثون ★ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ★ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾. (سورة الصافات الآيات ١٣٩ - ١٤٦).

وتذكر الروايات أن يونس عليه السلام قد ضاق صدرا بتكذيب قومه، فأنذرهم بعذاب قريب، وغادرهم مغضبا لأنهم كذبوه. فقاده الغضب الى شاطىء البحر حيث ركب سفينة مشحونة، فناوأتها الرياح والأمواج، وكان هذا ايذانا عند القوم بأن من بين الركاب راكبا مغضوبا عليه، لأنه ارتكب خطيئة، وأنه لا بد من أن يلقى في الماء لتنجو السفينة من الغرق. فاقترعوا على من يلقونه من السفينة فخرجت القرعة على يونس عليه السلام. فألقوه في البحر، فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه، من تخليه عن المهمة التي

(٤٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٦ ص ٢٣٠٨.

أرسله الله بها، وترك قومه مغاضبا لهم، وخروجه بغير اذن من ربه. ولولا أنه كان من الذاكرين لله كثيرا في حياته، لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة، وأصبح بطنه قبرا له فلم ينج أبدا. ولكنه سبح الله وهو في بطن الحوت، واستغفره، وذكر أنه كان من الظالمين. فاستجاب الله تضرعه ونداءه فلفظه الحوت من بطنه على الشاطىء بالأرض الفضاء التي لا شجر فيها ولا ظل، وهو سقيم مريض مما ناله من الكرب. وأنبتنا فوقه شجرة لتظلله، وتقيه حر الشمس، وهي شجرة القرع ذات الأوراق العريضة، وتمنع عنه الذباب الذي يقال انه لا يقرب هذه الشجرة، وكان هذا من تدبير الله ولطفه، فان لحم يونس عليه السلام لما خرج من بطن الحوت كان لا يحتمل الذباب، فلما استكمل قوته وعافيته، رده الله الى قومه الذين هرب منهم، فآمنوا بعد أن شاهدوا امارات العذاب الذي وعدوا به، فأبقاهم الله تعالى ممتعين في الدنيا الى حين انقضاء آجالهم(٤٧).

وواضح أن هذه القصة - التي لحمتها وسداها الحقيقة الخالصة، لأنها كلام الله سبحانه وتعالى، ومن أصدق من الله قيلا - تعتمد على الغرابة والمفارقات غير العادية، والأحداث التي نادرا ما تقع، ولكنها قدرة الله تعالى الذي لا يعجزه شيء.

★ ★ ★

(٤٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٣ ص ٢٩٩٨ - ٢٩٩٩ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق، جـ ٢٣ ص ٤٤.

ثاني عشر: مقدمة المجاز: Metaphor Lead

وهي المقدمة التي تعتمد على استخدام الكلمات بمعان مجازية، وليس بمعناها الحرفي[٤٨]. مع المهارة في تخير العلاقة بين المعنى المجازي والمعنى الأصلي، بحيث يكون المجاز مصورا للمعنى المقصود خير تصوير[٤٩].

والمعالم القرآنية في هذا المجال كثيرة في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون﴾ (سورة يوسف الآية ٨٢) والمعنى: اسأل أهل القرية التي كنا فيها - وهي عاصمة مصر - والقرية اسم للمدينة الكبيرة، واسأل أيضا القوم الذين جئنا معهم في القافلة[٥٠]. «واسأل القرية» مجاز مرسل علاقته المحلية[٥١]. والمجاز المرسل، كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينه مانعة من ارادة المعنى الأصلي. وعلاقته المحلية لأن المقصود به في الآية الكريمة من في هذه القرية من أهلها. فهو مجاز أطلق فيه المحل وأريد الحال، فالعلاقة المحلية[٥٢]. «والعير» مجاز مرسل علاقته المحلية، اذ أن العير لا تسأل، وانما يسأل أهل العبر أو من كان في العير.

---

(٤٨) فن الخبر الصحفي (فاروق أبو زيد) مصدر سابق ص ٣٥٤.

(٤٩) علي الجارم ومصطفى أمين - البلاغة الواضحة (القاهرة ١٩٦٩ م، الطبعه الحادية عشرة) ص ١٢٢.

(٥٠) في ظلال القرآن ،مصدر سابق، جـ ١٣ ص ٢٠٢٥ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ١٣ ص ٦٤.

(٥١) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ١٣ ص ٦٦.

(٥٢) البلاغة الواضحة (علي الجارم ومصطفى أمين) مصدر سابق ص ١١٠.

ومعلم قرآني آخر هو قوله تعالى: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾ (سورة الأعراف آية ٤) أي وكثير من القرى أهلكناها والمراد بالقرية أهلها، فجاءها عذابنا ليلا أو في وقت القيلولة وهي النوم وسط النهار[٥٣]. وهو مجاز مرسل علاقته المحلية لأن الهلاك لا يقصد به القرية ذاتها ولكن يقصد به أهل القرية أو من فيها.

وقوله تعالى على لسان فرعون ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب﴾ (سورة غافر آية ٣٦) وفي هذا مجاز عقلي، حيث أسند الفعل الى غير ما هو له. فالمجاز العقلي هو اسناد الفعل أو ما في معناه الى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة الاسناد الحقيقي. وواضح أن (هامان) لن يباشر البناء بنفسه، ولكن سيكون سببا في أمر البنائين بذلك[٥٤].

وقوله تعالى ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ (سورة الاسراء آية ١٢). أي وجعلنا النهار مضيئا مشرقا بالنور، ليحصل به الابصار، ولتطلبوا في النهار أسباب معايشكم، ولتعلموا عدد الأيام والشهور بتعاقب الليل والنهار[٥٥].

وفي هذه الآية مجاز عقلي في ﴿آية النهار مبصرة﴾ لأن

(٥٣) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ٨ ص ٤٣٦.

(٥٤) محمد علي أبو حمدة - فن الكتابة والتعبير (عمان - الطبعة الأولى ١٩٨١ م) ص ١٨١ وكذلك البلاغة الواضحة (علي الجارم ومصطفى أمين) مصدر سابق ص ١١٧.

(٥٥) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ١٦ ص ١٥٤.

النهار لا يبصر بل يبصر فيه، فهو من اسناد الشيء الى زمانه[٥٦]. فالمجاز العقلي - كما سبق ذكره - هو اسناد الفعل أو ما في معناه الى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة الاسناد الحقيقي.

وقوله تعالى: ﴿واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ (سورة الاسراء آية ١٦) أي واذا أردنا هلاك قوم من الأقوام أمرنا المتنعمين فيها، والقادة والرؤساء بالطاعة على لسان رسلنا، فعصوا أمرنا وخرجوا عن طاعتنا، وفسقوا وفجروا، فوجب عليهم العذاب بالفسق والطغيان، فأهلكناهم اهلاكا مريعا[٥٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ (سورة الفتح آية ١٠) وهو مجاز علاقته السببية، لأن اطلاق اليد تعني القوة وهي مسببة للقدرة. والمعنى أن الله حاضر معهم، يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى المبايع بواسطة رسوله[٥٨]. فالرسول ﷺ، حين يضع يده في أيديهم مبايعا، فانما يبايع عن الله، وهو تصوير جليل للبيعة بينهم وبين رسول الله ﷺ، فالواحد منهم يشعر وهو يضع يده في يده، أن يد الله فوق أيديهم، فالله حاضر البيعة، والله صاحبها،

---

(٥٦) نفس المصدر السابق ص ١٥٦.
(٥٧) نفس المصدر السابق ص ١٥٤ - ١٥٥.
(٥٨) مختصر تفسير ابن كثير - محمد علي الصابوني - (الطبعة السابعة ١٩٨١ م) المجلد الثالث ص ٣٤٢.

والله آخذها، ويده فوق أيدي المتبايعين[٥٩].

* * *

ان أنواع المقدمات التي تحدثنا عنها فيما سبق، وقدمنا لها المعالم القرآنية، التي تعبر عنها أصدق تعبير وأنقاه، لأنها كلام الله سبحانه وتعالى.. ليست هي كل أنواع المقدمات التي تجذب القارىء وتشجعه على القراءة، فهناك أنواع أخرى كثيرة، ولها مسميات عديدة، كما أنه يمكن استخدام أكثر من نوع منها في مقدمة يتطلبها الموضوع.. وسنرى أنواعا أخرى من المقدمات عندما نتعرض للمعالم القرآنية الخاصة بالموضوع الصحفي في الباب الثالث.. ويبقى بعد ذلك أن نستعرض (معالم قرآنية للمدخل الملفت المثير للانتباه) وهو أيضا يستهدف تحقيق نفس الغرض الذي تستهدفه المقدمات من جذب القارىء للقراءة، وتشويقه الى متابعة المادة الصحفية التي تلي المقدمة حتى نهايتها. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

---

(٥٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٦ ص ٣٣٢٠.

الفصل الثالث

المدخل المثير للانتباه

THE EYE - CATCHING LEAD

ان النجاح في صياغة مقدمة المادة الصحفية، وجعلها نابضة بالحركة والحياة، لا يتوقف فقط على أنواع مقدمات الأخبار البسيطة، أو الأخبار الطويلة، والموضوعات الصحفية الكبيرة، التي سبق تناولها في الفصلين السابقين، وانما يكون النجاح أيضا في اجادة البداية، والبراعة في صياغة الاستهلال أو المدخل الخاص بتلك المادة الصحفية، اذا وفق الكاتب في جعله «يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير الى ما سيق الكلام لأجله[1]» وأن يكون جميلا جذابا، مثيرا للانتباه والترقب، محركا للاحساس الجمالي، ومثيرا أيضا للاهتمام بما يتضمنه من مشكلات الناس وهمومهم، وكلها مداخل الى نفوس الناس، ومفاتيح لعقولهم وأفكارهم[2]. لتحريكها وتشجيعها على متابعة المادة الصحفية وقراءتها حتى النهاية.

وقد «قال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع، فان كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه، والا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن. فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله، وأرقه وأسلسله، وأحسنه نظما

---

(١) الامام جلال الدين السيوطي الشافعي - الاتقان في علوم القرآن (بيروت ١٩٧٩ م) جـ ٢ ص ١٠٦.

(٢) النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات العامة (زين العابدين الركابي) مصدر سابق ص ٣١٣.

وسبكا، وأصحه معنى، وأوضحه وأخلاه من التعقيد، والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب »[٣].

والمعالم القرآنية الخاصة بالبدايات الجيدة، أو الاستهلال الحسن، أو المدخل المثير للانتباه والاهتمام، والمحركة للوعي والملفتة للنظر كثيرة لا تنتهي.. «وقد أتت جميع فواتح السور (القرآنية) على أحسن الوجوه، وأبلغها وأكملها، كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء، وغير ذلك[٤] ».

فقد افتتح الله سبحانه وتعالى سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام، ولا يخرج شيء من السور عنها[٥]، وهي كما يلي:

(١) **الاستفتاح بالثناء عليه تعالى**: والثناء قسمان: اثبات لصفات المدح.. ونفي وتنزيه من صفات النقص.

فالأول: الاثبات نحو ﴿الحمد لله﴾ في خمس سور هي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، و ﴿تبارك﴾ في سورتين هما: الفرقان، والملك.

والثاني: التنزيه والتسبيح في سبع سور هي: الاسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

(٢) **الاستفتاح بحروف التهجي**: وقد بدأت تسع وعشرون سورة

---

(٣) الاتقان في علوم القرآن (الامام جلال الدين السيوطي الشافعي) مصدر سابق جـ ٢ ص ١٠٦.

(٤) نفس المصدر السابق ونفس الجزء والصفحة.

(٥) أنظر البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) الطبعة الثالثة - دار الفكر ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م) الجزء الأول من صفحة ١٦٤ حتى صفحة ١٨٠ وكذلك الاتقان في علوم القرآن المصدر السابق جـ ٢ ص ١٠٥ و ص ١٠٦.

بحروف التهجي مثل: الم، المص، المر، كهيعص، طه، طس، طسم، حم، ق، ن، ص. وغير ذلك.

(٣) **الاستفتاح بالنداء**: جاء ذلك في عشر سور.. منها خمس سور بدأت بنداء الرسول ﷺ وهي: الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزمل، والمدثر.. وخمس بدأت بنداء الأمة هي: النساء، والمائدة، والحج، والحجرات، والممتحنة.

(٤) **الاستفتاح بالجمل الخبرية**: وقد جاء ذلك في ثلاث وعشرين سورة هي: **الأنفال** ﴿يسألونك عن الأنفال﴾، **والتوبة** ﴿براءة من الله ورسوله﴾، **والنحل** ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ **والأنبياء** ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ **والمؤمنون** ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ **والنور** ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾، **والزمر** ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾، **ومحمد** ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾، **والفتح** ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾، **والقمر** ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، **والرحمن** ﴿الرحمن علم القرآن﴾، **والمجادلة** ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ **والحاقة** ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ **والمعارج** ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾، **ونوح** ﴿انا أرسلنا نوحا الى قومه﴾ **والقيامة** ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ **والبلد** ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ **وعبس** ﴿عبس وتولى﴾ **والقدر** ﴿انا أنزلناه في ليلة القدر﴾ **والبينة** ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ **والقارعة** ﴿القارعة ما القارعة﴾ **والتكاثر** ﴿ألهاكم التكاثر﴾ **والكوثر** ﴿انا أعطيناك الكوثر﴾.

(٥) **الاستفتاح بالقسم**: وجاء ذلك في خمس عشرة سورة هي: والصافات، والذاريات، والطور، والنجم، والمرسلات، والنازعات، والسماء ذات البروج، والسماء والطارق، والقمر، والشمس،

والليل، والضحى، والتين والزيتون، والعاديات، والعصر.

(٦) **الاستفتاح بالشرط:** في سبع سور هي: **الواقعة** ﴿اذا وقعت الواقعة﴾ **والمنافقون** ﴿اذا جاءك المنافقون﴾ **والتكوير** ﴿اذا الشمس كورت﴾ **والانفطار** ﴿اذا السماء انفطرت﴾ **والانشقاق** ﴿اذا السماء انشقت﴾ **والزلزلة** ﴿اذا زلزلت الأرض﴾ **والنصر** ﴿اذا جاء نصر الله والفتح﴾.

(٧) **الاستفتاح بالأمر:** في ست سور هي: **الجن** ﴿قل أوحي الي﴾ **والعلق** ﴿اقرأ باسم ربك﴾ **والكافرون** ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ **والاخلاص** ﴿قل هو الله أحد﴾ **والفلق** ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ **والناس** ﴿قل أعوذ برب الناس﴾.

(٨) **الاستفتاح بالاستفهام**[٦]: في ست سور وهي: **الانسان** ﴿هل أتى على الانسان﴾ **والنبأ** ﴿عم يتساءلون﴾ **والغاشية** ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ **والشرح** ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ **والفيل** ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ **والماعون** ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾.

(٩) **الاستفتاح بالدعاء:** في ثلاث سور هي: **المطففين** ﴿ويل للمطففين﴾ **والهمزة** ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ **والمسد** ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾.

(١٠) **الاستفتاح بالتعليل:** في موضع واحد هو سورة قريش ﴿لايلاف قريش﴾.

★ ★ ★

---

(٦) أنظر ما سبق أن قدمناه في الفصل الثاني تحت بند (ثانيا مقدمة السؤال) ففيه تفصيل واف.

ونتأمل فيما يلي نماذج من المعالم القرآنية لبعض تلك الأنواع التي افتتح الله تعالى بها سور القرآن الكريم، لنرى ما فيها من اعجاز جميل مثير للانتباه محفز على الترقب، محرك للاحساس الجمالي، ومثير للاهتمام أيضا بما يتضمنه من مشكلات الناس وهمومهم، وكلها مداخل الى نفوس الناس، ومفاتيح لعقولهم وأفكارهم كما سبق ذكره..

الاستفتاح بالثناء عليه تعالى:

أحد وجوه تلك المعالم القرآنية، للبدايات الملفتة الجاذبة للانتباه الانساني، استفتاح بعض السور القرآنية بالثناء عليه جل وعلا.. والثناء قسمان: القسم الأول اثبات لصفات المدح نحو ﴿الحمد لله﴾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور..﴾ (سورة الأنعام آية ١).

تبدأ السورة بالحمد لله، ثناء عليه، وتسبيحا لـه، واعترافا بأحقيته للحمد والثناء، على ألوهيته المتجلية في الخلق والانشاء.. بذلك تصل بين الألوهية المحمودة وخصيصتها الأولى.. الخلق.. وتبدأ بالخلق في أضخم مجال الوجود.. السماوات والأرض.. ثم في أضخم الظواهر الناشئة عن خلق السماوات والأرض وفق تدبير مقصود.. الظلمات والنور.. فهي اللمسة العريضة التي تشمل الأجرام الضخمة في الكون المنظور، والمسافات الهائلة بين تلك الأجرام والظواهر الشاملة الناشئة عن دورانها في الأفلاك[٧].

وقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ★ قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا﴾ (سورة الكهف الآيتان ١ - ٢).

---

(٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٧ ص ١٠٣٠.

بدء فيه استقامة، وفيه صرامة، وفيه حمد لله على انزاله الكتاب ﴿على عبده﴾ بهذه الاستقامة، ولا عوج فيه ولا التواء، ولا مداراة ولا مداورة. ومنذ الآية الأولى تتضح المعالم فلا لبس في العقيدة ولا غموض: الله هو الذي أنزل الكتاب، والحمد له على تنزيله، ومحمد هو عبد الله فالكل اذن عبيد، وليس لله من ولد ولا شريك، والكتاب لا عوج له «قيما» يتكرر معنى الاستقامة مرة عن طريق نفي العوج، ومرة عن طريق اثبات الاستقامة، توكيدا لهذا المعنى وتشديدا فيه(٨).

ومعلم آخر هو قوله تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير﴾. (سورة فاطر آية ١)

تبدأ السورة بتقديم الحمد لله، فهي سورة قوامها توجيه القلب الى الله، وايقاظه لرؤية آلائه واستشعار رحمته وفضله، وتجلي بدائع صنعته الدالة على الخلق والابداع. فهو منشيء الخلائق الهائلة، وأقربها الينا الأرض والسماء والحديث في السورة أيضا يتردد حول الرسل والوحي وما أنزل الله من الحق، والملائكة هم رسل الله بالوحي الى من يختاره من عباده في الأرض. ومن ثم يذكر الله الملائكة بصفتهم رسلاً عقب ذكره لخلق السماوات والأرض.. ولأول مرة نجد وصفاً للملائكة يختص بهيئتهم وبتكوينهم الخلقي ﴿أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ وهو وصف لا يمثلهم للتصور، لأننا لا نعرف كيف هم، ولا كيف أجنحتهم هذه، ولا نملك الا الوقوف عند هذا الوصف دون تصور معين له.. فان الانسان لا يعرف الا شكل الجناحين للطائر، والله سبحانه وتعالى ﴿يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير﴾(٩).

---

(٨) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١٥ ص ٢٢٥٩.

(٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٢ ص ٢٩٢٠ - ٢٩٢١.

وفي اطار القسم الأول وهو اثبات لصفات المدح، يوجد في القرآن الكريم سورتان افتتحها الله بتمجيده وتعظيمه، وعبر عن ذلك بكلمة ﴿تبارك﴾ الدالة على الاختصاص بمعاني السمو المطلق في الذات والصفات، وبمعاني الكثرة والزيادة في الفضل والاحسان. ولفضل الله على عباده مظهران: هذا الكون الذي خلقه وأبدعه وأودع فيه من الأسرار والمنافع ما تقف العقول دون الاحاطة به.. وهذا الكتاب المتلو الذي ختم الله به رسالاته وأنزله على عبده محمد ﷺ. فهما كتابان: كتاب صامت ينظر فيه الانسان فيعرف ويؤمن وينتفع، وكتاب متلو يقرؤه الانسان ويتدبره فينبهه الى ما في كتاب الكون من آيات وعجائب ومستودعات هي للانسان مسخرات. وقد أنزل في لفت الانظار الى الكتاب سورة (الفرقان) وبدأها بكلمة التمجيد والتعظيم ﴿تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾.. وأنزل في لفت الأنظار الى الكتاب الكوني سورة (الملك) وبدأها بتلك الكلمة نفسها ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾[١٠].

أما القسم الثاني ضمن اطار الاستفتاح بالثناء، فهو الخاص بالتنزيه والتسبيح، وقد وردت في سبع سور كما سبق ايضاحه، ومنها قوله تعالى في استفتاح سورة الاسراء ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.

حيث تبدأ السورة بتسبيح الله، أليق حركة نفسية تتسق مع جو الاسراء اللطيف، وأليق صلة بين العبد والرب في ذلك الأفق الوضيء[١١]، والمعنى تنزه وتقدس عما لا يليق بجلاله، الله العلي الشأن الذي انتقل بعبده ونبيه محمد ﷺ، في جزء من الليل من مكة المكرمة

---

(١٠) محمود شلتوت - الى القرآن الكريم (القاهرة بدون تاريخ) ص ١٤٨ - ١٤٩.
(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٥ ص ٢٢١١.

الى بيت المقدس وكانت مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في القدرة والاعجاز، ولهذا كان بدء السورة بلفظ ﴿سبحان﴾ الدالة على كمال القدرة، وبالغ الحكمة، ونهاية تنزهه تعالى عن صفات المخلوقين(١٢).

وكذلك قوله تعالى في استفتاح سورة (الحديد): ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾. هكذا ينطلق النص القرآني الكريم في مفتتح السورة، فتتجاوب أرجاء الوجود كله بالتسبيح لله(١٣).

وأيضا قوله تعالى في استفتاح سورة (الحشر): ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم* هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾.

بهذه الحقيقة التي وقعت وكانت في الوجود، حقيقة تسبيح كل شيء في السموات، وكل شيء في الأرض لله، واتجاهها اليه بالتنزيه والتمجيد. تفتتح السورة التي تقص قصة اخراج الله للذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم، واعطائها للمؤمنين به المسبحين الممجدين لأسمائه الحسنى، وهو القوي القادر على نصر أوليائه وسحق أعدائه، الحكيم في تدبيره وتقديره(١٤).

وقوله تعالى في استفتاح سورة (الصف): ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾.. تجيء هذه التسبيحة من الوجود كله لله العزيز الحكيم، في مطلع السورة التي تعلن للمسلمين أن دينهم هو

---

(١٢) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ١٥ ص ١٥١.

(١٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٦ ص ٣٤٧٧.

(١٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٨ ص ٣٥٢١.

الحلقة الأخيرة في دين الله، وأنهم هم الأمناء على هذا الدين الذي يوحد الله، وينكر على الكافرين والمشركين كفرهم وشركهم، والذي يدعوهم للجهاد لنصرته. فيوحي هذا المطلع الى أن الأمانة التي يقوم عليها المسلمون هي أمانة الوجود كله، وأن العقيدة التي يطلب اليهم الجهاد فيها هي عقيدة كل ما في السماوات وما في الأرض[١٥].

* * *

حروف الهجاء:

ومن المعالم القرآنية، للبدايات الملفتة، الجاذبة للانتباه الانساني، بدء بعض السور القرآنية **بحروف هجائية متقطعة**.. وهي بدايات توقظ في العربي - بقوة وعمق - احساسه اللغوي، ووعيه العقلي[١٦].. فقد بدئت تسع وعشرون سورة قرآنية بحروف هجائية مقطعة.. منها ما جاء على حرف واحد مثل (ص - ق - ن) وحرفين مثل (حم) وثلاثة مثل (الم) وأربعة مثل (المص) وخمسة مثل (كهيعص) لأن أساليب كلامهم منها ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك[١٧].. **ويلاحظ أن تلك السور تتحدث عن غريب غير مألوف مثل: القرآن، وأنباء الغيب، والتنويه بشأن العلم، والخلق والايجاد على طريق غير مألوفة. ولعلها بدئت كلها بهذا البدء غير المألوف، وهو تلك الحروف الهجائية التي تنطق بأسمائها لا بمسمياتها، وذلك ليكون البدء الغريب قرعا للأسماع، واعدادا لتلقي غرائب لا تعرف السنن المألوفة**[١٨].

---

(١٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٨ ص ٣٥٥١.

(١٦) النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات العامة (زين العابدين الركابي) مصدر سابق ص ٣١٤.

(١٧) مختصر تفسير ابن كثير، مصدر سابق، المجلد الأول ص ٢٧.

(١٨) الى القرآن الكريم (محمود شلتوت)، مصدر سابق، ص ٩٢.

ومن المعالم القرآنية في هذا المجال قوله تعالى: ﴿ألم ★ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (سورة البقرة الآيتان ١ - ٢).

تبدأ السورة بهذه الأحرف الهجائية الثلاثة المقطعة «ألف. لام. ميم» وهي حروف تنطق بأسمائها لا بمسمياتها - كما سبق ايضاحه - يليها الحديث عن كتاب الله ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾.. وابتداء السورة وتصديرها بهذه الحروف الهجائية، يجذب أنظار المعرضين عن هذا القرآن الكريم، اذ يطرق أسماعهم لأول وهلة ألفاظ غير مألوفة في تخاطبهم، فينتبهوا الى ما يلقى اليهم من آيات بينات. ففي ذلك اشارة للتنبيه الى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المخاطبين به من العرب، ولكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله. وقد تحداهم القرآن الكريم مرة ومرة ومرة أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو سورة من مثله، فلا يملكون لهذا التحدي جوابا[١٩].

قال ابن كثير: ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف، فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان اعجازه وعظمته[٢٠].. مثل ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ (سورة البقرة الآية ١).

- ﴿الم ★ الله لا اله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق﴾
(سورة آل عمران الآيتان ١ - ٢

- ﴿المص ★ كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾

(سورة الأعراف الآيتان ١ - ٢)

---

(١٩) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ١ ص ٣١ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١ ص ٣٨.

(٢٠) مختصر ابن كثير، مصدر سابق المجلد الأول ص ٢٧.

- ﴿المر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (سورة يونس الآية ١)
- ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾
(سورة هود الآية ١)
- ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ (سورة يوسف الآية ١)
- ﴿المر تلك آيات الكتاب﴾ (سورة الرعد الآية ١)
- ﴿الر كتاب أنزلناه اليك﴾ (سورة ابراهيم الآية ١)
- ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ (سورة الحجر الآية ١)
- ﴿طه ★ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾
(سورة طه الآيتان ١ - ٢)
- ﴿طسم ★ تلك آيات الكتاب المبين﴾
(سور الشعراء الآيتان ١ - ٢)
- ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ (سورة النمل الآية١)
- ﴿طسم ★ تلك آيات الكتاب المبين﴾
(سورة القصص الآيتان ١ - ٢)
- ﴿الم ★ تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (سورة لقمان الآيتان ١ - ٢)
- ﴿الم ★ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾
(سورة السجدة الآيتان ١ - ٢)
- يس ★ والقرآن الحكيم﴾ (سورة يس الآيتان ١ - ٢)
- ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ (سورة ص الآية ١)
- ﴿حم ★ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾
(سورة غافر الآيتان١ - ٢)
- ﴿حم ★ تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ (سورة فصلت الآيتان ١ - ٢)
- ﴿حم ★ والكتاب المبين﴾ (سورة الزخرف الآيتان ١ - ٢)
- ﴿حم ★ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾
(سورة الجاثية الآيتان١ - ٢)

- ﴿حم ★ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾
(سورة الأحقاف الآيتان ١ - ٢)
- ﴿ق ★ والقرآن المجيد﴾ (سورة ق الآيتان ١ - ٢)

كذلك كان هذا البدء الغريب غير المألوف بتلك الحروف الهجائية، ليكون البدء الغريب قرعا للأسماع، واعدادا لتلقي غرائب لا تعرف السنن المألوفة، وبذلك يكون التناسق والتوافق التامين بين المدخل وبين ما يليه من تفصيل.

ومن أمثلة ذلك بدء سورة مريم بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾.. وقد ذكرت تلك السورة قصتين غريبتين عجيبتين: قصة نبي الله زكريا وولده يحيى عليهما السلام الذي رزقه الله به مع أن امرأته كانت عاقرا، وكان هو قد بلغ من الكبر عتيا ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ (سورة مريم الآية ٨) وكذلك قصة السيدة مريم وولدها عيسى عليه السلام، وهي أكثر غرابة من القصة السابقة، وهي التي أنجبت من غير أن يمسها بشر ﴿قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا﴾ (سورة مريم الآية ٢٠).

كان هذا معنى واحد من معاني البدايات القرآنية المثيرة للانتباه والاهتمام، فالحروف عربية مما يألفه الناس، ويحركون ألسنتهم بها، لكن الاعجاز في التركيب، وفي البداية المحركة للانتباه، الموقظة للحس اللغوي، والعقلي، الملفتة لهذا الكتاب المبين[٢١].

★ ★ ★

(٢١) الطربة الاسلامية في الاعلام والعلاقات العامة (زين العابدين الركابي) مصدر سابق ص ٣١٥.

الاستفتاح بالنداء:

رأينا فيا سبق أن الاستفتاح بالنداء ورد في عشر سور قرآنية من بينها خمس سور بدأت بنداء الرسول ﷺ، ومنها استفتاح سورة (الأحزاب) بقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما ★ واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ★ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾.

تبدأ السورة التي تتولى تنظيم الحياة الاجتماعية للمسلمين بتشريعات وأوضاع جديدة، ذلك البدء بتوجيه الرسول ﷺ، الى تقوى الله، وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين، واتباع ما يوحي اليه ربه، والتوكل عليه وحده، وهو البدء الذي يربط سائر ما ورد في السورة، من تنظيمات، وأحداث، بالأصل الكبير الذي تقوم عليه شرائع هذا الدين وتوجيهاته، ونظمه، وأوضاعه، وآدابه وأخلاقه.. أصل استشعار القلب لجلال الله والاستسلام المطلق لارادته، واتباع المنهج الذي اختاره، والتوكل عليه وحده، والاطمئنان الى حمايته ونصرته[٢٢].

واستفتاح سورة (الطلاق) بقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله﴾.. هذا استفتاح سورة الطلاق التي بين الله فيها بعض أحكامه. وهذا هو أول حكم يوجه الخطاب به الى النبي ﷺ، ﴿يا أيها النبي﴾ ثم يظهر أن الحكم خاص بالمسلمين لا بشخصه ﷺ.. فيوحي هذا النسق من التعبير بما وراءه، وهو اثارة الاهتمام، وتصوير الجدية.. فهو أمر ذو بال، ينادي الله نبيه بشخصه ليلقي اليه فيه بأمره، كما يبلغه لمن وراءه، وهي ايحاءات نفسية واضحة الدلالة على ما يراد بها من احتفال واحتشاد[٢٣].

---

(٢٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢١ ص ٢٨١٨ - ٢٨١٩.

(٢٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٨ ص ٣٥٩٨ - ٣٥٩٩.

كذلك من المعالم القرآنية للبدايات الملفتة للنظر، استفتاح بعض السور القرآنية بنداء الأمة مثل: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ و﴿يا أيها الناس﴾ فان النداء يوقظ السامعين للاصغاء اليه....

ومن ذلك استفاح سورة (الحجرات) بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم﴾.

تبدأ السورة بأول نداء حبيب، وأول استجاشة للقلوب ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نداء من الله تعالى للذين آمنوا به بالغيب. واستجاشة لقلوبهم بالصفة التي تربطهم به، وتشعرهم بأنهم له، وأنهم يحملون شارته، وأنهم في هذا الكوكب عبيده، وجنوده، وأنهم هنا لأمر يقدره ويريده، وأنه حبب اليهم الايمان، وزينه في قلوبهم اختيارا لهم، ومنة عليهم، فأولى لهم أن يقفوا حيث أراد لهم أن يكونوا، وأن يقفوا بين يدي الله موقف المنتظر لقضائه، وتوجيهه في نفسه وفي غيره، يفعل ما يؤمر، ويرضى بما قسم، ويسلم ويستسلم[٢٤].

ومن ذلك أيضا استفتاح سورة (الممتحنة) بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة﴾. تبدأ السورة بذلك النداء الودود الموحي ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ نداء من ربهم الذي آمنوا به، يدعوهم باسم الايمان الذي ينتسبون اليه، ليبصرهم بحقائق موقفهم، ويحذرهم حبائل أعدائهم ويذكرهم بالمهمة الملقاة على عاتقهم[٢٥].

ومن ذلك أيضا استفتاح موجه للناس جميعا، في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله

---

(٢٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٦ ص ٣٣٣٨.

(٢٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٨ ص ٣٥٤٠.

كان عليكم رقيبا﴾ (سورة النساء الآية ١).

فقد افتتح الله سبحانه وتعالى تلك السورة بنداء الناس كافة، ليوقظ فيهم الاصغاء اليه، وأمرهم بتقوى الله، وذكرهم في سبيل ذلك الأمر بنعمة الخلق والايجاد من نفس واحدة، فكان الناس جميعا رجالا ونساء. ثم أعاد الأمر بتقوى الله الذي اليه تفزع القلوب، وتتوثق العلائق، وتتقوى الأرحام التي بينهم، والتي ترجع الى أصل واحد.. وقد مهدت الآية بهذا كله للأحكام التي وضعها الله للناس في تلك السورة، والتي ينظم بها المؤمنون شئونهم الداخلية، ويحفظون بمراعاتها وتنفيذها كيانهم واستقلالهم، ويدفعون بها كيد الكائدين، واغارة المحاربين[٢٦].

وكذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (سورة الحج الآية ١) حيث تبدأ السورة بالنداء الشامل للناس جميعا، يدعوهم الى تقوى الله، وتخوفهم زلزلة الساعة، ويصف الهول العنيف المرهوب المصاحب لها.. وهذا المدخل والبدء يناسب جو السورة كلها، حيث تسودها ظلال القوة والشدة والعنف والرهبة، والتحذير والترهيب، واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام. وتبدو هذه الظلال والمشاهد وتبرز في موضوعات التوحيد، والتخويف من الساعة، واثبات البعث، وانكار الشرك، ومشاهد القيامة، ومصارع الغابرين، وآيات الله المبثوثة في صفحات الكون. والى جوارها موضوعات الاذن بالقتال، وحماية الشعائر، والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي، وهو برد العدوان، والأمر بالجهاد في سبيل الله[٢٧].

* * *

(٢٦) الى القرآن الكريم (محمود شلتوت) مصدر سابق ص ٣٤.
(٢٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١٧ ص ٢٤٠٦ - ٢٤٠٨.

الاستفتاح بالشرط:

كذلك من أنواع استفتاح السور القرآنية التي تشد الانتباه، وتثير الاهتمام. الاستفتاح بالشرط الذي بدأت به سبع سور كما سبق ايضاحه. ومنها سورة (الواقعة) التي افتتحت بقوله تعالى: ﴿اذا وقعت الواقعة ★ ليس لوقعتها كاذبة ★ خافضة رافعة ★ اذا رجت الأرض رجا ★ وبست الجبال بسا ★ فكانت هباء منبثا﴾.. هذا الاستفتاح واضح فيه التهويل في عرض هذا الحدث الهائل. فمرتين يبدأ باذا الشرطية ويذكر شرطها ولا يذكر جوابها ﴿اذا وقعت الواقعة ★ ليس لوقعتها كاذبة ★ خافضة رافعة﴾ ولكن يبدأ حديثا جديدا ﴿اذا رجت الأرض رجا ★ وبست الجبال بسا ★ فكانت هباء منبثا﴾ ومرة أخرى لا يقول: ماذا يكون اذا كان هذا الهول العظيم.. فكأنما هذا الهول كله مقدمة لا يذكر نتائجها، لأن نتائجها أهول من أن يحيط بها اللفظ، أو تعبر عنها العبارة. وهكذا تبدأ السورة بما يزلزل الكيان البشري. ويهول الحس الانساني، تجاه قضية النشأة الأخرى التي ينكرها المنكرون، ويكذب بها المشركون[٢٨].

★ ★ ★

استهلال فريد:

وهذا استهلال فريد في القرآن الكريم كله - **يقع ضمن نوع الاستفتاح بالجمل الخبرية** - افتتح الله سبحانه وتعالى به سورة (النور) لكي يسترعي انتباه المسلمين، فينظروا ما في تلك السورة من أحكام، ومواعظ، ويعملوا بها.. فهي تبدأ بقوله تعالى: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ (سورة النور الآية ١).. وهذا البدء الفريد الذي لا يسايرها فيه مقدمة سورة أخرى في

---

(٢٨) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٧ ص ٣٤٦٢.

القرآن الكريم كله، هو اعلان قوي حاسم عن تقرير هذه السورة. وفرضها بكل ما فيها من حدود، وتكاليف. وآداب، وأخلاق، كما يدل هذا البدء أيضا، على مدى اهتمام القرآن الكريم بالعنصر الأخلاقي في الحياة، ومدى عمق هذا العنصر وأصالته في العقيدة الاسلامية، وفي فكرة الاسلام والحياة الانسانية(٢٩).

ونتأمل مع الدكتور كامل سلامة الدقس(٣٠) - في تحليله الأدبي لكلمات هذه الآية الكريمة - مدى الدقة في اختيار كلماتها، ودلالتها الصريحة القوية على معانيها.. فهذا الابتداء بكلمة (سورة) النكرة أفاد التعظيم، والتهويل من شأن هذه السورة. فكل ما في القرآن سور، فلماذا قال عن هذه السورة ﴿سورة﴾؟ فكأنه سبحانه يقول: سورة وما أدراك ما هذه السورة، انها سورة ولكن تمتاز عن غيرها بأمور استحقت عليها هذا الثناء، والاعجاب من منزلها، واذا كانت عند الله سبحانه وتعالى وهو منزلها عظيمة، أفلا تكون عند عباده أعظم؟.

ولم يكتف السياق بذلك فقط بل قال أيضا: ﴿أنزلناها﴾ ونلمح التأكيد في هذه الكلمة على مدى شرف هذه السورة وعظمتها وأهميتها.. أفليس القرآن كله قد نزل من عند الله على نبيه ﷺ؟ فلماذا اختصت هذه السورة بهذا التنويه؟. ألا ترى أن المقصود التنبيه على أهميتها؟.

ثم تأمل المؤكد الثالث لأهمية هذه السورة بقوله تعالى: ﴿وفرضناها﴾ والفرض في اللغة، القطع والايجاب والالزام.. أي جعلناها واجبة

---

(٢٩) كامل سلامة الدقس - منهج سورة النور في اصلاح النفس والمجتمع (جدة - الطبعة الثانية ١٩٧٦ م) ص ١٤ - ١٥ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٨ ص ٢٤٨٥ - ٢٤٨٦ وأيضا التفسير الواضح، مصدر سابق جـ ١٨ ص ٤٠.

(٣٠) المصدر الأول السابق من ص ١٥ حتى ص ١٩.

مقطوعا بها، والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده.. فهي ليست بمثابة توصيات يكون لنا الخيار في العمل بها أو لا. انها أحكام قاطعة لا بد من اتباعها، وتمييز ما جاء فيها.. وتأمل أيضا تأكيد هذه الفرضية بكلمة (نا) فالله سبحانه وتعالى هو الذي فرض وأوجب العمل بهذه الأحكام، وضرورة التقيد الدقيق بها، وتنفيذها دون نقص أو تأجيل.

ويزيد هذه المسألة تأكيدا تكرر قوله ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ فتكرار (الانزال) فيه ما فيه من التهويل والتعظيم، والتكريم لشأن هذه السورة، ويبرز كمال العناية بشأنها كلمة «آيات» وهي أكثر استعمالا في الشئون ذات الخطر. و«بينات» جمع بينة، أي واضحة الدلالة على صدق ما قامت عليه.. ومعنى ذلك أنه سبحانه أنزل في هذه السورة آيات واضحات الدلالة على ما فيها من الأحكام، ولا مجال للاعتذار عن العمل بأننا لم نفهمها أو لم يتضح لنا معناها.

وهكذا تتضح الأهمية العظمى لهذه السورة، العظيمة الشأن عند الله تعالى، فقد بدأها جل شأنه بما هو متحقق في كل سورة، فما من سورة من القرآن الكريم الا وهي سورة أنزلها جل شأنه، وفرضها على عباده فرض الاذعان لها، والتصديق بما فيها، والعمل بما احتوت عليه، وانما اختص هذه السورة بهذه البداية، لتربية الانتباه في نفس سامعيها، وجذب اهتمامها اليها، والتفطين لما سيلقي عليهم فيها، وتنويها بشأنه وتعظيما له.

* * *

الهم والمشكلة:

ان مشاركة الناس همومهم، والتعاطف مع مشكلاتهم، تعتبر مداخل هامة الى نفوسهم وجذب اهتمامهم.. ولقد كانت الهموم والمشكلات أحد مـــداخـــل القرآن الكريم الى نفوس النـــاس، وحيـــاتهم الشخصيـــة

والاجتماعية.. والمعالم القرآنية في هذا الصدد كثيرة، حيث وصل القرآن الكريم - على سبيل المثال - حركة السوق والمظالم التي تكتنفها، بقضية الايمان والبعث[31]. وذلك في قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين ★ الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ★ واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ★ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ★ ليوم عظيم ★ يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (سورة المطففين الآيات ١ - ٦) والمطففين: جمع مطفف، وهو الذي ينقص في الكيل والوزن. والتطفيف: النقصان، وأصله من الطفيف، وهو الشيء اليسير، لأن المطفف لا يكاد يسرق في الكيل والوزن الا الشيء اليسير.. **وهذا المعلم القرآن يندرج تحت نوع الاستفتاح بالدعاء**، حيث ابتدأت السورة الكريمة بالحرب يعلنها الله سبحانه وتعالى، على المطففين الذين ينقصون المكيال والميزان، وتبين الآيتان التاليتان أوصافهم القبيحة، بأنهم هم الذين يتقاضون بضاعتهم وافية اذا كانوا شراة، ويعطونها للناس ناقصة اذا كانوا بائعين. ثم تعجب الآيات الثلاثة التالية من أن المطففين، الذين يتصرفون كأنه ليس هناك حساب على ما يكسبون في الحياة الدنيا، وكأن ليس هناك موقف جامع بين يدي الله في يوم عظيم، يتم فيه الحساب والجزاء أمام رب العالمين[32].

وواضح من ذلك مدى اهتمام الدين الاسلامي بمشكلات الناس، وشمول منهجه للحياة الواقعية وشئونها العملية، واقامتها على الأساس الأخلاقي العميق، الأصيل، في طبيعة هذا المنهج الالهي القويم. فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم، والانحراف الأخلاقي في التعامل في

---

(٣١) النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية (زين العابدين الركابي) مصدر سابق ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٣٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٣٠ ص ٣٨٥٤ - ٣٨٥٥ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٥٣١.

السنة المكية. وهو بعد لم يتسلم زمام الحياة الاجتماعية، لينظمها وفق مرتعه بقوة سلطان الدولة. حيث لم تكن الهجرة الى المدينة قد تمت.. وأرسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل على المطففين، وهم يومئذ سادة مكة. أصحاب السلطان المهيمن - لا على أرواح الناس ومشاعرهم عن طريق العقيدة الوثنية فحسب - بل كذلك على اقتصادياتهم وشئون معاشهم. ورفع صوته عاليا في وجه الغبن، والبخس الواقع على الناس وهم جمهرة الشعب[33].

ومن المعالم القرآنية التي تشارك الناس همومهم، وتتعاطف مع مشكلاتهم قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين* فذلك الذي يدع اليتيم* ولا يحض على طعام المسكين*﴾
(سورة الماعون الآيات ١ - ٣).

وهذا المعلم القرآني الذي افتتحت به سورة (الماعون) يندرج تحت نوع الاستفتاح بالاستفهام - كما سبق ذكره - حيث تبدأ هذه السورة بهذا الاستفهام الذي يوجه كل من تتأتى منه الرؤية ليرى.. وينتظر من يسمع هذا الاستفهام ليرى الى أين تتجه الاشارة، والى من تتجه؟ ومن هو الذي يكذب بالدين، والذي يقرر القرآن أنه يكذب بالدين؟ واذا الجواب ﴿فذلك الذي يدع اليتيم* ولا يحض على طعام المسكين﴾ وقد تكون هذه مفاجأة بالقياس الى تعريف الايمان التقليدي.. ولكن في هذه الآيات يصل القرآن الكريم مشكلة دع اليتيم، أي الذي يدفعه دفعا عنيفا ويهينه ويؤذيه، وعدم الحض على طعام المسكين، أو التوصية برعايته، يصل القرآن ذلك بالتكذيب بيوم الدين.. فحقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان، انما هي تحول في القلب يدفعه الى الخير والبر بأخوانه في البشرية، المحتاجين الى

---

(٣٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٣٠ ص ٣٨٥٥.

الرعاية والحماية. والله لا يريد من الناس كلمات، انما يريد منهم معها أعمالا تصدقها، والا فهي هباء لا وزن لها عنده ولا اعتبار. وليس أصرح من هذه الآيات الثلاث في تقرير هذه الحقيقة، التي تمثل روح العقيدة الاسلامية، وطبيعة الدين الاسلامي أصدق تمثيل[٣٤].

والهم الفردي كان سببا في نزول آيات بينات، ومن تلك المعالم القرآنية، افتتاح سورة (عبس) المتمثل في قوله تعالى: ﴿عبس وتولى ★ أن جاءه الأعمى ★ وما يدريك لعله يزكى ★ أو يذكر فتنفعه الذكرى ★ أما من استغنى ★ فأنت له تصدى﴾ (سورة عبس الآيات ١ - ٦) **وهذا الاستفتاح يندرج تحت نوع الاستفتاح بالجمل الخبرية**، كما سبق إيضاحه، فتذكر هذه الآيات الكريمة قصة الأعمى (عبدالله ابن ام مكتوم) رضي الله عنه، الذي جاء الى رسول الله ﷺ، يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله. وكان رسول الله ﷺ، مشغولا مع جماعة من صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام، ويطمع في اسلامهم، رجاء أن يسلم أتباعهم. فعبس ﷺ وأعرض عنه، وأقبل على القوم يكلمهم.. فنزل القرآن الكريم بالعتاب[٣٥].

كذلك من المعالم القرآنية التي نزلت في الهم الفردي أيضا، استفتاح سورة (المجادلة) في قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير﴾
(سورة المجادلة الآية ١).

وهذا الاستفتاح يندرج تحت نوع الاستفتاح بالجمل الخبرية كما سبق ذكره. **فهذه صورة عجيبة توضح اتصال السماء بالأرض، بطريقة**

---

(٣٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٣٩٨٥ وكذلك النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية، مصدر سابق، ص ٣١٨.

(٣٥) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ٣٠ ص ٥١٨.

مباشرة محسوسة، ومشاركتها في الحياة اليومية لجماعة الناس مشاركة ظاهرة. فنشهد السماء تتدخل في شأن يومي لأسرة صغيرة فقيرة مغمورة، لتقرر حكم الله في قضيتها، وهي صورة تملأ القلب بوجود الله بقربه وعطفه ورعايته[٣٦].

فهذه (خولة بنت ثعلبة) التي ظاهر منها زوجها (أوس ابن الصامت) على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار. وقد جاءت تلك المرأة رسول الله ﷺ، تشكو ظلم زوجها لها. وقالت يا رسول الله: (أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني). ورسول الله ﷺ يقول لها: «ما أراك الا قد حرمت عليه» فكانت تجادله وتقول: يا رسول الله ما طلقني ولكنه ظاهر مني. فيرد عليها قوله السابق. ثم قالت: اللهم اني أشكو اليك، فاستجاب الله دعاءها، وفرج كربتها، وشكواها[٣٦].

ولما كان الانشغال بالرزق، وما يخبئه القدر عنه من أكثف العوائق التي تحول بين الانسان وبين التجرد لعبادة الله تعالى، والانطلاق اليه، فقد اهتم القرآن الكريم بتخليص القلب من تلك العوائق، وتطمين النفس من جهة الرزق، وتعليق القلب بالسماء في شأنه لا بالأرض وأسبابها القريبة.. ونجد مثالا على ذلك في افتتاح سورة (الذاريات) في قوله تعالى: ﴿والذاريات ذروا ★ فالحاملات وقرا ★ فالجاريات يسرا ★ فالمقسمات أمرا ★ انما توعدون لصادق ★ وان الدين لواقع﴾

(سورة الذاريات الآيات ١ - ٦).

وهذا الاستفتاح من نوع الاستفتاح بالقسم.. وتبدأ هذه السورة بذكر قوى أربعة من أمر الله، في لفظ مبهم الدلالة، يوقع في الحس

---

(٣٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٨ ص ٣٥٠٣ - ٣٥٠٤.

(٣٧) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ٢٨ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

لأول وهلة أنه أمام أمور ذات سر، يقسم الله تعالى على أمر.. والذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات.. مدلولاتها ليست متعارفة، وهي غامضة تحتاج الى السؤال والاستفسار وهذا الاستفتاح بالقسم يستهدف ربط القلب البشري بالسماء، وتعليقه بغيب الله المكنون، وتخليصه واطلاقه من كل عائق يحول بينه وبين التجرد لعبادة الله، والفرار اليه تعالى[٣٨].

ومنهج ربط قضايا الناس بالتوحيد والدعوة وتقوى الله، وبالدار الآخرة، انما هو منهج الأنبياء جميعا، ومنهم على سبيل المثال أنبياء الله: هود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام.. دعوا الى توحيد الله وعبادته من خلال المشكلات التي تموج بها مجتمعاتهم، وهي مشكلات صناعية، وزراعية، وخلقية، وتجارية[٣٩].

* * *

الاحساس بالجمال:

ان الاحساس بالجمال فطرة في الانسان، وتحريك هذا الاحساس مدخل الى عمقه النفسي والفطري. ويتم التحريك بطرق متعددة. ومنها تقديم الحقائق والمعاني والقيم في وعاء جميل، وشكل جذاب، وكساء أنيق[٤٠]. والمعالم القرآنية التي يتألق فيها الجمال كثيرة، وخاصة تلك التي تتحدث عن الكون، ومنها قوله تعالى: ﴿انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ (سورة الصافات الآية ٦) ونظرة الى السماء كافية لرؤية هذه الزينة، ولادراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا

---

(٣٨) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٧ ص ٣٣٧٣.

(٣٩) النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية (زين العابدين الركابي)، مصدر سابق ص ٣١٩.

(٤٠) النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية، مصدر سابق ص ٣١٥.

الكون. وأن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق. وأن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي. وأن تصميمه قائم على جمال التكوين كما هو قائم على كمال الوظيفة، سواء بسواء، فكل شيء فيه بقدر، وكل شيء فيه يؤدي وظيفته بدقة. وهو في مجموعه جميل. والسماء وتناثر الكواكب فيها، أجمل مشهد تقع عليه العين، ولا تمل طول النظر اليه، وتتبع مواقع النجوم والكواكب، وتغير منازلها ليلة بعد ليلة. متعة نفسية لا تملها النفس أبدا[٤١].

وهذا معلم قرآني آخر حول الاحساس بالجمال يتمثل في قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾ (سورة الحجر الآية ١٢) فهنا لفتة الى جمال الكون، تشي بأن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون. وينتظم المظاهر جميعا، وينشأ من تناسقها جميعا. وان نظرة مبصرة الى السماء في الليلة الحالكة، وقد انتثرت فيها الكواكب والنجوم، ونظرة مثلها في الليلة القمرية والبدر حالم، لكفيلة بادراك حقيقة الجمال الكوني، وعمق هذا الجمال في تكوينه[٤٢].

* * *

الحسن والسرور:

والحسن والسرور من المداخل القرآنية الى نفوس الناس[٤٣]. ومن المعالم القرآنية في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ (سورة النمل الآية ٦٠) أي وأنزل لكم بقدرته المطر من السحاب، فأخرج به حدائق بهيجة ناضرة، خضرة، حية، جميلة، مفرحة، ومنظر الحدائق يبعث في النفس والقلب السرور

---

(٤١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٣ ص ٢٩٨٣ - ٢٩٨٤.
(٤٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٤ ص ٢١٣٣.
(٤٣) النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية، مصدر سابق، ص ٣١٧.

والبهجة والنشاط والحيوية(٤٤).

وقوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (سورة الحج الآية ٥) أي فاذا أنزلنا المطر على الأرض تحركت بالنبات وانتفخت وزادت وحييت بعد موتها، وأخرجت من كل صنف عجيب ما يسر الناظر ببهائه ورونقه(٤٥).

* * *

رأينا فيما سبق، أن القرآن الكريم، قد اهتم بالبدايات أو المدخل أو الاستفتاح، لأنها أول ما يقرع السمع وتقع عليه العين، وجعلها مثيرة للانتباه والاهتمام، محفزة على الترقب، ومحركة للوعي والاحساس بالجمال وملفتة للنظر، حتى يقبل السامع أو القارىء على كلام الله بقلب مفتوح، ويظل مشدودا اليه حتى نهايته.. وقد أتت جميع فواتح السور القرآنية - على عشرة أنواع من الكلام - على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها وأوضحها، كما اهتمت بمشكلات الناس وهمومهم، والاحساس بالجمال، وهي مداخل الى نفوس الناس، ومفاتيح لعقولهم وأفكارهم.. وكل تلك المعالم القرآنية وغيرها اذا استرشد بها الصحفي واهتدى بالتوجيهات التي توحي بها وتتضمنها ثناياها، استطاع أن ينجح في صياغة مقدمات المادة الصحفية التي يكتبها، فتأتي نابضة بالحياة، مثيرة للانتباه والترقب، ومشجعة على مواصلة قراءة تلك المادة حتى النهاية.

ثم ننتقل من المقدمات الجيدة، والاستهلال الحسن، الى الحديث عن الخاتمة القوية، التي يجب ألا تقل في قوتها عن المقدمة، باعتبارها آخر

---

(٤٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٠ ص ٢٦٥٦ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ٢٠ ص ٤١٤.

(٤٥) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ١٧ ص ٢٨٢.

ما تقع عليه عين القارىء، ويقرع أذن السامع ويبقى في حسه يتردد صداه فترة طويلة، ونسترشد في ذلك بالمعالم القرآنية الخاصة بخواتيم السور، وهذا هو موضوع الفصل التالي.

* * *

الفصل الرابع

الخاتمة الجيدة

THE GOOD CONCLUSION

رأينا في الفصول الثلاثة السابقة، أن المقدمة أو المدخل أو الاستهلال الجيد، تشكل أحد العوامل الهامة التي تجذب القارىء، الى قراءة المادة الصحفية، وتساهم في اثارة فضوله، ورفع درجة قابليته للقراءة، وتقوده في براعة الى أن ينتهي من قراءة تلك المادة كلها، بما تحمله من عناصر الجاذبية والتشويق، وما يشير الى أهمية المادة الصحفية نفسها لارتباطها الوثيق بتلك المادة..

والخاتمة أو النهاية.. لا تقل في الأهمية عن المقدمة.. فالمقدمة الجيدة تتطلب خاتمة أو نهاية جيدة أيضا.. لأن المقدمة والخاتمة هما روح المادة الصحفية.. وهي عملية هامة جدا بالنسبة لتحرير المادة الصحفية، لأنها آخر ما تقع عليه عيون القراء، ويستقر في أذهانهم. ولذلك فان الاهتمام بالخاتمة أو النهاية، يعتبر أمرا حيويا لاحداث الأثر المطلوب منها في عقول القراء وتفكيرهم.

ودليلنا على ذلك من كتاب الله الكريم - ولله المثل الأعلى - فقد جاءت خواتم السور القرآنية مثل فواتحها في الحسن، لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع ايذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف الى ما يذكر بعد، لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، ومواعظ، وتحميد، وتهليل، ووعد، ووعيد الى غير ذلك[١].

(١) البرهان في علوم القرآن (للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي) مصدر سابق

أول معلم قرآني في هذا الصدد، تنع عليه أعيننا في كتاب الله، هو خاتمة فاتحة الكتاب، التي تضمنت تفصيل جملة المطلوب. اذ المطلوب الأعلى الايمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال. تفصيل حملة ذلك بقوله تعالى ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ والمراد المؤمنون،. ولذلك أطلق الانعام ولم يقيده، ليتناول كل انعام، لأن من أنعم الله عليه بنعمة الايمان، فقد أنعم الله عليه بكل نعمة لأنها مستتبعة لجميع النعم.. ثم وصفهم بقوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الايمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده(٢).

وثاني تلك المعالم القرآنية الخاصة بالخاتمة الجيدة، تتمثل في ختام سورة (البقرة) في قوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ★ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

(سورة البقرة الآيتان ٢٨٥ - ٢٨٦)

هذا ختام السورة الكبيرة، في آيتين اثنتين، متناسق مع موضوعاتها وجوها وأهدافها.. لأنها تمثلان تلخيصا وافيا لأعظم قطاعات تلك السورة التي اشتملت على تكاليف كثيرة في الصلاة، والزكاة، والقصاص، والصوم، والحج، والجهاد، والطلاق، والعدة، وأحكام الربا

= حـ ١ ص ١٨٢، وكذلك الاتقان في علوم القرآن (للامام جلال الدين السيوطي الشافعي) مصدر سابق حـ ٢ ص ١٠٧.

(٢) المصدران السابقان.

والبيع والدين الخ.. انه الختام الذي يلخص السورة، ويلخص العقيدة، ويلخص تصور المؤمنين وحالهم مع ربهم في كل حين، ويتناسق مع خط السورة الأصلي(٣).

وهذا معلم قرآني آخر للخاتمة الجيدة، وهو ختام سورة (آل عمران) الذي تضمن بعض الوصايا للمؤمنين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (الآية ٢٠٠). انه نداء من الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا بالصبر على تكاليف الدين والمصابرة لاعداء الله في الجهاد، ومعاقبتهم والصبر على شدائد الحرب، والمرابطة في الغزو.. وهو ختام يناسب جو السورة وموضوعاتها جميعا. فان سياق السورة حافل بذكر الصبر والتقوى (مفردين ومجتمعين) وبالدعوة الى الاحتمال والمجاهدة، ودفع الكيد، وعدم الاستماع لدعاة الهزيمة والبلبلة. ومن ثم تختم السورة بالدعوة الى الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى. فيكون هذا أنسب ختام للسورة، وتلخيصا لموضوعاتها الأساسية(٤).

ومن المعالم القرآنية لخواتم السور، ختام سورة (النساء) في قوله تعالى: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ (سورة النساء الآية ١٧٦). وحسن الختم بها لأنها آخر ما نزل من الأحكام عام حجة الوداع.. وهكذا تختم السورة بتكملة أحكام الكلالة، وكانت قد

(٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٣ ص ٣٣٩ - ٣٤٧ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ٣ ص ١٨٠.

(٤) البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق جـ ١ ص ١٨٣ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق، جـ ٤ ص ٥٥١.

بدأت بعلافات الأسرة، وتكافلها الاجتماعي ،وتضمنت الكثير من التنظيمات الاجتماعية في ثناياها. وتختم آية الميراث، ونختم معها السورة بذلك التعقيب القرآني الذي يرد الأمور كلها لله، ويربط تنظيم الحقوق والواجبات، والأموال وعبرها بشريعة الله، ﴿يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ صيغة جامعة شاملة ﴿بكل شيء﴾ من الميراث وعبر الميراث، من علاقات الأسر، وعلاقات الجماعات من الأحكام والتشريعات، فاما اتباع بيان الله في كل شيء واما الضلال[5].

وهذا ختام سورة (المائدة) وهو من المعالم القرآنية للختام الحسن، لأنه يتضمن التبجيل والتعظيم لله سبحانه وتعالى ﴿ لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾ (الآية ١٢٠) فهذا الايقاع الأخير في السورة يعلن تفرد الله سبحانه بملك السماوات والأرض وما فيهن، وقدرته سبحانه على كل شيء بلا حدود، وهو ختام يتناسق مع السورة التي تتحدث عن «الدين» وتعرضه ممثلا في اتباع شريعة الله وحده، والتلقي منه وحده، والحكم بما أنزل دون سواه[6].

وكذلك ختام سورة (الأنعام) التي تضمنت الوعد والوعيد بقوله تعالى: ﴿ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ (الآية ١٦٥) ولذلك أورد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسرعة، وتوكيد الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع[7].

وخاتمة سورة (ابراهيم) هي من أوضح المعالم القرآنية في مجال الخاتمة

---

(٥) نفس المصدر الأول السابق ونفس الجزء والصفحة.. وكذلك نفس المصدر الثاني السابق جـ ٦ ص ٨٢٣ - ٨٢٤.

(٦) البرهان في علوم القرآن، نفس المصدر السابق، وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق، جـ ٧ ص ١٠٠٢.

(٧) البرهان في علوم القرآن، نفس المصدر السابق.

القوية، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر ألوا الألباب﴾ (سورة ابراهيم الآية ٥٢) فهذا اعلان عام جهير الصوت، عالي الصدى لتبليغ البشرية كلها في كل مكان، واعلام الناس أن الغاية الأساسية من ذلك البلاغ، وهذا الانذار ﴿أنما هو اله واحد﴾ فهذه هي قاعدة دين الله، التي يقوم عليها منهجه في الحياة، وليس المقصود مجرد العلم، انما المقصود هو اقامة حياتهم على قاعدة هذا العلم، والدينونة لله وحده، ما دام أنه لا اله غيره[٨].

ومن المعالم القرآنية في هذا المجال كذلك ختام سورة (التوبة) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم جريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم★ فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾
(سورة التوبة الآيتان ١٢٨ - ١٢٩).

وهذا الختام يتناسب مع جو السورة على العموم، وتتحدث احدى هاتين الآيتين عن الصلة بين الرسول وقومه، وعن حرصه عليهم ورحمته بهم، ومناسبتها حاضرة في التكاليف التي كلفتها الأمة المؤمنة في مناصرة الرسول ودعوته، وقتال أعدائه، واحتمال العسرة والضيق. والآية الثانية توجيه لهذا الرسول أن يعتمد على ربه وحده حين يتولى عنه من يتولى، فهو وليه وناصره وكافيه[٩].

وختام سورة (الرعد) معلم قرآني آخر في نفس المجال: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ (سورة الرعد الآية ٤٣)

---

(٨) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٣ ص ٢١١٣ - ٢١١٤.
(٩) في ظلال الفرآن، مصدر سابق جـ١١ ص ١٧٤٢.

تنتهي السورة بهذا الختام الذي يتضمن حكاية انكار الكفار للرسالة، ويشهد الله مكتفيا بشهادته، التي يحسم بها كل جدل، وينتهي بعدها كل كلام.. فقد نزلت هذه السورة في فترة اشتد فيها الاعراض والتكذيب والتحدي من المشركين. كما كثر فيها طلب الخوارق من الرسول ﷺ، واستعجال العذاب الذي ينذرهم به، مما اقتضى حملة ضخمة تستهدف تثبيت الرسول ﷺ، ومن معه على الحق الذي أنزل اليه من ربه، في وجه المعارضة والاعراض والتكذيب والتحدي، والاستعلاء بهذا الحق، والالتجاء الى الله وحده، واعلان وحدانيته الها وربا، والثبات على هذه الحقيقة، والاعتقاد بأنها هي وحدها الحق مهما كذب بها المشركون(١٠).

ومعلم قرآني آخر هو ختام سورة (الفرقان) في قوله تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾ (سورة الفرقان الآية ٧٧) فقد ختمت السورة بتقرير هوان البشرية على الله، لولا هذه القلوب الطائعة، المستجيبة العارفة بالله، في هذا القطيع الشارد، الضال من المكذبين والجاحدين، وفي هذا الهوان تهوين لما يلقاه منهم رسول الله ﷺ، فهو ختام يتفق مع ظل السورة وجوها، ويتفق مع موضوعها وأهدافها على طريقة التناسق الفني في القرآن - حيث أن هذه السورة تبدو كلها وكأنها ايناس لرسول الله ﷺ، وتسرية، وتطمين له، وتقوية وهو يواجه مشركي قريش وعنادهم له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، وجدالهم بالباطل، ووقوفهم في وجه الهدى وصدهم عنه(١١).

ومن المعالم القرآنية في مجال الخاتمة الجيدة، ختام سورة (الشعراء) في قوله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ (سورة الشعراء

---

(١٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٣ ص ٢٠٦٥ - ٢٠٦٦.

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٩ ص ٢٥٤٤ - ٢٥٤٧.

الآية ٢٢٧). تختم السورة بهذا التهديد المخيف الخفي المجمل، الذي يلخص موضوع السورة، وكأنه الايقاع الأخير المرهوب. يتمثل في صور شتى، يتمثلها الخيال ويتوقعها، وتزلزل كيان الظالمين زلزالا شديدا. حيث اشتملت السورة على تصوير عناد المشركين ومكابرتهم، واستهتارهم بالوعيد، واستعجالهم بالعذاب. كما اشتملت على مصارع المكذبين على مدار الرسالات والقرون[١٢].

معلم قرآني آخر هو ختام سورة (الصافات) المتمثل في قوله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون ★ وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ (سورة الصافات الآيتان ١٨٠ - ١٨٢). حيث تختم السورة بتنزيه الله سبحانه وتعالى، واختصاصه بالعزة، وبالسلام من الله على رسوله، وباعلان الحمد لله الواحد رب العالمين بلا شريك.. وهو الختام المناسب لموضوعات السورة، الملخص للقضايا التي عالجتها[١٣].

وكذلك ختام سورة (الزمر) في قوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾. (الآية ٧٥) وهو ختام يغمر النفس بالروعة، والرهبة، والجلال، والوجود كله يتجه الى ربه بالحمد في خشوع واستسلام، وكلمة الحمد ينطق بها كل حي، وكل موجود في استسلام.. وهو أنسب ختام لتلك السورة التي تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد، وتطوف بالقلب البشري في جولات متعاقبة، وتوقع على أوتاره ايقاعات متلاحقة، وتهزه هزا عميقا متواصلا، لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها، وتنفي عنه كل شبهة، وكل ظل يشوب هذه الحقيقة. فالسورة

---

(١٢) نفس المصدر السابق جـ١٩ ص ٢٦٢٣.

(١٣) نفس المصدر السابق جـ٢٣ ص ٣٠٠٣.

ذات موضوع واحد متصل من بدئها الى ختامها يعرض في صور شتى[١٤].

وختام سورة (الرحمٰن) معلم قرآني آخر في هذا المجال: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام﴾ (الآية ٧٨) حيث يجيء هذا الايقاع الأخير تسبيحا باسم الجليل الكريم، أنسب ختام لتلك السورة التي استعرضت آلاء الله في الكون، وآلاءه في الخلق، وآلاءه في الآخرة[١٥].

* * *

والمعالم القرآنية في مجال الخاتمة أو النهاية القوية، كثيرة جدا بعدد سور القرآن الكريم، فكل السور لها خواتم قوية جيدة رائعة الحسن.. ونكتفي بهذه النماذج التي استعرضناها، وقد رأينا كل نموذج منها يتضمن أبدع المعاني ويناسب جو السورة وظلها، ويلخص مجملها والقضايا التي تعالجها، ويتناسق مع موضوعاتها وأهدافها.. وقد اشتملت تلك الخواتم على الأدعية، والوصايا، والفرائض، والمواعظ، والتحميد والتهليل والوعد والوعيد الى غير ذلك مما كان يؤذن السامع أو القارىء بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف الى ما يذكر بعد.

واستكمالا لما استعرضناه فيما سبق من المعالم القرآنية حول أنواع المقدمات الجيدة، والاستهلال الحسن، والخاتمة القوية، فان الدراسة تقتضي أيضا أن نستعرض معالم قرآنية حول علاقة الخاتمة بالمقدمة، وضرورة وجود ارتباط بصورة أو أخرى بينهما، وهذا هو موضوع الفصل التالي..

* * *

---

(١٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٤ ص ٣٠٣٣ و ص ٣٠٦٣.

(١٥) نفس المصدر السابق جـ ٢٧ ص ٣٤٥٨.

الفصل الخامس

علاقة المقدّمة بالخاتمة

RELATION BETWEEN LEAD AND CONCLUSION

انتهينا في الفصول السابقة من هذا الباب، من دراسة أنواع المقدمات، والاستهلال الجيد المثير للانتباه والاهتمام، ورأينا مدى عناية القرآن الكريم بهذه الابتداءات واهتمامه بها، لأنها أول ما تقع عليها عين القارىء، وأول ما يطرق سمعه. والمعروف أن الابتداء ان كان لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على الاقبال عليه والانفعال والتأثر به.. كما انتهينا أيضا من دراسة الخاتمة، ورأينا مدى عناية القرآن الكريم بها، باعتبارها آخر ما تقع عليه العين، وآخر ما ينتهي الى السمع، ويتردد صداه في الأذن، ويعلق بحواشي الذكر، فلا ينتظر القارىء أو السامع شيئا بعده..

ونتناول في هذا الفصل، نقطة هامة أخرى تتصل اتصالا وثيقا بتلك النقاط السابقة، وتتعلق بالصياغة الصحفية السليمة، التي تستهدف جذب القارىء الى القراءة، ومواصلتها حتى النهاية.. وهذه النقطة الهامة هي ضرورة وجود علاقة، وروابط، وتلازم بين المقدمة والخاتمة في المادة الصحفية على اختلاف أنواعها، وأهمية مراعاة ذلك عند الصياغة الصحفية.. فمن حسن الصياغة أن ترتبط المقدمة بالخاتمة لئلا يكون بينهما انفكاك يفسد الغرض الذي من أجله تكتب المقدمات والخواتم، لتسهيل الفهم والاستيعاب لدى القراء.. فلا بد أن تتضمن كل من المقدمة والخاتمة معلومات وحقائق متصلة بفكرة الموضوع الأساسية. والمقدمة تسلم القارىء وتنقله الى غيرها من العناصر

والتفاصيل التي ترد في صلب المادة الصحفية، الى أن ينتهي بالخاتمة، ولا يمكن فصل دور المقدمة عن دور الخاتمة، فلكل منهما - كما رأينا - دور تـؤديه، ويكمل كل منهما الآخر.

وحكم المقدمات والخواتم في القرآن الكريم - كما رأينا - خلال الفصول السابقة، أنها متصلة اتصالا وثيقا، ومرتبطة تمام الارتباط، بما ورد في صلب السور من الآيات القرآنية الواقعة بين الابتداءات والانتهاءات.. والنتيجة المنطقية لذلك، وجود تلازم وترابط واتصال بين المقدمات والخواتم «وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الاتباط، ويصير التأليف حالة حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[1]».

والقرآن الكريم، الذي نسترشد به ونستهدي في بحوثنا تلك، يقدم لنا المعالم البارزة في هذا الصدد. ونقدم فيما يلي نماذج على سبيل الاستشهاد والدراسة التي تنير لنا السبيل وتوضح لنا معالم الطريق..

فهذه سورة (البقرة) وأطول سور القرآن على الاطلاق، قد بدأت بقوله تعالى: ﴿ألم★ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين★ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون★ والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون★ أولئك على هدي من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾. (سورة البقرة الآيات ١ - ٥)

فقد ابتدأت السورة الكريمة بالاشارة الى القرآن الكريم الذي لا شك في أنه من عند الله، وأنه هاد للمؤمنين المتقين.. ثم بينت الآيات أوصاف المتقين، وتحدثت عن حقيقة الايمان بالرسل جميعا.. وها هي السورة الكريمة تختم بقوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه

---

(١) البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، جـ١ ص٣٦.

والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ★ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

(سورة البقرة الآيتان ٢٨٥ - ٢٨٦)

وهو ختام ينعطف على افتتاحها، ويتناسق تماما معه، ومع أظهر ما اشتمل عليه سياق السورة، ختاما يتناول قاعدة التصور الاسلامي في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهي القاعدة التي تكرر ابرازها في السورة، كما يتناول دعاء رخيا من المسلمين لله، يقرر طبيعة العلاقة بين المؤمن وربه، وحاله معه سبحانه وتعالى.. وهو ختام يتناسق مع المطلع، ويرتبط معه بعلاقة النظيرين المتشابهين[٢].

وكذلك سورة (آل عمران) تبدأ بقوله تعالى: ﴿ألم ★ الله لا اله الا هو الحي القيوم ★ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوارة والانجيل ★ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ★ ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ★ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ★ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب ★ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من

(٢) أنظر في ذلك: في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٣ ص٢٧٧ وص٣٣٩.

لدنك رحمة انك أنت الوهاب ★ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد﴾.

(سورة آل عمران الآيات ١ - ٩).

تبدأ السورة بذكر أدلة التوحيد، والألوهية والنبوة، ومواجهة أهل الكتاب المنكرين لرسالة النبي ﷺ، وهم بحكم معرفتهم بالنبوات والرسالات والكتب المنزلة، والوحي من الله، كانوا أولى الناس بأن يكونوا أول المصدقين المسلمين، لو أن الأمر أمر اقتناع بحجة ودليل.. وتحدد الآيات موقف المؤمنين الحقيقيين من آيات الله، وموقف أهل الزيغ والانحراف، وتصور حال المؤمنين من ربهم، والتجائهم اليه، وتضرعهم له، ومعرفتهم بصفاته(٣).

واختتمت السورة بقوله تعالى: ﴿ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ★ ألذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ★ ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ★ ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ★ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ★ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ★ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ★ متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ★ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من

(٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٣ ص٣٦٥.

تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار ★ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب ★ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

(سورة آل عمران الآيات ١٩٠ - ٢٠٠)

وعلى نسق ما بدأت به السورة، فقد اختتمت أيضا بذكر دلائل الوحدانية، والقدرة، ودلائل الخلق والايجاد، ليستدل منها الانسان على البعث والنشور.. وفيه أيضا دعاء ندي من قلوب المؤمنين، واستجابة من الله سبحانه وتعالى لهم.. وفيه أيضا ذكر أهل الكتاب ليقول للمسلمين ان الحق الذي بأيديهم، لا يجحده أهل الكتاب كلهم، فان منهم من يؤمنون به، ويشهد بأحقيته.. وفيه أيضا دعوة للمسلمين الى الصبر، والمصابرة، والمرابطة، والتقوى[٤].

وقد ختمت سورة (النساء) بمثل ما ابتدأت به من رعاية حقوق الورثة من الأقرباء[٥].. وكانت بداية سورة (الأعراف) وختامها تشيران الى القرآن الكريم واثبات التوحيد، فكانت الدعوة الى الايمان بواحدانية الرب المعبود في البدء والختام[٦].. وكان ختام سورة (يونس) يلتقي مع مطلعها ويتناسق معه[٧].. ونجد أيضا أن سورة (هود) قد ختمت بمثل ما بدأت به من عبادة الله وحده، والتوجه اليه

---

(٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٣ ص٣٥٦ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٤ ص٢٥١.

(٥) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٦ ص٣١٩.

(٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٩ ص١٤٢٤ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٨ ص٤٣٥.

(٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١١ ص١٨٢٦.

وحده والرجعة اليه في نهاية المطاف. وهكذا يلتقي جمال التنسيق في البدء والختام[^٨].

وقد توافق المطلع والختام في سورة (يوسف) .. فقد بدأت السورة بخطاب للنبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين﴾.. ثم ما يكاد النبي الكريم يفتح قلبه لتلقي ما يوحى اليه من قصص، حتى يجد نفسه مع قصة يوسف عليه السلام.. وفيها يرى النبي الكريم ما وقع لهذا النبي الكريم من أحداث، وما استقبلته به الحياة في مدارج صباه من كيد على يدي أقرب الناس اليه.. وعلى خطوات هذه الرحلة الطويلة مع قصة يوسف وأحداثها، يستعرض النبي ما كان يجري بينه وبين قومه من أحداث، وما يكيدون له من كيد، وما يرمونه من ضر لا لشيء الا لأن الله تعالى قد اصطفاه للرسالة، ووضع في يديه الخير الذي يدعوهم اليه.. ثم تختم السورة بقوله تعالى ﴿حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ★ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ وفي هذا تطمين للرسول الكريم، وأنه سيكون له من هذا الضيق الذي يعانيه فرجا، ومن هذه الآلام التي يلقاها من قومه، هي آلام المخاض لميلاد جديد يستقبل فيها النبي قومه مؤمنين بالله مطيعين لرسوله، تماما مثلما حدث الفرج والرخاء ليوسف عليه السلام بعد المحن الكثيرة والابتلاءات العديدة التي واجهها على امتداد قصته. وهكذا يتوافق المطلع والختام في سورة يوسف. كما توافق المطلع والختام في القصة التي شغلت أغلب السورة.. فتحقق الهدف الديني كاملا، وتحققت

[^٨]: في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٢ ص١٩٣٤ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق، جـ١١ ص٦.

السمات الفنية كاملة مع صدق الرواية، ومطابقة الواقع في الموضوع(٩).

كذلك فقد بدأت سورة (الرعد) بقوله تعالى: ﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ وكان ختامها قوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ وهكذا يختم الله سبحانه وتعالى السورة بحكاية انكار الكفار للرسالة، وكان سبحانه وتعالى قد بدأها باثبات الرسالة، وبذلك يلتقي البدء والختام ويشهد الله مكتفيا بشهادته، التي جاء بها المطلع وجاء بها الختام، والتي يحسم بها كل جدل وينتهي كل كلام(١٠).

وبدأت سورة (ابراهيم) بقوله تعالى: ﴿الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد﴾ واختتمت بقوله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر ألوا الألباب﴾ وهذا الختام يتسق مع المطلع، حيث ختمت السورة بمثل ما بدأت به، ولكن في اعلان عام جهير الصوت عالي الصدى، لتبليغ البشرية كلها في كل مكان(١١).

وكان بدء سورة (الحجر) قوله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ وفي ذلك اشارة الى القرآن الكريم المعجز، كلام الله تعالى

---

(٩) القصص الفرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق، ص٤٩١ وص٤٩٣ وأيضا في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٢ ص٢٠٣٧ وانظر قصة يوسف عليه السلام في موضعها بالفصل الرابع من الباب الثالث.

(١٠) في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١٣ ص٢٠٦٥ - ٢٠٦٦ وجدير بالذكر أن هذه السورة (الرعد) كانت قد نزلت في فترة اشتد فيها الاعراض والتكذيب والتحدي من المشركين، كما كثر فيها طلب الخوارق من الرسول ﷺ، واستعجال العذاب الذي يدرهم به، مما اقتضى حملة ضخمة تستهدف تثبيت الرسول ﷺ، ومن معه على الحق الذي أنزل اليه من ربه..

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٣ ص٢١١٣.

الكامل في الفصاحة والبيان، المتعالي عن الطاقة البشرية والذي لا خلل فيه ولا اضطراب.. وكان ختام السورة قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم..﴾ الى آخر السورة.. وهذا الختام جاء على نفس النسق الذي جاء في البدء، تذكير لرسول الله ﷺ، بالنعمة العظمى عليه بانزال هذا الكتاب المجيد المعجز، وأمر له بالصبر والسلوان على ما يلقاه من أذى المشركين، وتبشره بالنصر له وللمؤمنين[١٢].

وقد بدأت سورة (الاسراء) بقوله تعالى: ﴿سبحان..﴾ وهو اسم للتسبيح ومعناه تنزيه الله تعالى من كل سوء ونقص، ومن كل ما لا يليق بجلال الله العلي الشأن.. وختمت السورة بقوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾ أي أن السورة ختمت كما بدأت بحمد الله، وتقرير وحدانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة الى الولد والنصير، وهو العلي الكبير. فيلخص هذا الختام محور السورة الذي دارت عليه، والذي بدأت ثم ختمت به[١٣].

وكان بدء سورة (الكهف) قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا....﴾ وكان ختامها قوله تعالى: ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.. وهكذا يتساوى البدء والختام في اعلان الوحدانية، وانكار الشرك، واثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الالهية، وذوات الحوادث[١٤].

---

(١٢) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١٤ ص١٠٤ - ١٠٥.

(١٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٥ ص٢٢٥٤ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ١٥ ص١٥١ وص١٨٠.

(١٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٥ ص٢٢٥٧.

وبدأت سورة (طه) بقوله تعالى: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي الا تذكرة لمن يخشى﴾ وفي هذا خطاب للرسول ﷺ، ببيان وظيفته وحدود تكاليفه، ونفي ارادة الشقاء عنه من تنزيل القرآن.. وختمت السورة بقوله تعالى: ﴿فاصبر على ما يقولون..﴾ الى آخر السورة وفي ذلك بعض التوجيهات الربانية للرسول ﷺ، في الصبر، وتحمل الأذي في سبيل الله، حتى يأتي نصر الله.. والختام هنا يتناسق مع المطلع كل التناسق، فهو التذكرة الأخيرة لمن تنفعه التذكرة، وليس بعد البلاغ الا انتظار العاقبة، وهي بيد الله تعالى(١٥).

وهذه سورة (الأنبياء) بدأت بقوله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون..﴾ وهو مطلع قوي الضربات، يهز القلوب هزا وهو يلفتها الى الخطر القريب المحدق، وهي عنه غافلة لاهية.. وفي النهاية يجيء ايقاع الختام في السورة مشابها لايقاع الافتتاح﴿ ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين...﴾ هو ايقاع قوي أيضا، وانذار صريح، وتخلية بينهم وبين مصيرهم المحتوم. وبذلك يتقابل طرفا السورة (البدء والختام) في ايقاع قوي مثير عميق(١٦).

وانظر الى سورة (المومنون) .. فقد بدأت بقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون...﴾ أي فاز وسعد وحصل على البغية والمطلوب المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف الجليلة. و (قد) للتأكيد والتحقيق، فكأنه يقول لقد تحقق ظفرهم، ونجاحهم بسبب الايمان، والعمل الصالح، ثم عدد مناقبهم.. وانتهت السورة بقوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلّها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون ★ وقل

---

(١٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٦ ص٢٣٢٦، و ص٢٣٥٨ وكذلك صفوه التفاسير مصدر سابق، جـ١٦ ص٢٢٩.

(١٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٧ ص٢٣٦٦ - ٢٣٦٧ وص٢٤٠٠ و ص٢٤٠٣.

رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ وفي هذا تقرير للقاعدة الأولى للايمان والتوحيد، واعلان الخسارة الكبرى لمن يشركون بالله.. والتوجه الى الله في طلب الرحمة والغفران، وهو أرحم الراحمين.. وهنا يلتقي مطلع السورة وختامها في تقرير الفلاح للمؤمنين، والخسران للكافرين وشتان ما بين الفريقين.. وأيضا تقرير صفة الخشوع في الصلاة في مطلع السورة، والتوجه الى الله بالخشوع في ختامها.. وبذلك يتناسق المطلع والختام في ظلال الايمان(١٧).

وابتدأت سورة (الشعراء) بموضوع القرآن العظيم الذي أنزله الله هداية للخلق، وبلسما شافيا لأمراض الانسانية، وذكرت موقف المشركين منه، فقد كذبوا به مع وضوح آياته، وسطوع براهينه، وطلبوا معجزة أخرى غير القرآن الكريم عنادا واستكبارا: ﴿طسم ★ تلك آيات الكتاب المبين ★ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ★ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ★ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ★ فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾.. وختمت السورة بالرد على افتراء المشركين في زعمهم أن القرآن من تنزل الشياطين: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ★ تنزل على كل أفاك أثيم ★ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ وبذلك يتناسق البدء والختام في أروع تناسق والتئام(١٨).

وسورة (النمل) لها مقدمة وتعقيب، يتمثل فيهما موضوع السورة الذي تعالجه، وقصص بين المقدمة والتعقيب يعين على تصوير هذا الموضوع ويؤكده. فموضوع السورة الرئيسي هو العقيدة: الايمان بالله وعبادته وحده. والايمان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، والايمان

(١٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٨ ص٢٤٨٢ - ٢٤٨٣ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ١٨ ص٣٠٣.

(١٨) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١٩ ص٣٧٣.

بالوحي وان الغيب كله لله، لا يعلمه سواه، والايمان بالله الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب الى شكر أنعم الله على البشر، والايمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة الا بالله[١٩].. ولقد كان البدء قوله تعالى: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ★ هدى وبشرى للمؤمنين ★ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾.. وكان الختام قوله تعالى: ﴿انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ★ وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين ★ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾.

وتأمل سورة (القصص) كيف بدئت بأمر موسى عليه السلام ونصرته وقوله ﴿فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾ وخروجه من وطنه ونصرته واسعافه بالمكالمة.. وختمت بأمر النبي ﷺ، بأن لا يكون ظهيرا للكافرين، وتسليته عند اخراجه من مكة، ووعده بالعودة اليها[٢٠]. في قوله تعالى: ﴿ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد﴾.

وانظر الى سورة (الروم) التي بدأت بالتنبؤ عن حدث غيبي هام، أخبر عنه القرآن الكريم قبل حدوثه، ألا وهو وعد الله بنصر الروم بعد بضع سنين ونصر المؤمنين: ﴿الم ★ غلبت الروم ★ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ★ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ★ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾.. ثم ختمت السورة بالصبر حتى يأتي وعد الله، والصبر كذلك

---

(١٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٩ ص٢٦٢٤.

(٢٠) البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، جـ١ ص١٨٥ وكذلك الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق جـ٢ ص١١١.

على محاولات الاستخفاف والزعزعة من الذين لا يوقنون: ﴿فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾.. وبذلك يتناسق البدء والختام، وتنتهي السورة وفي القلب ايقاع التثبت القوي بالوعد الصادق الذي لا يكذب واليقين الثابت الذي لا يخون، وقد تحققت النبوءة كما أخبر القرآن الكريم، وذلك من أظهر الدلائل على صدق محمد ﷺ، فيما جاء به من الوحي، ومن معجزات القرآن(٢١).

وهذه سورة (الأحزاب) بدأت بتوجيه الرسول ﷺ، الى طاعة الله وعصيان الكافرين والمنافقين، واتباع وحي الله، والتوكل عليه وحده دون سواه ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما ★ واتبع ما يوحى إليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ★ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ وبنفس الايقاع تختم السورة بقوله تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾ وبذلك يتناسق بدء السورة وختامها.. ففي ختم السورة بهذه الآية من البدائع ما يسميه علماء البديع «رد العجز على الصدر» لأن بدء السورة كان في ذم المنافقين والكافرين، وختامها كان في بيان سوء عاقبة المنافقين والكافرين، فحسن الكلام في البدء والختام(٢٢).

وابتدأت سورة (سبأ) بتمجيد الله جل وعلا، الذي أبدع الخلق، وأحكم شئون العالم، ودبر الكون بحكمته، فهو الخالق المبدع الحكيم الذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وهذا من أعظم البراهين على وحدانية الله رب العالمين ﴿الحمد لله الذي له ما

---

(٢١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٢١ ص٢٧٧٨ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢١ ص٤٧٠.

(٢٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٢٢ ص٢٨٨٥ - ٢٨٨٦ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢٢ ص٥٤١.

في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير★ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور﴾ وختمت السورة بدعوة المشركين الى الايمان بالواحد القهار الذي بيده تدبير أمور الخلق أجمعين[٢٣]. ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد★ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد★ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب﴾.

وقد بدأت سورة (ص) بالذكر في قوله تعالى ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ وختمت بالذكر أيضا في قوله تعالى: ﴿ان هو الا ذكر للعالمين﴾[٢٤] انه الختام الذي يتناسق تماما مع الافتتاح.

وتبتدىء سورة (الشورى) بتقرير مصدر الوحي، ومصدر الرسالة. فالله رب العالمين هو الذي أنزل الوحي على الأنبياء والمرسلين، وهو الذي اصطفى لرسالاته من شاء من عباده، ليخرجوا الانسانية من ظلمات الشرك والضلال الى نور الهداية والايمان﴿ كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ وختمت السورة بالحديث عن الوحي، وعن القرآن كما بدأت به في مطلعها﴿وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم★ صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور﴾ وهكذا بدأت السورة وانتهت، بالحديث عن الوحي والرسالات ليتناسق الكلام في البدء والختام[٢٥].

---

(٢٣) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٢ ص٥٤٣.
(٢٤) الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، جـ٢ ص١١١.
(٢٥) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٥ ص١٣١.

وبدأت سورة (الدخان) بالحديث عن القرآن الكريم، وتنزيله في ليلة مباركة، فيها يفرق كل أمر حكيم، رحمة من الله بالعباد، وانذارا لهم وتحذيرا، ثم تعريف للناس بربهم ﴿حم★ والكتاب المبين★ انا أنزلناه في ليلة مباركة انـا كنا منذرين★ فيها يفرق كل أمر حكيم★ أمرا من عندنا انا كنا مرسلين★ رحمة من ربك انه هو السميع العليم﴾. وختمت السورة بالاشارة الى القرآن الكريم كما بدأت، ويذكرهم بنعمة الله في تيسير هذا القرآن على لسان الرسول العربي، الذي يفهمونه ويدركون معانيه، ويخوفهم العاقبة والمصير في تعبير ملفوف ولكنه عنيف، ﴿فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون★ فارتقب انهم مرتقبون﴾ وهو ختام يلخص جو السورة وظلها ويتناسق مع بدئها[٢٦].

وتأمل سورة (محمد) التي بدأت بدءا عجيبا باعلان حرب سافرة على الكفار أعداء الله، وأعداء رسوله، الذين حاربوا الاسلام، وكذبوا الرسول ﷺ، ووقفوا في وجه الدعوة المحمدية، ليصدوا الناس عن دين الله. وأمرت المؤمنين بقتال الكافرين، وحصدهم بسيوف المجاهدين لتطهير الأرض من رجسهم، حتى لا تبقى لهم شوكة ولا قوة. ودعت الى أسرهم بعد اكثار القتل فيهم والجراحات ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم★ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم★ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم★ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾. وختمت السورة بدعوة المؤمنين الى سلوك طريق العزة والنصر، بالجهاد في سبيل الله وعدم الوهن والضعف أمام

---

(٢٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢٥ ص٣٢٠٦ وص٣٢٠٧ وص٣٢١٧.

قوى الشر والبغي، وحذرت من الدعوة الى الصلح مع الأعداء حرصا على الحياة والبقاء، فان الحياة الدنيا زائلة، وما عند الله خير للأبرار ﴿فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم..﴾ الى آخر السورة.. وهكذا ختمت السورة بالدعوة الى الجهاد، كما بدأت بالدعوة اليه، ليتناسق البدء مع الختام ألطف التئام[٢٧].

وهذه سورة (ق) ابتدأت بالقسم بالقرآن والتحدث عن القضية الأساسية التي أنكرها كفار قريش، وتعجبوا منها غاية العجب، وهي قضية الحياة بعد الموت، والبعث بعد الفناء ﴿ق والقرآن المجيد ★ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ★ أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد﴾. وختمت السورة الكريمة بالتذكير بالقرآن، والحديث عن «صيحة الحق» وهي الصيحة التي يخرج الناس بها من القبور كأنهم جراد منتشر، ويساقون للحساب والجزاء، لا يخفى على الله منهم أحد، وفيه اثبات للبعث والنشور الذي كذب به المشركون ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ★ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ★ انا نحن نحيي ونميت والينا المصير ★ يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ★ نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾، وهكذا ختمت السورة بمثل ما بدأت به، بالقسم بالقرآن والتذكير به واثبات البعث والنشور، الذي كذب به المشركون ليتناسق البدء مع الختام[٢٨].

وابتدأت سورة (الرحمن) بتعديد آلاء الله الباهرة، ونعمه الكثيرة الظاهرة على العباد التي لا يحصيها عدد، وفي مقدمتها نعمة

---

(٢٧) صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٢٦ ص٢٠٤ - ٢٠٥.
(٢٨) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢٦ ص٢٤٠ - ٢٤١ وص٢٤٨.

تعليم القرآن، بوصفه المنة الكبرى على الانسان، وتسبق في الذكر خلق الانسان ذاته وتعليمه البيان ﴿الرحمن ★ علم القرآن ★ خلق الانسان علمه البيان﴾ وختمت السورة بتمجيد الله جل وعلا، والثناء عليه، على ما أنعم على عباده من فنون النعم والاكرام، وهو أنسب ختام لسورة الرحمن ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام﴾ وهكذا يتناسق البدء مع الختام في أروع صور البيان[٢٩].

وقد ابتدأت سورة (الواقعة) بالحديث عن أهوال يوم القيامة، وما يكون بين يدي الساعة من أهوال، وانقسام الناس الى ثلاث طوائف (أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون).. وختمت السورة بذكر الطوائف الثلاثة، وهم أهل السعادة، وأهل الشقاوة، والسابقون الى الخيرات من أهل النعيم، وبينت عاقبة كل منهم. فكان ذلك كالتفصيل لما ورد في أول السورة من اجمال، والاشادة بذكر مآثر المقربين في البدء والختام[٣٠].

وابتدأت سورة ﴿الحشر﴾ بتنزيه الله وتمجيده، فالكون كله بما فيه من انسان، وحيوان، ونبات، وجماد، شاهد بوحدانية الله وقدرته وجلاله، ناطق بعظمته وسلطانه.. وختمت السورة مثلما بدأت بالتسبيح وذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وتنزيهه عن صفات النقص. وهكذا يتناسق البدء مع الختام أبدع تناسق ووئام[٣١].

كذلك ابتدأت سورة (الممتحنة) بالتحذير من موالاة أعداء الله، الذين آذوا المؤمنين حتى اضطروهم الى الهجرة، وترك الديار والأوطان. وختمت السورة بتحذير المؤمنين من موالاة أعداء الله

---

(٢٩) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٧ ص٢٩٢.
(٣٠) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢٧ ص٣٠٤.
(٣١) نفس المصدر السابق جـ٢٨ ص٣٤٦ - ٣٤٧.

الكافرين. وهكذا ختمت السورة بمثل ما بدأت به من التحذير من موالاة الكفار أعداء الله، وهو بمثابة التأكيد للكلام وتناسق الآيات في البدء والختام[٣٢].

وابتـدأت سورة (الصـف) بعـد تسبيـح الله وتمجيـده، بتحـذير المؤمنين من اخلاف الوعد، وعدم الوفاء بما التزموا به، وأخبارهم بفضيلة الجهاد في سبيل الله.. وختمت السورة بدعوة أهل الايمان الى نصرة دين الرحمن، كما فعل الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام. حين دعاهم الى نصرة دين الله، فاستجابوا ونصروا الحق والرسول.. وهكذا يتناسق البدء مع الختام في أبدع بيان واحكام. كما يتناسق بدؤها وختامها مع المحور الأساسي للسورة التي تتحدث عن موضوع (القتال) وجهاد أعداء الله والتضحية في سبيل الله لاعزاز دينه واعلاء كلمته[٣٣].

وتعالج سورة (القيامة) موضوع البعث والجزاء، الذي هو أحد أركان الايمان.. وقد ابتدأت السورة بالقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة على أن البعث حق لا ريب فيه. وختمت السورة باثبات الحشر، والمعاد بالأدلة والبراهين العقلية[٣٤]. وهكذا يتفق المطلع والختام مع موضوع السورة الأساسي حول البعث والجزاء.

وقد ابتدأت سورة (النبأ) بالاخبار عن موضوع القيامة والبعث والجزاء، وهو الموضوع الذي شغل أذهان الكثيرين من كفار مكة، حتى صاروا فيه بين مصدق ومكذب.. وختمت السورة بالحديث عن هول يوم القيامة، حيث يتمنى الكافر أن يكون ترابا فلا يحشر ولا يحاسب.

---

(٣٢) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٨ ص٣٥٩ - ٣٦٠ وص٣٦٧.

(٣٣) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٨ ص٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣٤) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٩ ص٤٨٢ - ٤٨٣.

وهكذا يتناسق البدء مع الختام، مع محور السورة الذي يدور حول اثبات عقيدة البعث التي طالما أنكرها المشركون(٣٥).

* * *

وخلاصة ما سبق انه توجد علاقات وترابط وتلازم من أي صورة بين بدايات السور القرآنية وخواتيمها، الى جانب اتصالها بما بينها من تفاصيل أي بالمحور الأساسي الذي تدور حوله السور. وكل هذا من شأنه أن يجعل الكلام متناسقا ومرتبطا مما يسهل الفهم والاستيعاب دون مشقة أو صعوبة. حيث ينتقل القارىء من جزء الى جزء دون أن يحس بوجود انفكاك أو ثغرات بين تلك الأجزاء تجعله يتوقف بين الحين والحين لتبين معالمها.. وهذه معالم مضيئة تساعد الصحفي وترشده الى صياغة المادة الصحفية التي يقدمها في أحسن ثوب، وأيسره الى الاستيعاب لأن مادته ستكون مترابطة متناسقة متآلفة من البدء حتى الختام.. وننتقل بعد ذلك الى تناول نقطة أخرى تتعلق بالصياغة الجيدة السليمة وهي خاصة بالحوار ومعالمه القرآنية وهذا هو موضوع الفصل التالي.

---

(٣٥) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٣٠ ص٥٠٦.

الفصل السادس

حول الحوار

ON DIALOGUE

قدمنا في الفصل الثالث من الباب الأول السابق، «معالم قرآنية حول الصراع» باعتباره من الغرائز الطبيعية في الجنس البشري، ومظهرا بارزا من مظاهر الحركة، الباعثة القوة في الوجود، والمولدة لكل الطاقات العاملة في مسرح الحياة.. وفي هذا الفصل نستكمل الدراسة ان شاء الله، حيث نقوم بدراسة «معالم قرآنية حول الحوار» باعتباره لونا من ألوان الصراع وتنازع البقاء، وأسلوبا من أساليب القول، يجب أن يعتمد عليه الصحفي في خلق الحركة وتلوينها وتنويعها في بعض ما يقدمه من انتاج صحفي.. فالحوار الذي يتمثل في العملية الاعلامية، هو أداة هامة تنعقد بها الصلات بين الناس، وقوة كبرى في توثيق العلاقات الانسانية، وتتحق به المفاعلة بين القلوب والعقول.

وللقرآن الكريم - المثل الأعلى - في الامساك بزمام الموقف الحواري، وادارته على الوجه الذي يقيم منه معجزة باهرة.. ولم يلتزم القرآن الكريم منهجا واحدا في اقامة البناء الحواري، بل نجده يذهب بالأسلوب الحواري كل مذهب ويلونه ألوانا شتى حسب مقتضى الحال، وداعية المقام.. فهو حينا يختصر الأحداث ويعرضها عرضا سريعا، تطوى فيه التفاصيل، وتغني فيه الاشارة واللمحة الدالة، على العبارات المبسوطة. وأحيانا يفصل الأمر حيث لا يكون غير الكلمة ما يسد مسدها. وفيما بين الأمرين درجات متباينة في الايجاز والتفاصيل[1].

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ١٢٤ - ١٢٥.

وباختصار نجد المشهد في الحوار القرآني، كأنه حاضر يملأ الأسماع والأبصار، بكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه، حيث يصور الموقف تصويرا تاما يتناول جميع أجزائه أو يتناول جانبا منه ويترك الجانب أو الجوانب الأخرى لدلالة الحال عليها، وعدم اقتضاء الموقف لها.. فقد نشهد مشهدا قصيرا ولكنه يجمع أجزاء الحديث كلها، بحيث يرى جميع الوقائع التي شاركت في بناء الحدث، وعملت على انمائه واكتماله. وقد نقف بين يدي مشهد طويل، ولكن نرى فيه فجوات كثيرة، يحاول الانسان ملأها بما بين يديه في مسافات القصة من دلالات وامارات[٢].

ونلحظ في أنواع الحوار التي وردت في القرآن الكريم، أنه ليس من اللازم أن يقوم الحوار بين اثنين. فقد يكون بين الانسان وذاته، كالحوار بين ابراهيم عليه السلام ونفسه. وقد يكون الحوار بين اثنين، كالحوار بين الله عز وجل وبين الملائكة، والأنبياء والرسل.. وبين ابراهيم عليه السلام وصاحب الملك.. وبين موسى وفرعون وغير ذلك كثير. وقد يكون بين كثرة، اي أكثر من اثنين، حيث يكون بين واحد من طرف وجماعة من طرف آخر، كالحوار الواقع في أكثر القصص القرآنية بين الرسل وأقوامهم[٣].

ونقدم فيما يلي معالم قرآنية لبعض أنواع الحوار السابق الاشارة اليها، والتي جرت كلها في نمط أساليب القرآن الرفيعة، مهما كانت الأشخاص والمتحاورون، حيث عبر عن معانيها أرفع الكلام، وأسماه، وأعرقه[٤].

---

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٢٥ وكذلك الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (محمد محمود حجازي) مصدر سابق ص٣١٦.

(٣) محمد أحمد خلف الله - الفن القصصي في القرآن الكريم (القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٧٢م) ص٣٠٣.

(٤) نحوث في قصص القرآن (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص٧٣.

حوار مع الذات:

فهذا حوار مع الذات.. طرحه القرآن الكريم، في صورة واقعية مؤثرة، من خلال شخصية ابراهيم الخليل عليه السلام، وقص علينا ما جرى لهذا النبي الكريم على صورة حوار داخلي من خلال التأمل في خالق الكون، عبر الكواكب والقمر والشمس وكانت ثمرته الهداية والتوجه الى الله سبحانه وتعالى الذي فطر السماوات والأرض حنيفا.

وقد جاء هذا الحوار في الآيات من ٧٥ حتى ٧٩ من سورة (الأنعام) في قوله تعالى:

- ﴿وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال: هذا ربي﴾.
- ﴿فلما أفل قال: لا أحب الآفلين﴾.
- ﴿فلما رأى القمر بازغا قال: هذا ربي﴾.
- ﴿فلما أفل قال: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾.
- ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي هذا أكبر﴾.
- ﴿فلما أفلت قال: يا قوم اني بريء مما تشركون. اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾

(سورة الانعام الآيات ٧٥ - ٧٩).

الحوار الأعظم:

وهذا حوار بين الله عز وجل وبين الملائكة، ضمن اطار قصة البشرية الأولى. وها نحن أولاء - بعين البصيرة في ومضات الاستشراف - في ساحة الملأ الأعلى، نشهد ما شهده الملائكة في الملأ الأعلى، ونسمع ونرى ذلك الحوار المقدس، الذي جاء في سورة (البقرة) من الآية ٣٠ حتى الآية ٣٤ على النحو التالي:

- ﴿واذ قال ربك للملائكة: اني جاعل في الأرض خليفة﴾.

فهي المشيئة العليا، تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل اليه ابراز مشيئة الخالق في الابداع والتكوين.

- ﴿قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟﴾.

لقد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا، في بناء هذه الأرض وعمارتها، وفي تنمية الحياة وتنوعها وترقيتها على يد خليفة الله في أرضه، عندئذ جاءهم القرار من العليم بكل شيء، والخبير بمصائر الأمور.

- ﴿قال: اني أعلم ما لا تعلمون﴾.
- ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين﴾.
- ﴿قالوا: سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم﴾.

فلما علم الله آدم هذا السر، وعرض على الملائكة ما عرض، لم يعرفوا الأسماء، وجهروا أمام هذا العجز بالتسبيح.

- ﴿قال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾.
- ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم: اني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.

ثم كان هذا التعقيب الذي يردهم الى ادراك حكمة العليم الحكيم.

- ﴿واذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم. فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾.

انه التكريم في أعلى صوره، لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء، ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة. ولقد سجد الملائكة امتثالا للأمر العلوي الجليل، الا ابليس، الذي لم يكن من جنس الملائكة، فقد عصى الجليل سبحانه واستكبر عن معرفة الفضل لأهله وكان من الكافرين(٥).

★ ★ ★

معلم قرآني آخر لحوار الله سبحانه وتعالى مع ابراهيم الخليل عليه السلام، نقرأه في الآية (٢٦٠) من سورة البقرة:

- ﴿واذ قال ابراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى﴾.
- ﴿قال: أولم تـؤمن؟﴾.
- ﴿قال: بلى! ولكن ليطمئن قلبي﴾.

انه التشوف الى ملابسة سر الصنعة الالهية، يجيء من ابراهيم - الأواه، الحليم، المؤمن، الراضي، الخاشع، العابد، القريب، الخليل - ليكشف عما يختلج أحيانا من الشوق، والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الالهية في قلوب أقرب المقربين. انه تشوف لا يتعلق بوجود الايمان، وثباته، وكماله، واستقراره، وليس طلبا للبرهان أو تقوية الايمان. لقد كان ينشد اطمئنان الأنس الى رؤية يد الله تعمل، ولقد كان الله يعلم ايمان عبده وخليله، فاستجاب الله لهذا الشوق والتطلع في قلب ابراهيم ومنحه التجربة الذاتية المباشرة.

- ﴿قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن اليـك.. ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً. ثم ادعهن يأتينك سعيا. واعلم ان الله عزيز حكيم﴾.

---

(٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١ ص٥٦ - ٥٧.

لقد أمره الله ان يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه حتى يتأكد من ميزاتهن التي لا يخطىء معها معرفتهن. وأن يذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرق أجزاءهن على الجبال المحيطة، ثم يدعوهن فتتجمع أجزاؤهن مرة أخرى، وترتد اليهن الحياة، ويعدن اليه ساعيات.. وقد كان طبعا.. ورأى ابراهيم السر الالهي يقع بين يديه.. طيور فارقتها الحياة، وتفرقت مزقها في أماكن متباعدة، تدب فيها الحياة مرة أخرى، وتعود اليه سعيا، انه السر الذي يقع كل لحظة، ولا يرى الناس الا آثاره بعد تمامه، انه سر هبة الحياة التي جاءت أول مرة بعد أن لم تكن، والتي تنشأ مرات لا حصر لها في كل حي جديد(٦).

* * *

وهذا حوار آخر بين الله وبين نوح عليه السلام من الآية ٤٥ حتى الآية ٤٨ في سورة (هود) جرى بعد أن هدأت العاصفة، وسكن الهول، واستوت السفينة على الجودي، واستيقظت في نفس نوح عليه السلام لهفة الوالد المفجوع.

- ﴿ونادى نوح ربه فقال: رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾.

قال نوح عليه السلام يستنجز ربه وعده في نجاة أهله، وابنه من أهله... وجاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها، فالأهل - عند الله وفي دينه وميزانه - ليسوا قرابة الدم، وانما هم قرابة العقيدة. وهذا الولد لم يكن مؤمنا فليس اذن من أهله، وهو النبي المؤمن.

- ﴿قال: يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾.

---

(٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٣ ص٣٠١ - ٣٠٢.

ويرتجف نوح عليه السلام ارتجافة العبد المؤمن، يخشى أن يكون قد زل في حق ربه، فيلجأ اليه يعوذ به، ويطلب غفرانه ورحمته.

- ﴿قال: رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾.

وأدركت رحمة الله نوحا، تُطَمْئن قلبه، وتباركه هو والصالح من نسله، فأما الآخرون فيمسهم عذاب أليم.

- ﴿قيل: يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾.

وكانت خاتمة المطاف النجاة والبشرى له، ولمن يؤمن من ذريته، والوعيد والتهديد لمن يريدون منهم متاع الحياة الدنيا، ثم يمسهم العذاب الأليم(٧).

* * *

حوار مع صاحب الملك:

وهذا معلم قرآني في مجال الحوار بين شخصين، تضمنته الآية (٢٥٨) في سورة البقرة، والتي تحكي حوارا بين ابراهيم عليه السلام، وملك(٨) من أيامه يجادله في الله. وهذا الحوار يعرض على النبي ﷺ، وعلى الجماعة المسلمة في أسلوب التعجيب من هذا المجادل، الذي حاج ابراهيم في ربه. وكأنما مشهد الحوار يعاد عرضه من ثنايا التعبير القرآني العجيب.

- ﴿ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك؟ اذ قال ابراهيم: ربي الذي يحيي ويميت﴾.

---

(٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٢ ص١٨٧٩ - ١٨٨٠.

(٨) جاء في كتب التفسير أن اسمه (النمروذ بن كنعان) ولكن السياق القرآني لم يذكر اسمه، لأن ذكر اسمه لا يزيد من العبرة التي تمثلها الآية القرآنية شيئا.

ان هذا الملك الذي حاج ابراهيم في ربه، لم يكن منكرا لوجود الله أصلا، انما كان منكرا لوحدانيته في الألوهية والربوبية، وتصريف الكون، وتدبيره كما يجري فيه وحده. ومن ثم عرف ابراهيم عليه السلام ربه بالصفة التي لا يمكن أن يشاركه فيها أحد، ولا يمكن أن يزعمها أحد. ولكن الذي حاج ابراهيم في ربه، رأى كونه حاكما لقومه، وقادرا على انفاذ أمره فيهم بالحياة والموت مظهرا من مظاهر الربوبية.

- ﴿قال: أنا أحيي وأميت﴾.

قال ذلك الطاغية وأنا أيضا أحيي وأميت، وقد روى أنه جاء برجلين حكم عليهما بالاعدام، فأمر بقتل أحدهما فقال هذا قتلته، وأمر باطلاق الآخر وقال هذا أحييته.. عندئذ لم يرد ابراهيم عليه السلام أن يسترسل في جدل حول معنى الاحياء والإماتة مع رجل يماري ويداور في تلك الحقيقة الهائلة، حقيقة منح الحياة وسلبها. هذا السر الذي لم تدرك منه البشرية حتى اليوم شيئا. وعدل ابراهيم الى طريقة التحدي، وطلب تغيير سنة الله لمن ينكر ويتعنت ويجادل في الله.

- ﴿قال ابراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾.

أي اذا كنت تدعي الألوهية، فهذه الشمس تطلع كل يوم من المشرق بأمر الله ومشيئته فأطلعها أنت من المغرب بقدرتك وسلطانك.. فأخرس ذلك الفاجر بالحجة القاطعة، وأصبح مبهوتا دهشا لا يستطيع الجواب[٩].



---

(٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٣ ص٢٩٧ - ٢٩٨، وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٣ ص١٦٥.

حوار بين موسى وفرعون:

وهذه محاورة بين شخصين أيضا، بين موسى عليه السلام وفرعون، تضمنتها الآيات من ١٥ حتى ٣٧ من سورة (الشعراء).. وهي تأتي بعد المناجاة التي كانت بين موسى كليم الله وربه حيث كلفه الله سبحانه وتعالى خلالها بالرسالة وأمره أن يذهب الى فرعون وملئه، وهم القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي.

- ﴿فاتيا فرعون فقولا: انا رسول رب العالمين، أن أرسل معنا بني اسرائيل﴾.

هذا الأمر الذي تلقاه موسى من ربه، نراه يصل الى سمع فرعون، حيث اختصر ما هو مفهوم بين المشهدين على طريقة العرض القرآنية الفنية، ونجد فرعون متعجبا، اذ يرى موسى يواجهه بهذه الدعوى الضخمة ﴿انا رسول رب العالمين﴾ ويطلب منه ذلك الطلب الضخم ﴿أن أرسل معنا بني اسرائيل﴾ فيلقاه بالجواب متهكما مستهزئا:

- ﴿قال: ألم نـربـك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين؟.. وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين﴾.

فهل هذا جزاء التربية، والكرامة التي لقيتها عندنا وأنت وليد؟ أن تأتي اليوم لتخالف ما نحن عليه من ديانة؟ ولتخرج على الملك الذي نشأت في بيته، وتدعو الى اله غيره؟ ويذكره بحادث مقتل القبطي وما يمكن أن يعقبها من قصاص، يتهدده به من وراء الكلمات حتى يشغله عما جاء له، بهذا الهم الجديد الثقيل الذي ألقى به عليه.

وهكذا جمع فرعون كل ما حسبه ردا قاتلا، لا يملك موسى عليه السلام. معه جوابا، ولا يستطيع مقاومة.. ولكن موسى لم ينكر التهمة، ولكنه أنكر دوافعها، وأنه ما قتل القبطي الا عن جهل وغفلة كانت منه، وانطلق يجيبه تهكما بتهكم ولكن بالحق.

- ﴿قال: فعلتها اذن وأنا من الضالين. ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين. وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل﴾.

ونلحظ من الحوار الذي مضى حتى الآن، أنه بدأ مناوشة وتحرشا، فنجد في كلماته تثاقلا وبطئا، كما نجد في أسلوبه امتدادا وطولا، ولو ذهبت تسرع في القراءة بهذه الآيات لما استجاب لك لسانك، ولما استطعت ان تمضي بها في غير الوقت المقدر لها، دون أن يضطرب ويتعثر.. ثم بعد أن يحمى الصراع ويشتد، تجيء كلمات الحوار قوية متقطعة، تجري في خفة واندفاع، وتراشق أشبه بالرمي بالسهام. حيث نجد فرعون قد عدل عن تلك المسألة السابقة، وراح يسأل موسى عن صميم دعواه، ولكن في تجاهل وهزء، وسوء أدب في حق الله الكريم.

- ﴿قال فرعون: وما رب العالمين؟﴾.

انه - قبحه الله - يسأل: أي شيء يكون رب العالمين الذي تقول انك من عنده رسول؟ وهو سؤال المتنكر للقول من أساسه، المتهكم على القول وقائله. فيجيبه موسى عليه السلام، بالصفة المشتملة على ربوبيته - تعالى - للكون المنظور كله وما فيه.

- ﴿قال: رب السماوات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾.

وهو جواب يكافىء ذلك التجاهل وتغطيه.. انه رب هذا الكون الهائل، الذي لا يبلغ اليه سلطانك يا فرعون ولا علمك. وقصارى ما ادعاه فرعون أنه اله هذا الشعب، وهذا الجزء من وادي النيل، وهو ملك صغير ضئيل، كالذرة أو الهباءة في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما.

والتفت فرعون الى من حوله، يعجبهم من هذا القول، أو لعله يصرفهم عن التأثر به، على طريقة الجبارين الذين يخشون تسرب كلمات

الحق البسيطة الصريحة الى القلوب.

- ﴿قال لمن حوله: ألا تستمعون؟﴾.

ولم يلبث موسى عليه السلام، أن هجم عليه وعليهم بصفة أخرى من صفات رب العالمين.

- ﴿قال: ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

وهذه أشد مساسا بفرعون، ودعواه، وأوضاعه، فهو يجبهه بأن رب العالمين هو ربه، فما هو الا واحد من عبيده، لا اله كما يدعي بين قومه، فلم يطق فرعون على ذلك سكوتا، والملأ حوله يستمعون، ومن ثم يرمي قائلها في تهكم بالجنون.

- ﴿قال: ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون﴾.

انه يتهكم على مسألة الرسالة ليبعد القلوب عن تصديقها، ويتهم موسى عليه السلام بالجنون، ليذهب أثر مقالته التي تطعن وضع فرعون السياسي، والديني في الصميم، وترد الناس الى ربهم ورب آبائهم الأولين.. ولكن هذا التهكم وهذا القذف لا يفت في عضد موسى، فيمضي في طريقه يصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين.

- ﴿قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون﴾.

ان هذا التوجيه يهز القلوب البليدة هزا، ويوقظ العقول الغافية ايقاظا. وموسى عليه السلام يثير مشاعرهم، ويدعوهم الى التدبر والتفكير.. والطغيان لا يخشى شيئا كما يخشى يقظة الشعوب، وصحوة القلوب، ولا يكره أحدا كما يكره الداعين الى الوعي واليقظة.. ومن ثم نرى فرعون يهيج على موسى ويثور، وينهي الحوار معه بالتهديد الغليظ، بالبطش الصريح الذي يعتمد عليه الطغاة عندما يسقط في أيديهم، وتخذلهم البراهين.

- ﴿قال:لئن اتخذت إلَهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾.

تهديد بأن يسلكه في عداد المسجونين، وما هو بالاجراء الجديد، وتلك سمة الطغاة وطريقهم في القديم والجديد. غير أن التهديد لم يفقد موسى رباطة جأشه، فاذا هو يفتح الصفحة التي أراد فرعون أن يغلقها ويستريح، يفتحها بقول جديد، وبرهان جديد.

- ﴿قال: أولو جئتك بشيء مبين؟﴾.

وفي هذا احراج لفرعون أمام الملأ الذين استمعوا لما سبق من قول موسى. ولو رفض الاصغاء الى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، ومن ثم وجد نفسه مضطرا أن يطلب منه الدليل.

- ﴿قال: فأت به ان كنت من الصادقين﴾.

فهو ما زال يشكك في موسى، خيفة أن تترك حجته في نفوس القوم شيئا.. وهنا كشف موسى عن معجزتيه الماديتين، وقد أخرهما حتى بلغ التحدي من فرعون أقصاه.

- ﴿فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين﴾.

وقد أحس فرعون بضخامة المعجزة وقوتها، فأسرع يقاومها ويدفعها، وهو يحس ضعف موقفه، ويكاد يتملق القوم من حوله، ويهيج مخاوفهم من موسى وقومه، ليغطي على وقع المعجزة المزلزل.

- ﴿قال: للملأ حوله: ان هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾.

وتلك وسيلة الطغاة حينما يحسون أن الأرض تزلزل تحت أقدامهم، عندئذ يلينون في القول بعد التجبر، ويلجأون الى الشعوب، وقد كانوا يدوسونها بالأقدام. ويتظاهرون بالشورى في الأمر، وهم كانوا يستبدون

بالهوى، ذلك الى أن يتجاوزوا منطقة الخطر، ثم اذا هم هم جبابره مستبدون ظالمون.. وأشار عليه الملأ، وقد خدعتهم مكيدته، وهم شركاء فرعون في باطله، وأصحاب المصلحة في بقاء الأوضاع التي تجعلهم حاشية مقربة، ذات نفوذ وسلطان. أشاروا عليه أن يلقي سحره بسحر مثله بعد التهيئة والاستعداد.

- ﴿قالوا: أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين. يأتوك بكل سحار عليم﴾.

أي أمهله وأخاه، وابعث رسلك الى مدائن مصر الكبرى، يجمعون السحرة المهرة، لاقامة مباراة للسحر بينهم وبينه[١٠].

★ ★ ★

بين الرسل وأقوامهم:

وفي مجال الحوار بين كثرة أي بين أكثر من اثنين، نعرض عددا من النماذج، هي حوارات بين رسل وأقوامهم.. أول تلك النماذج نقرأه في حلقة من قصة الخليل ابراهيم عليه السلام، هي حلقة الرسالة الى قومه، وحواره معهم حول العقيدة، وانكار الآلهة المدعاة، والاتجاه بالعبادة الى الله وحده، والتذكير باليوم الآخر، ونجدها في الآيات القرآنية من ٦٩ حتى ٧٧ من سورة (الشعراء).

- ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه: ما تعبدون؟﴾.

وهو يستنكر ما كان يعبده أبوه وقومه من أصنام، ويخالفهم في شركهم، وينكر عليهم ما هم عليه من ضلال، ويسألهم في عجب واستنكار، ماذا تعبدون؟.

---

(١٠) أنظر فيما يتعلق بهذا الحوار.. في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٩ ص٢٥٨٩ - ٢٥٩٤ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ١٩ ص٣٧٦ - ٣٧٨ وأيضا القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص١٣٠ - ١٣٣.

- ﴿قالوا: نعبد أصناما فنظل لها عاكفين..﴾.

وهم كانوا يسمون أصنامهم آلهة. فحكاية قولهم انها أصنام تنبىء بأنهم لم يكونوا يملكون انكار أنها أصنام منحوتة من الحجر، وأنهم مع ذلك يعكفون لها ويعبدونها. وهذه نهاية السخف، ولكن العقيدة متى زاغت لم يفطن أصحابها الى ما تنحط اليه عبادتهم وتصوراتهم ومقولاتهم.. ويأخذ ابراهيم عليه السلام، يوقظ قلوبهم الغافية، وينبه عقولهم المتبلدة، الى هذا السخف الذي يزاولونه، دون وعي ولا تفكير.

- ﴿قال: هل يسمعونكم اذ تدعون؟ او ينفعونكم أو يضرون؟﴾.

فأقل ما يتوفر لاله يعبد، أن يكون له سمع كعابده الذي يتوجه اليه بالعبادة، وهذه الأصنام صماء لا تسمع ولا تملك النفع والضر.. ولكن القوم لم يجيبوا بشيء عن هذا، فهم يشكون في أن ابراهيم انما يتهكم ويستنكر، وهم لا يملكون حجة لدفع ما يقول.

- ﴿قالوا: بل وجدنا أباءنا كذلك يفعلون﴾.

ان هذه الأصنام لا تسمع ولا تضر ولا تنفع، ولكنا وجدنا آباءنا يعكفون عليها فعكفنا عليها وعبدناها.. وهو جواب مخجل، ولكن المشركين لم يخجلوا ان يقولوه، كما لم يخجل المشركون في مكة أن يفعلوه.. وأمام ذلك التحجر لم يجد ابراهيم عليه السلام - على حلمه وأناته - الا أن يهزهم بعنف، ويعلن عداوته للأصنام وللعقيدة الفاسدة التي تسمح بعبادتها لمثل تلك الاعتبارات.

- ﴿قال: أفرأيتم ما كنتم تعبدون ★ أنتم وآباؤكم الأقدمون؟★ فانهم عدو لي الا رب العالمين﴾.

وهكذا لم يمنعه أن أباه وقومه يعبدون ما يعبدون، أن يقاومهم بعقيدته، وأن يجاهر بعدائه لآلهتهم وعقيدتهم هم وآباؤهم الأقدمون.. وكذلك يعلم القرآن المؤمنين، أن لا مجاملة في العقيدة لوالد ولا لقوم،

وأن الرابطة الأولى هي رابطة العقيدة، وأن القيمة الأولى هي قيمة الايمان، وأن ما عداه تبع له يكون حيث يكون[11].

★ ★ ★

وهذا هو النموذج الثاني لحوار بين كثرة، ورد في حلقة من قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام، مع الملائكة المرسلين الى قوم لوط، والذي نجده في الآيات من ٥١ حتى ٧٧ من سورة (الحجر):

- ﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم ★ اذ دخلوا عليه فقالوا: سلاما﴾.

أي وأخبرهم عن قصة ضيف ابراهيم، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وكانوا على صورة غلمان حسان، حين دخلوا على ابراهيم فسلموا عليه.

- ﴿قال: انا منكم وجلون﴾ (أي خائفون).

- ﴿قالوا: لا توجل انا نبشرك بغلام عليم﴾.

وهكذا عجلوا له البشرى، بغلام واسع العلم، عظيم الذكاء، هو اسحق عليه السلام، فيرد ابراهيم عليه السلام بتعجب.

- ﴿قال: أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون؟﴾.

فقد استبعد ابراهيم عليه السلام، في أول الأمر أن يرزق بولد وقد مسه الكبر.. فرده الملائكة الى اليقين.

- ﴿قالوا: بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾.

أي بشرناك باليقين الثابت فلا تستبعده، ولا تيأس من رحمة الله. فآب ابراهيم سريعا، ونفى عن نفسه القنوط من رحمة الله.

- ﴿قال: ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون﴾.

وهنا - وقد اطمأن، ابراهيم الى الملائكة، وثابت نفسه واطمأنت

---

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٩ ص٢٦٠٠ - ٢٦٠٢.

للبشرى - راح يستطلع سبب مجيئهم وغايته.

- ﴿قال: فما خطبكم أيها المرسلون؟﴾.

سألهم ابراهيم عليه السلام ما شأنكم وما أمركم، الذي جئتم من أجله أيها الملائكة الكرام؟.

- ﴿قالوا: انا أرسلنا الى قوم مجرمين. الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين. الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين﴾.

فيخبره الملائكة بالنبأ كله.. وينتهي بذلك دورهم مع ابراهيم عليه السلام، ويمضون لعملهم مع قوم لوط.

- ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون * قال: انكم قوم منكرون﴾.

قالها ضيق النفس بهم، وهو يعرف قومه، ويعرف ماذا سيفعلون بأضيافه هؤلاء. وهو بين قومه غريب، وهم فجرة فاحشون.. انكم قوم منكرون أن تجيئوا الى هذه القرية، وأهلها مشهورون بما يفعلون مع أمثالكم حين يجيئون.

- ﴿قالوا: بل جئناك بما كانوا فيه يمترون * وأتيناك بالحق وانا لصادقون * فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون * وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾.

وهكذا يعجل السياق اخبارهم للوط بأنهم الملائكة، جاءوه بما كان قومه يمترون فيه من أخذهم بذنوبهم، وإهلاكهم جزاء ما يرتكبون، تصديقا لوعد الله، وتوكيدا لوقوع العذاب حين ينزل الملائكة بلا ابطاء.

لقد قدم السياق هذه الواقعة لأنها الأنسب لموضوع السورة كلها، ثم أكمل ما حدث من قوم لوط قبلها.. فقد تسامعوا بأن في بيت لوط شبانا صباح الوجوه ففرحوا بأن هناك صيدا.

- ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون. قال: ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون. واتقوا الله ولا تخزون﴾.

والتعبير على هذا النحو يكشف عن مدى الشناعة والبشاعة، الذي وصل اليه القوم في الدنس، والفجور في الفاحشة الشاذة المريضة.. فأما لوط فوقف مكروبا يحاول أن يدفع عن ضيفه وعن شرفه، وأخذ يستثير النخوة الآدمية فيهم. ويستجيش وجدان التقوى لله.. ولكنهم يتبجحون فيئنبون لوطا على استضافته أحدا من الرجال، كأنما هو الجاني الذي هيأ لهم أسباب الجريمة، ودفعهم اليها وهم لا يملكون له دفاعا.

- ﴿قالوا: أولم ننهك عن العالمين﴾.

ويمضي لوط في محاولته يلوح لهم باتجاه الفطرة السليم الى الجنس الآخر، الى الاناث اللواتي جعلهن الله لتلبية هذا الدافع العميق في نظام الحياة، ليكون النسل الذي تمتد به الحياة.

- ﴿قال: هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين﴾.

ان النبي الكريم لا يعرض بناته على هؤلاء الفجار ليأخذوهن سفاحا، انما هو يلوح لهم بالطريق الطبيعي، الذي ترضاه الفطرة السليمة، لينبه فيهم هذه الفطرة.. وبينما المشهد البشع معروض على هذا النحو المثير، يلتفت السياق خطابا لمن يشهد ذلك المشهد، على طريقة العرب في كلامهم بالقسم: ﴿لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ لتصوير حالتهم الأصيلة، التي لا يرجى معها أن يفيقوا.. ثم تكون الخاتمة وتحق عليهم كلمة الله ﴿ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين﴾.. واذا نحن أمام مشهد الدمار، والخراب والخسف، والهلاك المناسب لتلك الطبائع المقلوبة ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين ★ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾.. فقد خسف بقرى لوط، وهي تقع في طريق مطروق بين الحجاز والشام. يمر عليها الناس، وفيها

عظات لمن يتفرس ويتأمل، ويجد العبرة في مصارع الغابرين ﴿ان في ذلك لآيات للمتوسمين ★ وانها لبسبيل مقيم ★ ان في ذلك الآية للمؤمنين﴾. وهكذا صدق النذير، وكان نزول الملائكة ايذانا بعذاب الله الذي لا يرد ولا يهمل ولا يحيد[١٢].

★ ★ ★

موسى وهرون وبني اسرائيل:

وهذا مثل للحوار المنطلق السريع، الذي يناسب الموقف المتأزم، ويكظم النفوس، ويحرج الصدور. وهو يدور خلال حلقة من قصة موسى وهرون عليهما السلام، مع بني اسرائيل، بعد عودة موسى من موقف المناجاة مع ربه سبحانه وتعالى، وعلمه بأمر الفتنة بين قومه، وانحرافهم عن عبادة الله، واتخاذهم العجل الها.. استمع الى ما جاء في القرآن الكريم عن هذا الحوار في الآيات من ٨٦ حتى ٩٧ في سورة (طه) على النحو التالي:

- ﴿فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا. قال: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا؟ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾.
- ﴿قالوا: ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري★ فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي★ أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾.

هذه هي الفتنة يكشف السياق عنها في مواجهة موسى بقومه، وقد

---

(١٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٤ ص٢١٤٧ - ٢١٥١ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ ١٤ ص١١٢ - ١١٤.

أخر كشفها عن موقف المناجاة، واحتفظ بتفصيلاتها لتظهر في مشهد التحقيق الذي يقوم به موسى. وكان هرون هو خليفة أحيه على بني اسرائيل، فوقف في هذا الأمر موقف المرشد الناصح.

- ﴿ولقد قال لهم هرون من قبل: يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾.
- ﴿قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى﴾.

وما كان لهرون أن يفعل أكثر من هذا، فقد أدى النصيحة لقومه، لكن القوم في لجاج وعناد. ولا يجد موسى الا أخاه يصب عليه وقدة غضبه، ويفرغ فيه شحنة ثورته.

- ﴿قال: يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا* ألا تتبعن؟ أفعصيت أمرى؟﴾.

ان موسى يقول هذه الكلمات، وقد أخذ برأس أخيه وبلحيته في عنف وتعنيف. ولا يجد هرون الا هذه الكلمات اللينة يستعطف بها أخاه.

- ﴿قال: يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي﴾.

عندئذ يترك موسى أخاه.. ويتجه بغضب وانفعال الى السامري، صاحب هذا التدبير، ومسبب تلك الفتنة من أساسها.

- ﴿قال: فما خطبك يا سامري؟﴾.

- ﴿قال: بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي﴾.

- ﴿قال: فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر الى إلٓهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه

ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾.

لقد أعلنه موسى عليه السلام بالطرد من جماعة بني اسرائيل مدة حياته ووكل أمره بعد ذلك الى الله، وواجهه بعنف في أمر الهه الذي صنعه بيده، ليرى قومه بالدليل المادي أنه ليس الها، فهو لا يحمي صانعه ولا يدفع عن نفسه.. وأمر أن يهوى على عجل الذهب، فيحرق وينسف ويلقى في الماء[١٣].

* * *

حوار قصير مفصل:

وهذا مثال لحوار قصير ورد في آية واحدة، هي الآية رقم٢٣ في سورة (القصص)، ولكنه حوار يجمع أجزاء الحدث كلها، ويصور المشهد مفصلا.. هذا الحوار كان بين موسى عليه السلام، وبين ابنتي شعيب، بعد خروجه من مصر خائفا ووصوله الى ماء مدين.

- ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال: ما خطبكما؟﴾.
- ﴿قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾.

حوار قصير صور المشهد بكامله.. لقد انتهى السفر الشاق الطويل بموسى الى ماء مدين. وصل اليه وهو مجهود، مكدود، واذا هو يطلع على مشهد لا تستريح اليه النفس ذات المروءة، السليمة الفطرة.. وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب الماء. ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء. والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامها أولا، وأن يفسح لهما الرجال

---

(١٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص١٣٨ - ١٣٩ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٦ ص٢٣٤٧ - ٢٣٤٩.

ويعينوهما. ولم يقعد موسى الهارب المطارد. المسافر المكدود ليستريح، وهو يشهد هذا المنظر المنكر، المخالف للمعروف، بل تقدم وسأل المرأتين عن أمرهما الغريب. فأطلعاه على سبب انزوائهما وتأخرهما، وذودهما لغنمهما عن الورود. لأنهما امرأتان، وهؤلاء الرعاة رجال وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على الرعي ومجالدة الرجال. فلما عرف حقيقة الموقف، عالجه على الوجه الذي ينبغي، مما تقتضيه المروءة والرحمة فسقى لهما ثم تولى الى الظل ليستريح(١٤).

★ ★ ★

من السرد الى الحوار:

ونختتم تلك المعالم القرآنية الخاصة بالحوار، بمعلم قرآني يوضح براعة الانتقال من السرد الى الحوار ومن الحوار الى السرد دون أن نشعر أن هناك نقلة قد حدثت من هذا الى ذاك، أو من ذاك الى هذا.. ذلك المعلم نقرأه في الآيات القرآنية من ١٦ حتى ٣٣ من سورة (مريم). علما بأن هذه الطريقة في الحوار نجدها في أغلب المواقف التي يدور فيها الحوار في القرآن الكريم، انما نسوق هذا النموذج ونقدمه بتعليقات سريعة حتى ندع النموذج يقدم نفسه بنفسه، لمن يريد أن يتعلم هذا الفن البديع. لتأتي كتاباته الحوارية مليئة بالحيوية والحياة، وينتقل فيها من السرد الى الحوار أو من الحوار الى السرد بيسر وسهولة دون أن يجعل القارىء يحس أن هناك نقلة قد تمت في الاتجاهين. ولله سبحانه وتعالى المثل الأعلى في كل ما يقول ومنه نستمد العون والهداية والرشاد. يقول تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا. فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾.

---

(١٤) المصدران السابقان الأول ص١٢٥ - ١٢٦ والثاني جـ٢٠ ص٢٦٨٥ - ٢٦٨٦.

- ﴿قالت: اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا﴾.
- ﴿قال: انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾.
- ﴿قالت: أني يكون لي غلام ولم يمسني بشر ولم أك بغيا﴾.
- ﴿قال: كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا﴾.

أرأيت كيف انتقل السرد الى الحوار. ان الحوار هنا لا يمكن أن يستبدل بأي وسيلة أخرى من وسائل العرض، فكأنما خلق الحوار ليكون في هذا المكان وقد جاءت النقلة طبيعية، فأنت تحس بها كالطريق الحريري الممهد، تسير فيه الكلمات طيعة مواتية(١٥).

ونمضي مع الآيات القرآنية، ننظر فيها كيفية الانتقال من الحوار الى السرد، ثم الانتقال من السرد الى الحوار مرة أخرى، دون الشعور بهذا الانتقال في الحالتين..

﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا. فأجاءها المخاض الى جذع النخلة﴾.

- ﴿قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾.
- ﴿فناداها من تحتها: ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا. وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من الشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾.
- ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا: يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء و ما كانت أمك بغيا﴾.
- ﴿فأشارت اليه قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾.

---

(١٥) ثروت أباظة - السرد القصصي في القرآن الكريم (القاهرة بدون تاريخ)ص٩١.

- ﴿قال: اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أين ما كنت وةأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا. والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾. (سورة مريم آية ١٦ - ٣٣).

وواضح من هذا النموذج الحواري، أنه قد دار بين كثرة، فقد اشترك فيه أكثر من طرف، وكانت الشخصية الرئيسية التي دار الحوار بينها وبين كل الأطراف هي شخصية السيدة مريم العذراء. ولقد بدأ الحوار بينها وبين الروح الأمين جبريل عليه السلام، الذي جاءها في صورة البشر التام الخلقة، وأخبرها بأمر الله سبحانه وتعالى، وحكمه بمجيء الغلام منها، وان لم يكن لها زوج، فإن ذلك على الله سهل يسير، وبذلك ينتهي الحوار بين الروح الأمين ومريم العذراء، ولا يذكر السياق ماذا كان بعد. ثم يمضي الحوار بينها وبين وليدها الذي ولد اللحظة، يطمئن قلبها، ويصلها بربها، ويرشدها الى طعامها وشرابها، ويدلها على حجتها وبرهانها. بعد ذلك ينتقل الحوار مع قومها في مشهد مثير اذ يرون ابنتهم الطاهرة، العذراء الموهوبة للهيكل، المنقطعة للعبادة، تحمل طفلا.. وتنفذ مريم وصية الطفل العجيب التي لقنها اياها، فأشارت الى الطفل ليسألوه عن سرها. وهنا ينتقل الحوار ويصبح بين الطفل وبينهم، فيعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله، وأنه جعله نبيا لا ولدا ولا شريكا، وبارك فيه وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته[١٦].. وواضح أن كل تلك النقلات بين المتحاورين، والانتقال من السرد الى الحوار، ومن الحوار الى السرد، كل ذلك تم في براعة ويسر واعجاز باهر، وتغني قراءة النص والانفعال به عن كل تفسير أو توضيح.

(١٦) أنظر في ذلك في ظلال القران، مصدر سابق جـ١٦ ص٢٣٠٥ - ٢٣٠٨ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ١٦ ص٢١٣ - ٢١٥.

وأخيرا.. كانت تلك معالم قرآنية، قدمناها كأمثلة في مجال الحوار. والقرآن الكريم مليء بالمعالم القرآنية المعجزة في هذا المجال الرحيب.. ويهمنا أن نـؤكد أن أية صورة من صور الحوار التي يمكن أن يقدمها أبرع الكتاب المتمكنين من ذوي الاختصاص، لا يمكن أن تقف ازاء هذا الحوار السماوي، الذي قدمنا معالم عديدة منه، دون أن تذل وتخزي.. ولكن كل ما نستهدفه من تقديم هذه المعالم هو أن نعمل على دراستها، ونتأمل ما فيها من اعجاز وبراعة، ونترسم خطاها نستهدي بها ونسترشد، لنصل الى العمل الجيد، بعد أن نكون قد سرنا على الدرب السليم.. ثم نمضي الى فصل جديد من فصول هذا الباب.. ومعالم قرآنية أخرى نسترشد بها ونستهدي في كتابة العنوان الجيد.

الفصل السابع

العنوان الجيد

GOOD HEADING

العنوان الصحفي هو السطر، أو مجموعة الأسطر التي تكون بحروف كبيرة وتسبق المادة الصحفية.. والغرض منه هو جعل القارىء راغبا في قراءة المادة الصحفية فورا وبلا تأجيل، وفتح شهيته الى متابعة القراءة، والانتقال الى المقدمة، ومنها لبقية المادة الصحفية.. وحكم القارىء الأول على تلك المادة يتكون بمجرد قراءة عنوانها، ولذلك يجب أن تكون ألفاظ العنوان مطابقة لمحتوى تلك المادة، وغالبا ما يشتمل على مضمونها، أو الحقيقة الجوهرية فيها، أو أهم عنصر بارز من عناصرها.

ولقد كانت العرب تراعي في الكثير من المسميات، أخذ أسمائها من نادر، أو مستغرب يكون في الشيء، من خلق، أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لادراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام، والقصيدة الطويلة، بما هو أشهر فيها. وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن الكريم(١).

فكل سورة من سور القرآن الكريم لها اسم خاص، بتوقيف من النبي ﷺ. وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار(٢). وعرفت تلك الأسماء بطريق الرواية(٣).

---

(١) البرهان في علوم القرآن للامام الزركشي مصدر سابق جـ١ ص٢٧٠ وكذلك الاتقان في علوم القرآن للامام السيوطي، مصدر سابق جـ١ ص٥٧.

(٢) المصدر الثاني السابق جـ١ ص٥٣.

(٣) تفسير المراغي، مصدر سابق، جـ١ ص٢٣.

وفي الصفحات التالية، نقدم دراسة حول العنوان الجيد مستمدة أولا من أسماء سور القرآن الكريم والبراعة الفائقة في اختيارها، أو ما يمكن أن نسميه (عناوين) السور. ثم نقدم نماذج من الآيات القرآنية أو أجزاء من الآيات، يمكن أن يجد فيها الصحفي عناوين جيدة، ومناسبة لموضوعات عديدة وخاصة الموضوعات الدينية. وبعد ذلك نستعرض أمثلة لعناوين نشرت بالفعل في صحف ومجلات منوعة كانت عبارة عن آيات قرآنية كاملة، أو أجزاء من الآيات أو استخدام جزء من الآيات ضمن العنوان، أو استقاء العنوان من معنى آية من الآيات.

أولا: أسماء سور القرآن أو «عناوينها»:

وأسماء سور القرآن بعدد السور البالغة ١١٤ سورة، وسنتناول أسماء بعض السور وليس كلها، مع مراعاة تصنيفها الى ثلاثة أقسام: القسم الأول هي أسماء السور التي تشتمل على مضمون أو ملخص السورة.. والقسم الثاني هي أسماء السور التي تشتمل على الحقيقة الجوهرية في السورة. والقسم الثالث هي أسماء السور التي تبرز أهم عنصر من عناصر السورة، باعتباره نادرا أو مستغربا.

١ - أسماء سور تشتمل على مضمون أو ملخصات السور التي تحمل اسمها:

(★) سورة (الفاتحة) وقد سميت بهذا الاسم لافتتاح القرآن الكريم بها، حيث أنها أول القرآن في الترتيب لا في النزول، وهي على قصرها قد حوت معاني القرآن، واشتملت على مقاصده الأساسية بالاجمال[٤].

(٤) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١ ص٢٤ وسنتناول سورة الفاتحة بالتفصيل في موضعها بالباب الثالث القادم.

(★) سورة (يوسف) سميت بما يخصها ، لأنها السورة الوحيدة في القرآن الكريم ، التي أفردت للحديث عن قصة نبي الله (يوسف بن يعقوب) عليهما الصلاة والسلام. وما لاقاه من أنواع البلاء ، ومن ضروب المحن والشدائد من اخوته ، ومن الآخرين: في بيت عزيز مصر ، وفي السجن ، وفي تآمر النسوة حتى نجاه الله من ذلك الضيق.. والمقصود بها تسلية النبي ﷺ ، بما مرّ عليه من الكرب والشدة ، وما لاقاه من أذى القريب والبعيد.

وقد جرت عادة القرآن الكريم بتكرير القصة في مواطن عديدة بقصد العظة والاعتبار ، ولكن بايجاز دون توسع ، لاستكمال جميع حلقات القصة ، وللتشويق الى سماع الأخبار دون سآمة أو ملل. وأما سورة (يوسف) فقد ذكرت حلقاتها هنا متتابعة باسهاب واطناب ، ولم تكرر في مكان آخر كسائر قصص الرسل ، لتشير الى (اعجاز القرآن) في المجمل والمفصل ، وفي حالتي الايجاز والإطناب(٥).

(★) سورة (الأنبياء) سميت بهذا الاسم ، لأن الله تعالى ذكر فيها جملة من الأنبياء الكرام في استعراض ، يطول أحيانا ، ويقصر أحيانا. وذكر جهادهم وصبرهم وتضحيتهم في سبيل الله ، وتفانيهم في تبليغ الدعوة لاسعاد البشرية.. تحدثت السورة باسهاب عن قصة ابراهيم عليه السلام مع قومه الوثنيين. وتابعت السورة الحديث بايجاز عن الرسل الكرام: (اسحق ، ويعقوب ، ولوط ، ونوح ، وداود ،

---

(٥) صفوة التفاسير ، مصدر سابق جـ١٢ ص٣٩ - ٤٠ وقد تناولنا ذلك الموضوع في مكانه بالفصل السادس من الباب الأول والخاص بالتكرار وأهميته.

وسليمان، وأيوب، واسماعيل، وادريس، وذي الكفل، وذي النون، وزكريا، ويحيي، وعيسى) مع بيان الأهوال والشدائد التي تعرضوا لها.. وختمت ببيان رسالة سيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام(٦).

(*) وهذه سورة (المؤمنون) اسمها يدل عليها، ويلخص موضوعها ويحدده.. فهي تبدأ بصفة المؤمنين، ثم يستطرد السياق منها الى دلائل الايمان في الأنفس والآفاق، ثم الى حقيقة الايمان كما عرضها رسل الله - صلوات الله عليهم - من لدن نوح عليه السلام إلى محمد خاتم الرسل والنبيين، وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة، واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها. حتى يستنصر الرسل بربهم، فيهلك المكذبين ،وينجي المؤمنين. ثم يستطرد إلى اختلاف الناس - بعد الرسل - في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد..ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول ﷺ، ويستنكر هذا الموقف الذي ليس له مبرر.. وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة، يلقون فيه عاقبة التكذيب، ويؤنبون على ذلك الموقف المريب، يختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق، والتوجه الى الله بطلب الرحمة والغفران.. فهي سورة (المؤمنون).. أو هي سورة الايمان بكل قضاياه، ودلائله، وصفاته، وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل ومنه استمدت اسمها(٧).

(*) سورة (القصص) سميت بذلك الاسم، لأن كيان السورة

---

(٦) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١٧ ص٢٥٤ - ٢٥٥.

(٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٨ ص٢٤٥٢.

يقوم في بدايتها على قصة موسى عليه السلام وفرعون، مفصلة موضحة من حين ولادته الى حين رسالته. وفيها من غرائب الأحداث العجيبة ما يتجلى فيه بوضوح عناية الله بأوليائه، وخذلانه لأعدائه. ثم في ختام السورة توجد قصة قارون مع قومه - قوم موسى - وبين القصتين يجول السياق مع المشركين جولات يبصرهم بدلالة القصص - في سورة القصص - ويفتح أبصارهم على آيات الله المبثوثة في مشاهد الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة، وفي مشاهد القيامة تارة، وكلها تؤكد العبرة المستقاة من القصص، وتساوقها، وتناسقها. وتؤكد سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل على مر الزمان[٨].

(★) سورة (المنافقون) تحمل هذا الاسم الخاص الدال على موضوعها ويلخصه.. لأن هذه السورة تكاد تكون مقصورة على الحديث عن المنافقين، والاشارة الى بعض الحوادث، والأقوال التي وقعت منهم، ورويت عنهم. وتتضمن السورة حملة عنيفة على أخلاق المنافقين، وأكاذيبهم، ودسائسهم، ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسليمن، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب. وليس في السورة عدا هذا الا لفتة في نهايتها الى الذين آمنوا، لتحذيرهم من كل ما يلصق بهم صفة من صفات المنافقين ولو من بعيد[٩].

(★) سورة (نوح) تحمل هذا ألاسم لأن السورة كلها تقص

(٨) في ظلال الفرآن، مصدر سابق، جـ٢٠ ص٢٦٧٤ - ٢٦٧٥ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٢٠ ص٤٢٣ - ٤٢٤.

(٩) في ظلال الفرآن، مصدر سابق، جـ٢٨ ص٣٥٧٢.

بالتفصيل قصة نوح عليه السلام مع قومه، من بدء دعوته حتى نهاية حادثة الطوفان التي أغرق الله بها المكذبين من قومه[١٠].

(*) سورة (الفيل) سميت بذلك الاسم لأنه يلخص موضوع السورة كلها، حيث تتضمن في جملتها حادث الفيل الذي انفردت به، ويخصها وحدها ولم يرد في غيرها من سور القرآن. وهذا الحادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية. عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى النور الأخير، ومحضن العقيدة الجديدة. والنقطة التي تبدأ منها زحفها المقدس، لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض، واقرار الهدى والحق، والخير فيها[١١].

* * *

٢ - أسماء سور تشتمل على الحقيقة الجوهرية في تلك السور:

(*) سورة (النساء) سميت بهذا الاسم لأن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تدور حول موضوع النساء.. تعرضت لموضوع المرأة فصانت كرامتها، وحفظت كيانها ودعت الى انصافها، واعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها: كالمهر، والميراث، واحسان العشرة.. وتحدثت عن المحرمات من النساء: بالنسب، والرضاع، والمصاهرة.. وتناولت تنظيم العلاقات الزوجية، وبينت أنها ليست علاقة جسد، وانما علاقة انسانية، وأن المهر ليس أجرا ولا ثمنا وانما هو

---

(١٠) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٩ ص٤٤٩.

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، حـ٣٠ ص٣٩٧٤.

عطاء يوثق المحبة، ويديم العشرة، ويربط القلوب. ثم تناولت حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وأرشدت الى الخطوات التي ينبغي أن يسلكها الرجل لاصلاح الحياة الزوجية، عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين. وبينت معنى «قوامة الرجل» وانها ليست قوامة استعباد وتسخير، وانما هي قوامة نصح وتأديب كالتي تكون بين الراعي والرعية(١٢).

(★) سورة. (ابراهيم) سميت بذلك الاسم تخليدا لمآثر أبو الأنبياء بعد نوح عليه السلام، وامام الحنفاء، الذي حطم الأصنام، وحمل راية التوحيد، وجاء بالحنيفية السمحة دين الاسلام الذي بعث به خاتم المرسلين(١٣). كما كان لجو السورة من اسمها نصيب.. ابراهيم.. المبارك الشاكر، الأواه، المنيب.. وكل الظلال التي تخلعها هذه الصفات ملحوظة في جو السورة وجوهرها، وفي الحقائق التي تبرزها، وفي طريقة الأداء، وفي التعبير والايقاع. ولقد تضمنت السورة عدة حقائق رئيسية في العقيدة، ولكن حقيقتين كبيرتين تظللان جو السورة كلها، وهما الحقيقتان المتناسقتان مع ظل ابراهيم في جو السورة: حقيقة وحدة الرسالة والرسل، ووحدة دعوتهم ووقفتهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله على اختلاف الأمكنة والأزمان. وحقيقة نعمة الله على البشر وزيادتها بالشكر، ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران(١٤).

---

(١٢) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٤ ص٢٥٦.

(١٣) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١٣ ص٨٩.

(١٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٣ ص٢٠٧٧.

(★) سورة (الحج) سميت بذلك تخليدا لدعوة ابراهيم عليه السلام، حين انتهى من رفع قواعد البيت العتيق، ونادى الناس لحج بيت الله الحرام، فتواضعت الجبال حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع نداءه من في الأصلاب والأرحام، وأجابوا النداء(١٥).

(★) سورة (النور) سميت بذلك الاسم لأن النور يذكر فيها بلفظه متصلا بذات الله: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ ويذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح، ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة. وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية. تنير القلب، وتنير الحياة، ويربطها بذلك النور الكوني الشامـــل.. انهـــا نور في الأرواح، واشراق في القلوب، وشفـافيـة في الضمائر، مستمـدة كلهـا من ذلـك النور الكبير(١٦).

(★) سورة (الفرقان) سميت بذلك الاسم، لأن الله تعالى ذكر فيها هذا الكتاب المجيد، الذي أنزله على عبده محمد رسول الله ﷺ، وكان النعمة الكبرى على الانسانية، لأنه النور الساطع والضياء المبين، الذي فرق الله به بين الحق والباطل، والنور والظلام، والكفر والايمان. ولهذا كان جديرا بأن تسمى تلك السورة سورة (الفرقان)(١٧). وهي التي بدأت بقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على

---

(١٥) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ١٧ ص٢٨٠ وانظر سورة الحج الآيات من ٢٦ حتى ٣٧.

(١٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٨ ص٢٤٨٥.

(١٧) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١٨ ص٣٥٤.

عبده ليكون للعاملين نديرا﴾.

(★) سورة (السجدة) سميت بذلك الاسم لما ذكر الله تعالى فيها من أوصاف المؤمنين الأبرار الذين اذا سمعوا آيات القرآن العظيم ﴿خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾[18]. (سورة السجدة آية ١٥).

(★) سورة (الأحزاب) سميت بذلك الاسم، لأن المشركين تحزبوا على المسلمين من كل جهة، فاجتمع كفار مكة مع غطفان، وبني قريظة وأوباش العرب على حرب المسلمين. ولكن الله تعالى ردهم مدحورين وكفى الله المؤمنين القتال بتلك المعجزة الباهرة[19].

(★) سورة (فاطر) سميت بذلك لذكر هذا الاسم الجليل، والنعت الجميل في طليعتها. كما في هذا الوصف من الدلالة على الابداع، والاختراع والايجاد من غير مثال سابق، ولما فيه من التصوير الدقيق المشير الى عظمة ذي الجلال، وباهر قدرته، وعجيب صنعته. فهو الذي خلق الملائكة وأبدع تكوينهم بهذا الوصف العجيب[20]. ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير﴾. (سورة فاطر آية ١)

(★) سورة (الزمر) سميت بذلك الاسم، لأن الله تعالى ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنة، مع الاجلال والاكرام.

---

(١٨) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢١ ص٥٠٠.
(١٩) نفس المصدر السابق، جـ٢١ ص٥١٠.
(٢٠) صفوة التفاسير جـ٢٢ ص٥٦٣ - ٥٦٤.

وزمرة الأشقياء من أهل النار، مع الهوان والصغار(٢١).

(★) سورة (فصلت) تحمل هذا الاسم الذي يشتمل على مضمونها وجوهرها الأساسي، لأن الله سبحانه وتعالى فصل الآيات، ووضح فيها الدلائل على قدرته ووحدانيته. وأقام البراهين القاطعة على وجوده وعظمته، وخلقه لهذا الكون البديع الذي ينطق بجلال الله وعظيم سلطانه(٢٢).

(★) سورة (الرحمن) سميت بهذا الاسم، لأن هذه السورة كلها اعلان عام في ساحة الوجود الكبير، واعلام بآلآء الله الباهرة، ونعمه الكثيرة الظاهرة على العباد، التي لا يحصيها عد، آلاء الله في الكون، وآلاؤه في الخلق، وآلاؤه في الآخرة، وتمجيد الله جل وعلا، والثناء عليه على ما أنعم على عباده من فنون النعم والاكرام(٢٣).

(★) سورة (الجمعة) سميت بذلك الاسم، لأن المحور الذي تدور عليه السورة هو بيان أحكام (صلاة الجمعة) التي فرضها الله على المؤمنين، فدعت المؤمنين الى المسارعة لأداء الصلاة، وحرمت عليهم البيع وقت الأذان، ووقت النداء لها. وختمت بالتحذير من الانشغال عن الصلاة بالتجارة واللهو كحال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين(٢٤).

(★) سورة (الجن) سميت بذلك الاسم، لأن محور السورة يدور

---

(٢١) نفس المصدر جـ٢٣ ص٦٩.

(٢٢) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٤ ص١١٥.

(٢٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢٧ ص٣٤٤٥ وص٣٤٥٨ وصفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٧ ص٢٩٢.

(٢٤) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٨ ص٣٧٧.

حول الجن وما يتعلق بهم من أمور خاصة، بدءا من استماعهم للقرآن، الى دخولهم في الايمان. كما تناولت السورة بعض الأنبناء العجيبة الخاصة بهم كاستراقهم للسمع، ورميهم بالشهب المحرقة، واطلاعهم على الأسرار الغيبية، الى غير ذلك من الأنباء المثيرة(٢٥). وهذا الاسم نموذج للعنوان الشامل الذي يوضح مضمون السورة وجوهرها.

* * *

(٣) أسماء سور تبرز أهم عنصر فيها باعتباره نادرا أو مستغربا:

(*) سورة (البقرة) سميت بذلك الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وحدها دون غيرها من السور، وعجيب الحكمة فيها(٢٦). وقد ظهرت تلك المعجزة الباهرة في زمن موسى الكليم.. حيث قتل شخص من بني اسرائيل ولم يعرفوا قاتله، فعرضوا الأمر على موسى عله يعرف القاتل فأوحى الله تعالى اليه أن يأمرهم بذبح بقرة، وأن يضربوا الميت بجزء منها، فيحيا باذن الله ويخبرهم عن القاتل وتكون برهانا على قدرة الله جل وعلا في احياء الخلق بعد الموت(٢٧) وقد حصل ذلك بالفعل.. وهذه القصة جاءت في قوله تعالى: ﴿واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن

---

(٢٥) نفس المصدر السابق، جـ٢٩ ص٤٥٦.

(٢٦) البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، جـ١ ص٢٧٠ وكذلك الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، جـ١ ص٥٧.

(٢٧) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١ ص٣٠ وانظر في تفصيل قصة البقرة ومعجزة احياء الميت (صفوة التفاسير جـ١ ص٦٦ - ٦٧ وكذلك مختصر ابن كثير جـ١ ص٧٦) وسيأتي الحديث عن تلك القصة مرة أخرى في موضعها من الفصل الثالث بالباب الثالث.

أكون من الجاهلين..﴾ الى آخر الآيات

(سورة البقرة آية ٦٧ - ٧٤).

(★) سورة (آل عمران) سميت بهذا الاسم، لورود ذكر قصة تلك الأسرة الفاضلة (آل عمران) والد مريم أم عيسى عليه السلام، وما تجلى فيها من مظاهر القدرة الالهية بولادة مريم البتول ابنها عيسى عليه السلام[٢٨]. بقوله تعالى: ﴿ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين..﴾ (آل عمران ٣٣ - ٥٦).

(★) سورة (المائدة) سميت بما يخصها، لورود ذكر المائدة فيها وحدها، حيث لم يرد ذكر المائدة في غيرها من السور. فقد طلب الحواريون من عيسى عليه السلام، آية تدل على صدق نبوته، وتكون لهم عيدا، وقصتها أعجب ما ذكر في السورة لاشتمالها على آيات كثيرة، ولطف عظيم من الله العلي الكبير[٢٩]. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء..﴾ (سورة المائدة الآيات ١١٢ - ١١٥).

(★) سورة (الأنعام) سميت كذلك لورود ذكر الأنعام فيها، وتفصيل أحوالها، ولأن أكثر أحكامها الموضحة لجهالات المشركين تقربا بها الى أصنامهم مذكورة فيها، وان كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها من السور، الا أن التفصيل الوارد في هذه السورة لم يرد في غيرها[٣٠].

---

(٢٨) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٣ ص١٨٣.

(٢٩) البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق جـ١ ص٢٧١ وكذلك الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، جـ١ ص٥٧ وأيضا صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٦ ص٣٢٥.

(٣٠) نفس المصدر الأول السابق ص٢٧٠ والمصدر الثاني نفسه، والمصدر الثالث نفسه=

(★) سورة (الأعراف) سميـــت بمـــا يخصهـــا، لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلها، فقد تعرضت هذه السورة الكريمة لمشهد من المشاهد الواقعة يوم القيامة. وهو مشهد الفرق الثلاثة وما يدور بينهم من محاورة ومناظرة: فرقة المؤمنين أصحاب الجنة، وفرقة الكافرين أصحاب النار، وفرقة ثالثة لم يتحدث عنها القرآن الكريم الا في هذه السورة وحدها، وهي الفرقـة الـتي سميت بـأصحـاب الأعراف، وسميـت السورة باسمها[٣١] وذلك في قوله تعالى: ﴿وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم...﴾

(سورة الأعراف الآيات ٤٦ - ٤٩).

(★) سورة (يونس) سميت بذلك الاسم، لذكر قصة نبي الله يونس فيها، وما تضمنته من العظة والعبرة، برفع العذاب عن قومه حين آمنوا بعد أن كاد يحل بهم البلاء والعذاب. وهذا من الخصائص التي خص الله بها قوم يونس لصدق توبتهم وايمانهم.. فبالرغم من أن تلك القصة لم تتجاوز اشارة سريعة في قوله تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين﴾ (سورة يونس الآية ٩٨) الا أنها مع هذا هي المثل الوحيد البارز للقوم

جـ ٧ ص٣٧٧ وانظر سورة الأنعام الآيات من ١٣٦ حتى ١٣٩ والآيات من ١٤٢ حتى ١٤٦ وهي التي ورد فيها ذكر الأنعام وأحكامها وأحوالها.

(٣١) صفوة النفاسر، مصدر سابق، جـ٨ ص٤٣٤ - ٤٣٥ وقد روى ابن جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دحول الجنة، وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار وتوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم.

الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب لهم، فيثوبون الى ربهم وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيب، فكشف عنهم العذاب الذي أوعدهم به رسولهم قبل وقوعه بهم، كما هي سنة الله في المكذبين المصرين[٣٢]. وقد سميت السورة بذلك لأن قصة يونس عليه السلام وقومه أبرز ما فيها، وهي قصة عجيبة وغريبة في وقت معا..

(★) سورة (هود) سميت باسم نبي الله هود عليه السلام، تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة الى الله وأشار الى ذلك قوله تعالى: ﴿والى عاد أخاهم هودا...﴾ (سورة هود الآيات ٥٠ - ٦٠) فقد أرسله الله تعالى الى قوم (عاد) العتاة المتجبرين الذين اغتروا بقوة أجسامهم، وقالوا من أشد منا قوة؟ فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية. وقد أسهبت الآيات في الحديث عنهم، بقصد العظة والعبرة للمتكبرين المتجبرين[٣٣].

(★) سورة (الرعد) سميت بذلك الاسم، لتلك الظاهرة الكونية العجيبة التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه، فالماء جعله الله سببا للحياة، وأنزله بقدرته من السحاب. وقد جمع الله في السحاب بين الرحمة والعذاب، فهو يحمل المطر، ويحمل الصواعق. وفي الماء الاحياء، وفي الصواعق الافناء، وجمع النقيضين من العجائب، كما قال القائل: جمع النقيضين من أسرار قدرته. هذا السحاب وبه ماء به نار[٣٤]. وقد جاء

---

(٣٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١١ ص١٧٥٢ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ١١ ص٥٧١.

(٣٣) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١١ ص٥.

(٣٤) نفس المصدر السابق جـ١٣ ص٧٣.

ذكر الرعد في قوله تعالى: ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾

(سورة الرعد الآية ١٣).

(★) سورة (الاسراء) سميت بهذا الاسم لتلك المعجزة الباهرة العجيبة معجزة الاسراء التي خص الله تعالى بها نبيه الكريم محمد ﷺ، والتي كانت مظهرا من مظاهر التكريم الالهي لخاتم الأنبياء والمرسلين وآية باهرة تدل على قدرة الله جل وعلا في صنع العجائب والغرائب(٣٥).

(★) سورة (الكهف) سميت بذلك لما فيها من المعجزة الربانية، في تلك القصة العجيبة الغريبة، قصة أصحاب الكهف، وهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة، وهم الفتية المؤمنون الذين خرجوا من بلادهم فرارا بدينهم، ولجأوا الى غار في الجبل، ثم مكثوا فيه نياما ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم الله بعد تلك المدة الطويلة(٣٦). وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا..﴾ الى قوله تعالى: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً﴾

(سورة الكهف الآيات ٩ - ٢٦).

(★) سورة (مريم) سميت بذلك الاسم لذكر قصة مريم فيها، وتخليدا لتلك المعجزة الباهرة في خلق انسان بلا أب، ثم

---

(٣٥) نفس المصدر السابق جـ١٥ ص١٥٠.

(٣٦) نفس المصدر السابق جـ١٥ ص١٨١ وانظر تفصيل القصة في موضعه بالفصل الثالث من الباب الثالث.

انطاق الله للوليد وهو طفل في المهد، وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام[٣٧].
﴿واذكر في الكتاب مريم..﴾
(سورة مريم الآيات ١٦ - ٣٣).

(*) سورة (الشعراء) سميت بذلك الاسم، لأن الله تعالى ذكر فيها أخبار الشعراء، وذلك للرد على المشركين في زعمهم أن محمدا ﷺ كان شاعرا، وأن ما جاء به من قبيل الشعر. فرد الله عليهم ذلك الكذب والبهتان، وظهر الحق وبان[٣٨] بقوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾
(سورة الشعراء الآيات ٢٢٤ - ٢٢٦).

(*) سورة (الروم) سميت كذلك لذكر تلك المعجزة الباهرة في بداية السورة، والتي تدل على صدق أنباء القرآن العظيم، ﴿ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ فقد بدأت السورة الكريمة بالتنبؤ عن حدث غيبي هام، أخبر عنه القرآن الكريم قبل حدوثه، ألا وهو انتصار الروم على الفرس في الحرب التي ستقع قريبا بينهما. وقد حدث كما أخبر عنه القرآن وبذلك

---

(٣٧) نفس المصدر السابق جـ١٦ ص٢١٠ وانظر تفصيل القصة في موضعه بالفصل الثالث من الباب الثالث.

(٣٨) نفس المصدر السابق جـ١٩ ص٣٧٤ وجدير بالذكر أن الشعر باب من الكلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح. وانما ذم الله تعالى الشعر لما فيه من المغالاة والافراط في المديح أو الهجاء، ومجاوزة حد القصد فيه.. وربما رفعوا شخصا الى الأوج ثم اذا غضبوا عليه أنزلوه الى الحضيض، وهذا مشاهد ملموس في أكثر الشعراء الا من استثناهم الله عز وجل.

تحققت النبوءة وذلك من أظهر الدلائل على صدق محمد ﷺ، فيما جاء به من الوحي[39].

(*) سورة (لقمان) سميت بذلك الاسم، لاشتمالها على قصة لقمان الحكيم التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى، وصفاته، وذم الشرك، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن القبائح والمنكرات وما تضمنته كذلك من الوصايا الربانية الثمينة، التي أنطقه الله بها، وكانت من الحكمة والرشاد[40].

(*) سورة (سبأ) سميت بذلك الاسم، لأن الله تعالى ذكر فيها قصة سبأ وهم ملوك اليمن، وهي أبرز ما في السورة.. وقد كان أهل سبأ في نعمة ورخاء، وسرور وهناء، وكانت مساكنهم حدائق وجنات، فلما كفروا النعمة دمرهم الله بالسيل العرم، وجعلهم عبرة لمن يعتبر[41].

* * *

---

(٣٩) نفس المصدر السابق جـ٢١ ص٤٧٠ - ٤٧١ وقد قال المفسرون في هذا الشأن أنه كانت بين فارس والروم حرب، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، وأصحابه، فشق ذلك عليهم. وفرح المشركون بذلك لأن أهل فارس كانوا مجوسا، ولم يكن لهم كتاب، والروم أصحاب كتاب، فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ: انكم أهل كتاب، والروم أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم الروم، فلنظهرن عليكم. فقال أبو بكر: لا يقر الله أعينكم.. فأنزل الله ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ وقد التقى الجيشان في السنة السابعة من الحرب وغلبت الروم فارس، وهزمتهم ففرح المسلمون بذلك.

(٤٠) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢١ ص٤٨٦.

(٤١) نفس المصدر السابق جـ٢٢ ص٥٤٣.

ثانيا: نماذج لعناوين من الآيات أو أجزائها:

ونقدم فيما يلي طائفة من الآيات القرآنية وأجزاء من الآيات تصلح لكي تكون عناوين مناسبة أو يستمد من معناها عناوين مناسبة لموضوعات أو مقالات صحفية دينية وغير دينية.. وسنقدم تلك المعالم القرآنية دون أي تعليق عليها، علما بأن أغلب آيات القرآن الكريم، يمكن للصحفي البارع أن يستفيد منها في الوصول الى كتابة عناوين جذابة لمادته الصحفية حتى تأتي متميزة عن العناوين التي يقدمها غيره... وسنسير في هذه الآيات وفقا لتسلسلها في السورة الواحدة وترتيب السورة نفسها في المصحف الشريف، ليصبح من اليسير الرجوع اليها في مكانها من المصحف عند الحاجة..

- ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ .... (سورة البقرة الآية ٧)
- ﴿وما يخدعون الا أنفسهم﴾ .... (سورة البقرة الآية ٩)
- ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ .. (سورة البقرة الآية ٤٢)
- ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ .... (سورة البقرة الآية ٤٤)
- ﴿واستعينوا بالصبر...﴾ ..... (سورة البقرة الآية ٤٥)
- ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ .... (سورة البقرة الآية ١٢٠)
- ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٨)
- ﴿انا لله وانا اليه راجعون﴾ (سورة البقرة الآية ١٥٦)

- ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ ......

(سورة البقرة الآية ١٧٨)

- ﴿ولكم في القصاص حياة...﴾ (سورة البقرة الآية ١٧٩)

- ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ .....

(سورة البقرة الآية ١٨٣)

- ﴿وقاتلوا في سبيل الله...﴾ .. (سورة البقرة الآية ١٩٠)

- ﴿والفتنة أشد من القتل..﴾ . (سورة البقرة الآية ١٩١)

- ﴿وأنفقوا في سبيل الله..﴾ .. (سورة البقرة الآية ١٩٥)

- ﴿.. وهو. ألد الخصام﴾ .... (سورة البقرة الآية ٢٠٤)

- ﴿واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها..﴾

(سورة البقرة الآية ٢٠٥)

- ﴿ألا ان نصر الله قريب﴾ ....(سورة البقرة الآية ٢١٤)

- ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ .. (سورة البقرة الآية ٢١٧)

- ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا..﴾ ......

(سورة البقرة الآية ٢٤٥)

- ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾.......

(سورة البقرة الآية ٢٤٩)

- ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وأنصرنا..﴾...

(سورة البقرة الآية ٢٥٨)

- ﴿فبهت الذي كفر..﴾ ...... (سورة البقرة الآية ٢٥٨)
- ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾

(سورة البقرة الآية ٢٧٦)

- ﴿فاذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ ....

(سورة البقرة الآية ٢٧٩)

- ﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾ ....

(سورة آل عمران الآية ٧١)

- ﴿قل ان الهدى هدى الله..﴾ ....

(سورة آل عمران الآية ٧٣)

- ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ ......

(سورة آل عمران الآية ٧٥)

- ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ ......

(سورة آل عمران الآية ٩٧)

- ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ ......

(سورة آل عمران الآية ١٠٣)

- ﴿ولا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ ....

(سورة آل عمران الآية ١١٨)

- ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ ......(سورة آل عمران الآية ١١٩)

- ﴿هذا بيان للناس..﴾ ...(سورة آل عمران الآية ١٣٨)
- ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ ......

(سورة آل عمران الآية ١٣٩)

- ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس..﴾ ....

(سورة آل عمران الآية ١٤٠)

- ﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم..﴾ ....
(سورة آل عمران الآية ١٦٠)
- ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾(سورة آل عمران الآية ١٦٩)
- ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (سورة آل عمران الآية ١٨٥)
- ﴿.. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله..﴾
(سورة آل عمران الآية ٢٠٠)
- ﴿الرجال قوامون على النساء..﴾ ....
(سورة النساء الآية ٣٤)
- ﴿.. ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ ....
(سورة النساء الآية ٧٩)
- ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ ......(سورة النساء الآية ٨١)
- ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ ..(سورة المائدة الآية ٢)
- ﴿ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾ ..(سورة المائدة الآية ٥١)
- ﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبدالطاغوت﴾
(سورة المائدة الآية ٦٠)
- ﴿عفا الله عما سلف..﴾ .... (سورة المائدة الآية ٩٥)
- ﴿.. حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ ....
(سورة الأعراف الآية ٤٠)
- ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها﴾ ....
(سورة الأعراف الآية ٥٦)
- ﴿.. والذي خبث لا يخرج الا نكدا﴾ ....
(سورة الأعراف الآية ٥٨)

- ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله﴾
(سورة الأعراف الآية ٨٦)
- ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ ....
(سورة الأعراف الآية ٨٩)
- ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾
(سورة الأنفال الآية ٦٠)
- ﴿وقل اعملوا...﴾ .... (سورة التوبة الآية ١٠٥)
- ﴿الآن حصحص الحق﴾ ...... (سورة يوسف الآية ٥١)
- ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ .... (سورة يوسف الآية ٧٦)
- ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ .....
(سورة الرعد الآية ١٦)
- ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ ...(سورة الرعد الآية ١٧)
- ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ ...... (سورة الرعد الآية ٢٤)
- ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾ ....
(سورة الرعد الآية ٤٣)
- ﴿ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ ......
(سورة ابراهيم الآية ٢٧)
- ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا﴾ .....
(سورة ابراهيم الآية ٤٥)
- ﴿... وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ ......
(سورة ابراهيم الآية ٤٥)
- ﴿ان الله عزيز ذو انتقام﴾ ....(سورة ابراهيم الآية ٤٧)

- ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾ ....

(سورة ابراهيم الآية ٥٢)

- ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان﴾ ....

(سورة النحل الآية ٩٠)

- ﴿وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم﴾ ....

(سورة النحل الآية ٩١)

- ﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة﴾ ....

(سورة النحل الآية ١٢٥)

- ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ..(سورة النحل الآية ١٢٥)

- ﴿.. كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ ....

(سورة الاسراء الآية ١٤)

- وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا﴾ ....

(سورة الاسراء الآية ٣٤)

- ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ ......

(سورة الاسراء الآية ٨١)

- ﴿كل يعمل على شاكلته﴾ .....(سورة الاسراء الآية ٨٤)

- ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ ... (سورة طه الآية ٤٧)

- ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذبا﴾ ....(سورة طه الآية ٦١)

- ﴿ان في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ ....

(سورة طه الآية ١٢٨)

- ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾ ....

(سورة الأنبياء الآية ١٨)

- ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ ......
(سورة الأنبياء. الآية ١١٢)
- ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ ...... (سورة الحج الآية ٢٧)
- ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا..﴾ ......
(سورة الحج الآية.٣٨)
- ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده..﴾ ....
(سورة الحج الآية ٧٨)
- ﴿ان هم الا كالأنعام بل هم أضل﴾ ....
(سورة الفرقان الآية ٤٤)
- ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾
(سورة الشعراء الآية ٢٢٧)
- ﴿انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ ....
(سورة الكهف الآية ١٣)
- ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ (سورة القصص الآية ٧٩)
- ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ (سورة القصص الآية ٨١)
- ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ..(سورة العنكبوت الآية ٥٧)
- ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ (سورة الروم الآية ٤)
- ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ ...(سورة الروم الآية ٦)
- ﴿فاصبر ان وعد الله حق﴾ ....(سورة الروم الآية ٦٠)
- ﴿وان جندنا لهم المنصورون﴾ ....
(سورة الصافات الآية ١٧٣)

- ﴿فساء صباح المنذرين﴾ ....(سورة الصافات الآية ١٧٧)
- ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾
(سورة الزمر الآية ٩)
- ﴿قال فرعون ما أريكم الا ما أرى﴾ ......
(سورة غافر الآية ٢٩)
- ﴿.. وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾ ......
(سورة غافر الآية ٢٩)
- ﴿.. وأفوض أمري الى الله﴾ ...(سورة غافر الآية ٤٤)
- ﴿فاستخف قومه فأطاعوه...﴾ ....
(سورة الزخرف الآية ٥٤)
- ﴿أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون﴾
(سورة المجادلة الآية ٢٢)
- ﴿ويؤثرون على أنفسهم...﴾ ....(سورة الحشر الآية ٩)
- ﴿... تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ ....
(سورة الحشر الآية ١٤)
- ﴿ختامه مسك..﴾ .... (سورة المطففين الآية ٢٦)
- ﴿فذكر انما أنت مذكر﴾ (سورة الغاشية الآية ٢١)

كانت تلك آيات قرآنية أو أجزاء من آيات قرآنية.. وكلها كما رأينا تصلح لأن تكون نصوصا لعناوين مناسبة تماما لشتى المناسبات والمواقف والأحداث دينية أو سياسية أو اقتصادية واجتماعية أو علمية الى غير ذلك.. كما يمكن أيضا ان تكون بمثابة معالم يستقي منها الصحفي فكرة عنوانه،

فيصيغ عنوانا بعضه من الآية وبعضه الآخر من أسلوبه الخاص، أو أن يكون كله من أسلوبه الذي يحمل فكرة الآية نفسها أو جزء منها.. وحتى نكون عمليين، وتأييدا لما ذهبنا اليه نقدم فيما يلي نماذج لعناوين نشرت بالفعل في صحف ومجلات منوعة..

ثالثا: عناوين نشرت بالصحف والمجلات مستمدة من الآيات القرآنية:

ونوضح أن نماذج العناوين التي نشرت بالصحف والمجلات في هذا الصدد كثيرة جدا تطالعنا بها الصحف والمجلات بين الحين والحين.. وقد اخترنا بعض النماذج من الصحف والمجلات المتاحة لنا، لتكون مؤشرا يوضح امكان الاستفادة من آيات الكتاب الكريم في صياغة عناوين مناسبة للمادة الصحفية.. وسنقدم تلك النماذج مصنفة على أربعة أنواع: عناوين عبارة عن نصوص لآيات قرآنية كاملة.. وعناوين عبارة عن أجزاء من آيات قرآنية.. وعناوين استخدم في صياغتها جزء من آية قرآنية مع جزء آخر من صياغة الكاتب وبأسلوبه.. وعناوين تم استقاء فكرتها من معنى آية قرآنية وتم صياغتها بأسلوب الكاتب وذلك على النحو التالي:

(١) عناوين عبارة عن نصوص لآيات قرآنية كاملة:

- ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾

(سورة الجن الآية ١٨).

- ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ (سورة التوبة الآية ١٨).

الآيتان كانتا عبارة عن عنوانين لموضوع في (مجلة الأزهر[٤٢]) حول رسالة المسجد، والدور الهام الذي قام به في حياة المسلمين الروحية، والسياسية والاجتماعية، على عكس ما يظن الكثيرون أن دور المساجد مقصور على أداء الصلوات فيها فقط.

- ﴿ومـا خلقـت الجن والانس الا ليعبـدون﴾ (سورة الذاريات الآية ٥٦).

عنوان لموضوع في (مجلة الأزهر[٤٣]) حول كلمة الخلق والعبادة في ضوء القرآن الكريم.

- ﴿ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (سورة الملك الآية ١٢).

عنوان لموضوع في (مجلـة الأزهر[٤٤]) حول الايمـان بالغيب.. وهذا العنوان كان ضمن عناوين أخرى في الموضوع من غير آيات القرآن الكريم.

- ﴿ولقـد نصركم الله ببـدر وأنتم أذلـة فـاتقوا الله لعلـكم تشكرون﴾ (سورة آل عمران الآية ١٢٣)

عنوان لموضوع في (مجلة الأزهر[٤٥]) بمناسبة ذكرى غزوة بدر الكبرى.

- ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٩)

---

(٤٢) العدد الصادر في جادى الأولى ١٤٠٢ هـ (فبراير ١٩٨٢ م) ص٦٩٣.
(٤٣) العدد الصادر في جادى الآخرة ١٤٠٢ هـ (مارس ١٩٨٢ م) ص٨٢٣.
(٤٤) العدد الصادر في رجب ١٤٠٢ هـ (مايو ١٩٨٢ م) ص١٠١٧.
(٤٥) العدد الصادر في رمضان ١٤٠٢ هـ (يوليه ١٩٨٢ م) ص١٢٣٠.

عنوان لموضوع في (مجلة الدعوة[٤٦]) المصرية حول التأسي برسول الله ﷺ، والصحابة والتابعين، ممن أوذوا في سبيل الله وعذبوا وقتلوا، وبمن وضعت المناشير على أعناقهم ليقولوا كلمة الكفر، فقالوا: لا اله الا الله.

- ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾
(سورة آل عمران الآية ١٣٨)

عنوان لموضوع في (مجلة الرسالة[٤٧]) المصرية، حول ما يقاسيه العالم من ألوان الشرور، والمفاسد، والآلام، والمتاعب لانسياق الناس في حياتهم مع نظم وضعها الانسان، وأملتها عليه الشهوات والنزعات.. فمن نازية الى فاشية، الى شيوعية، الى رأسمالية، الى ديمقراطية، الى اشتراكية الى غير ذلك من ألوان، ما أنزل الله بها من سلطان. ومن شأن هذا أن يفضي بالعالم الى هذا الشر المتعاظم.. وأكد الموضوع أن طريق الخلاص يتمثل في اتباع هدي الاسلام، دين الله الذي ارتضاه لعباده ينظمون به حياتهم، ويخرجهم من الظلمات الى النور..

- ﴿اذا جاء نصر الله والفتح﴾ (سورة النصر الآية ١)

عنوان لموضوع في (مجلة الرسالة[٤٨]) تحدث فيه الكاتب عن دور الاستعمار في تمزيق الوطن الاسلامي، الى دويلات تحمل الطابع القومي الهزيل، وما كان يخرج من بغاث هزيل، للتحذير من دعوة الاسلام، ومن راية الاسلام.

---

(٤٦) العدد الصادر في محرم ١٣٩٩ هـ (ديسمبر ١٩٧٨ م) ص١٨.
(٤٧) العدد الصادر في أول يناير ١٩٥١ م.
(٤٨) العدد الصادر في ٢٥ ذي الحجة ١٣٧٠ هـ (٢٥ ستمبر ١٩٥١ م) ص١٠٧٧.

وهي تعلات لا تخدم أحدا الا المستعمرين والرأسمالية، والشيوعية.. ثم تحدث الكاتب عن الصيحة القوية التي تجاوبت في جوانب العالم الاسلامي في وسط هذا كله، تدعو الى راية الاسلام، وتهتف بالوحدة الاسلامية، وتنادي بالحكم الاسلامي.

- ﴿ان الحكم لواحد﴾ (سورة الصافات الآية ٤)

عنوان لمقال في (مجلة الرسالة[٤٩]) حول تفسير تلك الآية الكريمة.

- ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾

(سورة الذاريات الآية ٢١).

عنوان لكلمة قصيرة في (مجلة المجتمع[٥٠]) الكويتية حول تغذية الانسان بشتى أنواع الأطعمة، ومنها اللحم، وتتساءل الكاتبة كيف أن المعدة التي هي من اللحم، تستطيع أن تهضم اللحم، ولا تهضم نفسها؟.

- ﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (سورة النور الآية ١٩).

عنوان في (مجلة المجتمع[٥١]) الكويتية ضمن عناوين أخرى، لموضوع عن «معارضة الترويح السياحي للأصول التربوية» وفيه يوضح الكاتب أن هذا الاتجاه الافسادي للترويح السياحي في الكويت مخالف لبديهيات أصول التربية

---

(٤٩) العدد الصادر في ٩ رمضان ١٣٧١ هـ (٢ يونيه ١٩٥٢ م) ص٦٠١.

(٥٠) العدد الصادر في ١١ جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ (٨ مايو ١٩٧٩م) ص٤٦.

(٥١) العدد الصادر في ١٦ شعبان ١٣٩٩ هـ (١٠ يوليو ١٩٧٩ م) ص١٠.

في البلاد الحديثة المتحضرة، ولأصول التربية الاسلامية، التي هدانا اليها كتاب الله عز وجل.

- ﴿أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ (سورة المائدة الآية ٥٠).

عنوان لتحقيق صحفي في (مجلة المجتمع[٥٢]) الكويتية، حول المناداة بتطبيق الشريعة الاسلامية، في كل مناحي الحياة، بمناسبة توجيهات أمير الكويت، وولي عهده بتشكيل اللجان في محاولة تعديل قانون العقوبات، وفقا للشريعة الاسلامية.

- ﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾ (سورة اقرأ الآية ٥).

عنوان لموضوع علمي في (مجلة المجتمع[٥٣]) الكويتية حول قانون حفظ المادة والطاقة... الخ.

(٢) عناوين عبارة عن أجزاء من آيات قرآنية:

- ﴿الا تنصروه فقد نصره الله..﴾

(سورة التوبة الآية ٤٠).

عنوان عبارة عن جزء من آية لموضوع نشر في (مجلة الأزهر[٥٤]) بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة وما تجلى فيها من عناية الله تعالى ورعايته، للرسول ﷺ، في كل خطوة من خطواته خلالها.

- ﴿... وتلك الأيام نداولها بين الناس...﴾

(سورة آل عمران الآية ١٤٠).

(٥٢) العدد الصادر في ٥ محرم ١٣٩٩ هـ (٥ ديسمبر ١٩٧٨ م) ص١١.
(٥٣) العدد الصادر في ١٧ محرم ١٣٩٨ هـ (٢٧ ديسمبر ١٩٧٧ م) ص٤٢.
(٥٤) العدد الصادر في محرم ١٤٠٢ هـ (نوفمبر ١٩٨١ م) ص١٠.

عنوان عبارة عن جزء من آية في (مجلة الأزهر[55]) لموضوع حول معنى الآية الكاملة.. وأن للأيام مفاجآت وللزمن تقلبات، والفلك يدور بالناس، والدنيا دول. وتلكم سنة الله في خلقه، وذلكم شأن الدنيا، ونظام الحياة.. شروق وغروب، وعبوس وابتسام، وضحك وبكاء، واقبال وادبار، والله يقلب الليل والنهار وكل أولئك هو الحياة الدنيا، يتداولها الناس يوما بعد يوم، وفريقا بعد فريق.

- ﴿... كما بدأكم تعودون﴾ (سورة الأعراف الآية ٢٩).

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لموضوع نشر في (مجلة الأزهر[56]) حول البعث والنشور، والايمان بحياة أخرى بعد الحياة الدنيا.

- ﴿من حرم زينة الله التي أخرج لعباده...﴾
(سورة الأعراف الآية ٣٢).

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لموضوع في (مجلة الأزهر[57]) حول معنى تلك الآية الكاملة، وفيها نداء من الله تعالى للمؤمنين أن يأخذوا زينتهم من اللباس والرياش، ويتمتعوا بالطيبات من الطعام والشراب دون اسراف ولا تبذير.

- ﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾
(سورة الأنفال الآية ٢).

---

(٥٥) العدد الصادر في صفر ١٤٠٢ هـ (نوفمبر ١٩٨١ م) ص١٨٦.
(٥٦) العدد الصادر في صفر ١٤٠٢ هـ (نوفمبر ١٩٨١ م) ص٢٤٢.
(٥٧) العدد الصادر في جادي الآخرة ١٤٠٢ هـ (مارس ١٩٨٢ م) ص٧٩٢.

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لموضوع في (مجلة الأزهر[٥٨]) حول الايمان الحق ودلائله في المؤمنين به..

- ﴿كم من فئة قليلة...﴾ (سورة البقرة الآية ٢٤٩).

عنوان عبارة عن جزء من الآية الكريمة لموضوع في (مجلة الأزهر[٥٩]) حول (دار ابن لقمان) التاريخية في مدينة المنصورة بمصر، التي أعتقل فيها لويس التاسع ملك فرنسا. بعد هزيمته وأسره يوم ٨ ابريل ١٢٥٠م في المعركة الفاصلة مع جيش المسلمين عند فارسكور خلال الحروب الصليبية المشهورة..

- ﴿وقل الحق من ربكم..﴾ (سورة الكهف الآية ٢٩).

عنوان عبارة عن جزء من آية كريمة لمقال للأستاذ عمر التلمساني في (مجلة الدعوة[٦٠]) المصرية يرد فيه على الرئيس المصري أنور السادات - حينئذ - الذي قال ان النوع الجديد من الاخوان المسلمين يطلق عليه اسم المنظمات الاسلامية، وهذه المنظمات تتسم بالتعصب الشديد..

- ﴿.. تعالوا الى كلمة سواء..﴾(سورة آل عمران الآية ٦٤).

عنوان عبارة عن جزء من آية كريمة لموضوع في (مجلة الدعوة[٦١]) المصرية، حول وضع العراقيل والصعوبات أمام الدعوة الاسلامية، ومقاومتها على مستوى العالم كله، بينما تفتح الأبواب المغلقة أمام الأفكار المستوردة، والمبادىء

---

(٥٨) العدد الصادر في رجب ١٤٠٢هـ (مايو ١٩٨٢م) ص٩٧٠.
(٥٩) العدد الصادر في شوال ١٤٠٢هـ (يوليه ١٩٨٢م) ص١٤٢٢.
(٦٠) العدد الصادر في شعبان ١٤٠٠هـ (يونيو ١٩٨٠م) ص٥.
(٦١) نفس العدد السابق ص٢٣.

المنحرفة، والدعوات الهدامة، وكل غريب خبيث، ويعطى له الأموال، وكل الامكانيات التي تساعده على الهدم والتدمير في العالم الاسلامي.

- ﴿محمد رسول الله والذين معه..﴾ (سورة الفتح الآية ٢٩).

عنوان عبارة عن جزء من آية لموضوع في (مجلة الدعوة[٦٢]) المصرية يتضمن كلمات اشادة وتمجيد في رسول الله ﷺ من (هرقل) قيصر الروم، و(لامارتين) شاعر فرنسا المشهور، و(برناردشو) الكاتب البريطاني المعروف، و(جوته) فيلسوف المانيا، و(ول ديورانت) في كتابه قصة الحضارة.

- ﴿.. ويتفكرون في خلق السماوات والأرض..﴾
(سورة آل عمران الآية ١٩١)

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لموضوع في (مجلة الدعوة[٦٣]) المصرية تعرض فيه الكاتب لبعض ما ورد في القرآن الكريم، من آيات تحض الناس على التفكر والتدبر في خلق الله، وتحثهم على السعي من أجل العلم، واختراق آفاق الكون دراسة وبحثا.

- ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾
(سورة الأحزاب الآية ٢١).

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية، لموضوع في (مجلة الدعوة[٦٤]) المصرية حول أدب المجالس، والحض على

---

(٦٢) العدد الصادر في شعبان ١٣٩٦ هـ (أغسطس ١٩٧٦ م) ص٣٩.
(٦٣) نفس العدد السابق من مجلة الدعوة ص٦٤.
(٦٤) العدد الصادر في شوال ١٣٩٦ هـ (أكتوبر ١٩٧٦ م) ص١٣.

التأسي بأدب المجلس عند رسول الله ﷺ مع جلسائه.

- ﴿... ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا..﴾
(سورة البقرة الآية ١٩٧).

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لموضوع في (مجلة الدعوة[٦٥]) المصرية حول الربا وآثاره السيئة على الاقتصاد وعلى التعامل به بين الناس.. الخ.

- ﴿ومكروا ومكر الله...﴾ (سورة آل عمران الآية ٥٤).

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لكلمة في (مجلة الرسالة[٦٦]) المصرية يعيب فيه الكاتب على الحكومة المصرية، اخلافها للوعود التي قطعتها على نفسها باعطاء الأزهر قسطا من جهودها لاصلاحه وخاصة مساواة أساتذة الأزهر بنظرائهم من أساتذة المعارف.

- ﴿... يوادون من حاد الله...﴾
(سورة المجادلة الآية ٢٢).

عنوان عبارة عن جزء من آية لخبر صغير على عمود في (مجلة المجتمع[٦٧]) الكويتية، أعرب فيه عيزرا وايزمان وزير دفاع العدو عن أمله أن يقوم الكثير من المواطنين «الاسرائيليين» بزيارة مصر، لخلق جو من الود بين الشعبين.

- ﴿فاستخف قومه فأطاعوه..﴾
(سورة الزخرف الآية ٥٤).

---

(٦٥) نفس العدد السابق من مجله الدعوه المصريه.
(٦٦) العدد الصادر في ٢٧ ربيع الآخر ١٣٧٠ هـ (٥ فبراير ١٩٥١ م) ص١٥٣.
(٦٧) العدد الصادر في ٦ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٣ ابريل ١٩٧٩ م) ص٢٧.

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لموضوع في (مجلة المجتمع[٦٨]) الكويتية يدور حول السوء من استخفاف بعض الحكام بشعوبهم وخداعهم والتغرير بهم.. والأسوأ من ذلك أن تستجيب الجماهير الغفيرة من الشعب لهذا الاستخفاف دون تحكيم عقلها وضميرها..

﴿... ان أكرمكم عند الله اتقاكم...﴾

(سورة الحجرات الآية ١٣).

عنوان عبارة عن جزء من الآية الكريمة لموضوع في (مجلة المجتمع[٦٩]) الكويتية ضمن عناوين أخرى ألقى فيه الأضواء الاسلامية التي تكشف زيف مصطلح القومية العربية الذي عرف وانتشر منذ القرن الماضي على أيدي نصارى وقلة من المسلمين زرعهم الصليبيون في بلادنا الاسلامية ليفرقونا شيعا وأحزابا متناحرة.

- ﴿الله.. لا تأخذه سنة ولا نوم﴾

(سورة البقرة الآية ٢٢٥).

عنوان عبارة عن جزء من آية الكرسي، لكلمة منشورة في (مجلة المجتمع[٧٠]) الكويتية تدور حول موضوع الوحدانية، وعن بعض صفات الله.

- ﴿ولله على الناس حج البيت...﴾

(سورة آل عمران الآية ٩٧).

---

(٦٨) العدد الصادر في ٣ رجب ١٣٩٩ هـ (٢٩ مايو ١٩٧٩ م) ص١٩.

(٦٩) العدد الصادر في ١٧ رجب ١٣٩٩ هـ (١٢ يونيو ١٩٧٩ م) ص٢٩.

(٧٠) العدد الصادر في ٢ شعبان ١٣٩٩ هـ (٢٦ يونيو ١٩٧٩ م) ص٤٥.

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لموضوع في (مجلة المجتمع[٧١]) الكويتية، عن الحج بمناسبة موسم الحج.

- ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه...﴾ (سورة الأحزاب الآية ٢٣).

عنوان عبارة عن جزء من الآية القرآنية الكريمة لموضوع نشر في (مجلة المجتمع[٧٢]) الكويتية، حول وفاة المجاهد الاسلامي أبو الأعلى المودودي يوم ١٣٩٩/١٠/٢٠ هـ وجهاده في سبيل الدعوة الاسلامية.

- ﴿... وما تخفي صدورهم أكبر....﴾
(سورة آل عمران الآية ١١٨).

عنوان عبارة عن جزء من الآية القرآنية الكريمة لموضوع في (مجلة المجتمع[٧٣]) الكويتية، حول سعي الأقباط في مصر، الى هدم الشخصية الاسلامية، والدعوة الى الوثنية، والفرعونية. بينما المسلمون ملتزمون بالقاعدة الشرعية ﴿لا اكراه في الدين﴾ فلم يسيئوا لغيرهم.. وصارت الكنائس أوكارا لتخزين السلاح ومراكز تخطيط للسيطرة القبطية في مصر.

- ﴿... ألا في الفتنة سقطوا...﴾
(سورة التوبة الآية ٤٩).

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لموضوع في (مجلة

---

(٧١) العدد الصادر في ١٦ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ (٦ نوفمبر ١٩٧٩ م) ص١٢.
(٧٢) نفس العدد السابق من المجتمع الكويتية.
(٧٣) العدد الصادر في ٥ رجب ١٤٠٠ هـ (٢٠ مايو ١٩٨٠ م) ص٢٤.

المجتمع[٧٤]) الكويتية حول النفاق والمنافقين في الماضي والحاضر، وتنبيه المسلمين لضرورة ادراك هذا الخطر والعمل على احباطه.

- ﴿هذا بلاغ للناس....﴾ (سورة ابراهيم الآية ٥٢).

عنوان عبارة عن جزء من آية قرآنية لعمود في (مجلة المجتمع[٧٥]) الكويتية، لشرح معنى الآية الكاملة..

- ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات...﴾ (سورة الحج الآية ٢٨).

عنوان عبارة عن جزء من الآية الكريمة لموضوع في (مجلة المسلمون[٧٦]) عن الحج بمناسبة موسم الحج.. وهذه المجلة كانت تصدر في جنيف باللغة العربية..

- ﴿كدأب آل فرعون..﴾ (سورة آل عمران الآية ١١).

عنوان عبارة عن جزء من الآية الكريمة، لموضوع في (مجلة المسلمون[٧٧]) تضمن وقائع اغتيال الشهيد حسن البنا عليه رضوان الله، لحظة بلحظة حيث أطلق عليه الرصاص أمام المركز العام لدار الشبان المسلمين في القاهرة في الساعة الثامنة من مساء السبت ١٢ فبراير ١٩٤٩ م ووفاته في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، ولم يعلم أهله بالحادث الا بعد الثامنة صباحا في اليوم التالي، وتشييع جنازته خفية بعد منع المسلمين من الاشتراك فيها بالقوة الطاغية الغاشمة.

---

(٧٤) العدد الصادر في ٢٥ محرم ١٣٩٩ هـ (٢٥ ديسمبر ١٩٧٨ م) ص٣١.

(٧٥) العدد الصادر في ٢ ربيع اول ١٣٩٩ هـ (٣٠ يناير ١٩٧٩ م) ص٤١.

(٧٦) العدد الصادر في ذي القعدة ١٣٨٢ هـ (ابريل ١٩٦٤ م).

(٧٧) العدد الصادر في شوال ١٣٨٤ هـ (فبراير ١٩٦٥ م).

- ﴿.. ولا جدال في الحج﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٧).

عنوان عبارة عن جزء من الآية الكريمة لموضوع منشور في (جريدة الأهرام[٧٨]) المصرية، بمناسبة قرب أداء فريضة الحج، وفيه يؤكد كاتبه أنه لا يجوز للحاج أن يدعو لغير الله في البلد الحرام، أو يتعصب لجنس أو وطن أو مذهب.. وأن وحدة الأمة الاسلامية هي الهدف الأعظم لفريضة الحج..

(٣) عناوين استخدم في صياغتها جزء من آية قرآنية مع جزء آخر من أسلوب الكاتب:

(★) (الخمر وأخواتها رجس من عمل الشيطان).

هذا عنوان لموضوع منشور في (مجلة الأزهر[٧٩]) دار حول حادث قتل أحد الآباء زوجته وأولاده وهو سكران، وتحدث الكاتب عن الخمر والمخدرات مثل الحشيش والأفيون وأخواتها باعتبارها كلها أخوات في الشر والاثم والفساد، فهن يفسدن أحوال الناس وصحتهم وعقولهم.. وطالب بتشديد العقوبات على السكر وتعاطي المخدرات أكثر مما هو موجود حينئذ وواضح أن العنوان قد استخدم فيه الجزء الأول (الخمر وأخواتها) من صياغة الكاتب وبأسلوبه. أما باقي العنوان (رجس من عمل الشيطان) فهو جزء من الآية القرآنية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام **رجس من عمل**

(٧٨) العدد الصادر في ٢٦ أغسطس ١٩٨٣م ص١٣.
(٧٩) العدد الصادر في محرم ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ص٣٣.

الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾

(سورة المائدة الآية ٩٠).

(*) وهذا عنوان آخر من نفس النوع..

- (وماذا عليهم لو منعوا الاختلاط في الجامعة).. لموضوع منشور في (مجلة المجتمع[٨٠]) الكويتية، حول الفساد الذي ينتج عن الاختلاط في الجامعة وآثاره السيئة.. والمطالبة بمنعه والقضاء عليه، تطبيقا لشرع الله، ومبادىء الدين الاسلامي الحنيف.. وواضح أن الكاتب قد استخدم في الجزء الأول من العنوان (وماذا عليهم لو..) جزءا من الآية القرآنية الكريمة ﴿ **وماذا عليهم لو** آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما﴾ (سورة النساء الآية ٣٩).. وكان باقي العنوان (.. منعوا الاختلاط في الجامعة) من أسلوب الكاتب وصياغته. وقد جاء العنوان في صياغة بارعة ويناسب الموضوع تماما وينطبق على ما فيه تماما ويعبر عن المطلوب بصدق، دون خروج عن محتوى الموضوع.

(*) وهذا أيضا نموذج آخر من نفس النوع..

- (كارتر يقول في البيت الأبيض: وان جنحوا للسلم فاجنح لها...)

وهذا العنوان لموضوع منشور في (مجلة المجتمع[٨١]) الكويتية. حيث ذكر الكاتب أن كارتر قد استشهد بتلك الآية في الاحتفال الذي شهده البيت الأبيض عند توقيع

---

(٨٠) العدد الصادر في ٦ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٣ ابريل ١٩٧٩ م) ص١٨.

(٨١) العدد الصادر في ٢٤ رجب ١٣٩٩ هـ (١٩ يونيو ١٩٧٩ م) ص٢٠.

الاتفاقية بين مصر واليهود وتساءل الكاتب: هل كان كارتر يفهم معنى الآية كما وردت في القرآن الكريم أم أنه نطقها كما ينطقها هؤلاء المسلمون دون وعي أو ادراك صحيح لمحتواها.. وقال الكاتب ان الآية كما جاءت في سورة الأنفال سبقتها آيات (٥٥ - ٦١) تناقش موقف المسلمين من الكفار وتؤكد دعوة المسلمين للجنوح الى السلم في حالة جنوح العدو له في ظل جو من الاعداد والقوة من جانب المسلمين.. وبالنسبة لنص العنوان فان الكاتب قد استخدم في شقه الأول عبارة (كارتر يقول في البيت الأبيض) وهي من صياغته.. أما الشق الثاني أو باقي العنوان فهو (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) عبارة عن جزء من الآية القرآنية الكريمة ﴿**وان جنحوا للسلم فاجنح لها** وتوكل على الله انه هو السميع العليم﴾ (سورة الأنفال الآية ٦١).. والعنوان كما رأينا مناسب لمحتوى الموضوع الذي قدمنا خلاصته فيما سبق.

(★) ونموذج آخر لعنوان من نفس النوع..

- (الحركات اللااسلامية في الوطن العربي و«شجرة الزقوم»).. وهو عنوان لموضوع منشور في (مجلة المجتمع[٨٢]) الكويتية. يدور حول دور اليهود والنصارى في تدعيم وخلق الحركات اللااسلامية لتحطيم العالم العربي. وكشف فيه دور تلك الحركات غير الاسلامية العميل المشبوه.. ونرى في هذا العنوان ان الكاتب قد صاغ الشق الأول منه (الحركات اللااسلامية في الوطن العربي) من

---

(٨٢) العدد الصادر في ١٩ رجب ١٤٠٠ هـ (٣ يونيو ١٩٨٠ م) ص١٦.

أسلوبه الخاص.. ثم كان الشق الثاني من العنوان وهو « شجرة الزقوم » عبارة عن جزء من آية قرآنية كريمة هي ﴿أذلك خير نزلا أم **شجرة الزقوم**. انا جعلناها فتنة للظالمين. انها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ (سورة الصافات الآيات ٦١ - ٦٥). وواضح أن العنوان بذلك يكون قد استمد معناه من تلك الشجرة التي هي فتنة للظالمين والتي تخرج من الجحيم وثمرها مثل رؤوس الشياطين..

(★) ونموذج آخر لعنوان من نفس النوع..

- (من هم الذين اذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون؟).

وهو عنوان منشور في (مجلة المجتمع[٨٣]) الكويتية لموضوع حول النفاق والمنافقين في الماضي والحاضر، وتنبيه المسلمين لادراك هذا الخطر والعمل على احباطه.. وواضح ان هذا العنوان قد صاغه الكاتب باستخدام شقه الأول من أسلوبه الشخصي (من هم الذين..) أما الشق الآخر فهو عبارة عن الآية القرآنية ﴿**واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون**﴾ (سورة البقرة الآية ١١) وحتى تستقيم عبارة العنوان حذف حرف (الواو) الذي نراه في بداية الآية القرآنية.. وواضح أيضا أن هذا العنوان استفهامي، وهو يجذب القارىء للبحث عن الاجابة في الموضوع.

---

(٨٣) العدد الصادر في ٢٥ محرم ١٣٩٩ هـ (٢٥ ديسمبر ١٩٧٨ م) ص٣١.

(٭) وهذا نموذج لعنوان آخر من نفس النوع..
- (لماذا لا يحكم بما أنزل الله؟).
﴿أليس الله بأحكم الحاكمين؟﴾ (سورة التين الآية ٨).

وقد استخدم الكاتب السطر الأول عبارة من صياغته، وان كانت أيضا استمدت معناها من القرآن الكريم.. أما السطر الثاني المكمل للعنوان فهو عبارة عن آية قرآنية.. وهذا العنوان لموضوع نشر في (مجلة المجتمع[٨٤]) الكويتية يتحدث حول تحديد موقف الحاكمين بغير ما أنزل الله، والمتحكمين الى غير ما أنزل الله.

(٤) عناوين تم استقاء فكرتها من آية قرآنية وتم صياغتها بأسلوب الكاتب:

وهذا هو الصنف الرابع من العناوين الصحفية الجيدة، التي نشرت في بعض الصحف والمجلات لموضوعات في مجالات شتى، وهذا الصنف يعتمد على أخذ فكرته من آية قرآنية مناسبة للموضوع وما يتناوله، وبدلا من جعل نص الآية القرآنية عنوانا، صاغها بأسلوبه وعدل في ألفاظها لتؤدي الهدف المطلوب وفيما يلي بعض نماذج لتلك العناوين.

(٭) (يا أسفا على أبي حسان).. عنوان لكلمة منشورة في (مجلة المسلمون[٨٥]) في رثاء الداعية الاسلامي السوري المعروف مصطفى السباعي بمناسبة وفاته. والعنوان كما نرى من صياغة الكاتب وبأسلوبه الخاص لكنه واضح أنه استقى

(٨٤) العدد الصادر في ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ (٣٠ مايو ١٩٧٨ م) ص٢٨.
(٨٥) العدد الصادر في رجب ١٣٨٤ هـ (نوفمبر ١٩٦٤ م).

فكرته من الآية القرآنية التي أجراها الله سبحانه وتعالى على لسان يعقوب عليه السلام ﴿**وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف** وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف الآية ٨٤) فالعنوان أخذ من جزء الآية ﴿يا أسفي على يوسف﴾ وكتب (أبي حسان) بدلا من (يوسف) وهي صياغة جيدة لعنوان مناسب للمادة التي يتناولها..

(★) وهذا عنوان مماثل للعنوان السابق، وفي موقف مشابه تماما، وان كان الكاتب قد استمد فكرته من آية قرآنية أخرى.. العنوان يقول (واحسرتا على عزيز) وهو لكلمة رثاء منشورة في (مجلة الرسالة[٨٦]) المصرية ينعي فيها الكاتب وفاة عزيز فهمي.. وتلك الآية القرآنية التي استقى منها هذا العنوان هي قوله تعالى: ﴿أن تقول **نفس يا حسرتي على** ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين﴾ (سورة الزمر الآية ٥٦) فقد أخذ جزء الآية (يا حسرتي على) وقلب الياء الى واو وعدل من الصياغة لتتفق مع كلمته الرثائية.

(★) ونموذج آخر لعنوان من نفس النوع.. العنوان يقول:

- (الجمل اليهودي وسم الخياط) وهو عنوان لموضوع منشور في (مجلة الرسالة[٨٧]) المصرية. وهذا العنوان مشتق من الآية القرآنية الكريمة ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج **الجمل في سم الخياط** وكذلك نجزي المجرمين﴾ (سورة

(٨٦) العدد الصادر في ١٨ شعبان ١٨٧١ هـ (١٢ مايو ١٩٥٢ م) ص١٧.

(٨٧) العدد الصادر في ١٥ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ (١١ فبراير ١٩٥٢ م) ص١٥٧.

الأعراف الآية ٤٠) والعنوان الذي اشتق من جزء الآية ﴿الجمل في سم الخياط﴾ هو لموضوع يدور حول مذابح اليهود في فلسطين، ومصادرة أملاك العرب هناك لكي يحملوهم على ترك ديارهم.. الى جانب ارهابهم خارج اسرائيل عن طريق جواسيسهم الذين يتآمرون على سلامة الدول العربية. وأهاب الموضوع بالضمير الانساني أن يثور على اليهودية العالمية وعلى طغيانها في هذا العصر، ليخلصوا العالم من شرها.

(★) وهذا نموذج آخر لعنوان من نفس النوع. العنوان هو (عبرة.. ولكن لمن يعتبر) وهو منشور في (مجلة المجتمع[٨٨]) الكويتية، وقد اشتقه الكاتب من جزء من آية قرآنية ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ (سورة الحشر الآية ٢).

(★) عنوان آخر من نفس النوع.. يقول العنوان بالنص.. (الصحوة الاسلامية: هل تؤتي أكلها في المستقبل القريب؟) وهذا العنوان لموضوع منشور في (مجلة المجتمع[٨٩]) الكويتية، وقد استقى الكاتب فكرة هذا العنوان من جزء من آية قرآنية كريمة هي قوله تعالى: ﴿**تؤتي أكلها** كل حين باذن ربها...﴾ (سورة ابراهيم الآية ٢٥) والعبارة التي أخذها ضمن العنوان هي (تؤتي أكلها)..

(★) وهذا نموذج لعنوان من نفس النوع أيضا..
(حب المال شهوة من الشهوات المتأصلة في نفس كل انسان)... وهذا العنوان ضمن عناوين أخرى لموضوع في

---

(٨٨) العدد الصادر في ٦ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٣ ابريل ١٩٧٩ م) ص ٣٤.
(٨٩) العدد الصادر في ٥ محرم ١٣٩٩ هـ (٥ ديسمبر ١٩٧٨ م) ص ٢١.

(مجلة المجتمع[٩٠]) الكويتية حول المال واستثماره المشروع، والتنظيم الاقتصادي والمالي في الاسلام، ومن أبرز مبادئه مبدأ الكسب الحلال الطيب الخالي من الربا ومن كل محظورات شرعية. وهذا العنوان استمده الكاتب من معنى الآية القرآنية الكريمة ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤).

(*) وهذا نموذج أخير لعنوان من نفس النوع والعنوان هو.. (يا حكام المسلمين انصروا الله ينصركم) وهو لموضوع منشور في (مجلة المجتمع[٩١]) الكويتية، وفكرته مستمدة من الآية القرآنية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد الآية ٧) ففي الآية يقول تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا) والكاتب يقول (يا حكام المسلمين) وجزء الآية الآخر (ان تنصروا الله ينصركم) يقابله في العنوان عبارة (انصروا الله ينصركم)..

* * *

نخلص مما سبق في هذا الفصل، الى تأكيد أن الكاتب الصحفي البارع، يستطيع بكل سهولة ويسر، أن يجد لمادته الصحفية البناءة، عناوين شيقة تجذب القارئ وتشجعه على القراءة، هذه العناوين يستمدها من كتاب الله العزيز، لو عاش في صحبته الطيبة المباركة، وتفيأ ظلاله الوارفة.. فقد رأينا الالهام السماوي لرسول الله ﷺ، في

(٩٠) العدد الصادر في ٩ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (٦ فبراير ١٩٧٩ م) ص٢٢.

(٩١) العدد الصادر في ١٢ شوال ١٣٩٨ هـ (١٠ سبتمبر ١٩٧٨ م).

اختيار أسماء السور (أو عناوينها ان صح التعبير) والتي تعبر بدقة وتنطبق تمام الانطباق على مضمون سورها.. وقدمنا أيضا العشرات من الآيات القرآنية أو أجزاء الآيات التي يمكن الاستفادة منها في عناوين تكون أكثر من ممتازة لمادة صحفية متنوعة في شتى المجالات. وتأكيدا لصحة ذلك قدمنا العديد من نماذج العناوين التي نشرت بالفعل في صحف ومجلات.. وكان بعض تلك العناوين عبارة عن نصوص لآيات قرآنية كاملة... وبعضها الآخر عبارة عن أجزاء من آيات قرآنية.. وبعضها كانت تجمع في صياغتها ببراعة بين نصوص من آيات قرآنية أو أجزاء منها وبين صياغة من أسلوب الكاتب الشخصي.. ونوع رابع من العناوين وجدناها قد استمدت أفكارها من معنى آيات قرآنية أو أجزائها مع صياغة فنية رائعة بأسلوب الكاتب.. وكل تلك العناوين كانت بارعة شيقة جذابة تؤدي الغرض منها من أقصر طريق.. فكل آية في كتاب الله، يمكن أن يستمد منها الصحفي فكرة تدعمه وتعينه على أداء رسالته السامية اذا كان رجلا ملتزما بهدي السماء، وشريعة الاسلام السمحة.. حتى (فن الكاريكاتور) نجد له معالم قرآنية عديدة مبثوثة في كتاب الله تعالى.. وهذا ما سنتناوله ان شاء الله في الفصل التالي.

* * * *

الفصل الثامن

الكاريكاتور البناء

CONSTRUCTIVE CARICATURE

الكاريكاتور كلمة معربة عن أصل ايطالي، تطلق على صورة مرسومة لشخص، أو مجموعة أشخاص، أو لمشهد من المشاهد، أو مثالب ونقائص، وأخلاق وعادات وتقاليد مرذولة، وغيرها من الأعراض السيئة، التي تشيع في مجتمع من المجتمعات. وهذه الصورة الكاريكاتورية مرسومة بطريقة تقوم على أساس عنصر التجسيم للعيوب والنقائص، ومسخ الصورة لتستثير السخرية، والتندر، والتهكم، والاستهزاء والاستهانة والتحقير، بل والاضحاك أيضا[1].

والدافع الأساسي لذلك قد يكون هجوما موجها للأعداء، للنيل منهم وتحطيم معنوياتهم، أو للنقد والاصلاح الاجتماعي، حيث يعتبر ذلك أقوى سلاح اجتماعي، تحافظ به الجماعة على كيانها، ومقوماتها المختلفة، وذلك عندما يسلط سلاح الكاريكاتور على الخارجين على هذا الكيان، أو هذه المقومات المختلفة. وهذا وان كان في ظاهره يعالج أمرا شخصيا، فانما القصد الحقيقي منه جعل هذا الفرد أو الأمر الشخصي نموذجا لظاهرة عامة، أو شائعة في المجتمع، بهدف القضاء عليها، ومن أمثلة ذلك تصوير شخصيات: البخيل، أو المتكبر، أو المنافق. فان الصورة الكاريكاتورية وان كانت قد تقمصت ظاهرة شخصية معينة، الا أن الشخصية ليست الهدف، وانما الهدف هو النعي على البخل، أو

---

(١) أحمد عطية الله - دائرة المعارف الحديثة (القاهرة ١٩٥٢م) ص٥٢٦ وكذلك المدخل في فن التحرير الصحفي (عبداللطيف حمزة) مصدر سابق ص١٣٧.

التكبر، أو النفاق، باعتباره سلوكا بارزا في مجتمع ما[٢].

والقرآن الكريم يحتوي على كثير من المعالم القرآنية في مجال الكاريكاتور.. وقد ينظر البعض الى ذلك على أنه لا يتفق مع جلال القرآن الكريم وهو كلام الله سبحانه وتعالى.. ولكن هؤلاء البعض يغفلون حقيقة هامة، وهي أن من أهداف القرآن الكريم واعتباراته، أنه يعتبر الناطق بلسان المسلمين، والمدافع عنهم، والمهاجم لأعدائهم.. ومن هنا فليس هناك اختلاف بين عداء القرآن الكريم، وعداء المسلمين لأعداء العقيدة الاسلامية، لأن القرآن الكريم يعتبر ممثلا للمسلمين فيما يتعلق بالاسلام بوصفه عقيدة وشريعة.. والقرآن الكريم وهو يسوق بعض الصور الكاريكاتورية والساخرة، انما يحشد سلاحا هاما من أسلحته وطاقاته ليعزز مركز المسلمين ويقوي من عزيمتهم في صراعهم الرهيب مع الأعداء، ويدفعهم الى النصر، وفي الوقت نفسه يحطم مركز أعداء الاسلام ويدفع بهم الى الهزيمة، أو الشعور بها، أو توقعها.. ومعروف أن أعداء الاسلام قد اتخذوا من السخرية سلاحا نفسيا رهيبا ليحطموا به عزم المسلمين، ويزعزعوا من ثقتهم في أنفسهم وكيانهم وعقيدتهم. ولكن القرآن الكريم يتصدى لهم بسخرية أبلغ وقعا، وأشد تحطيما، وأنفذ سهما[٣].

فالسخرية التي تظهر بوضوح في الرسوم الكاريكاتورية، تؤدي دورين هامين لصالح الساخر وحزبه، أحدهما تقوية الروح المعنوية في صفهم، من حيث أنها تنبع من الشعور بالتفوق، والانتصار، وتعيد الثقة الى النفوس. والآخر هو أن السخرية تضعف الروح المعنوية في الذين

---

(٢) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم خفي) مصدر سابق ص١٥ و١٧ و١٩.

(٣) نفس المصدر السابق ص١١ و١٢.

توجه اليهم، وذلك لأن السخرية تعمد الى قوة التصوير، وابراز نقائص المتهكم بهم وعيوبهم، وتجسيم هذه العيوب بصورة واضحة. وهذا يجعل الساخرين يشعرون بالتفوق والانتصار، وأنهم أرفع من المتهكم بهم وأقوى. ويجعلهم يحتقرون أعــداءهم ويزدرونهم، ولا يعقــل صــدور الاحتقار والازدراء الا من الأقوى والأعز، بدليل أن القوي قد يكون له خصم مكافيء، فلا يستطيع أن يسخر منه، وحتى مجرد تفوقه أو انتصاره عليه، لا يتيح له السخرية منه، اذا كان يشعر أنه ما زال قويا، وما زال يستطيع الصمود والمقاومة. وانما تتاح له السخرية منه اذا شعر بأن شوكته تحطمت، وأنه لم يعد الخصم القوي الذي يشغل نفسه، ويثير اهتمامه[٤].

وقبل أن نقدم بعض المعالم القرآنية في مجال الكاريكاتور الساخر التهكمي. يهمنا أن نقرر حقيقة هامة، نؤمن بها أشد الايمان، وهي أن السخريـة والاستهزاء والاستهانـة والتحقـير والتنبيـه عـلى العيوب والنقائص الى آخر ما يعبر عنه بالرسم الكاريكاتوري محرم[٥] شرعا لا شك في ذلك. ولكن هذا التحريم يقتصر فقط على ما بين المؤمنين وبعضهم البعض، وفي المجتمع الفاضل الذي يقيمه الاسلام بهدى القرآن الكريم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾.

(سورة الحجرات آية ١١)

---

(٤) نفس المصدر السابق ص٢٠ و٢١ و٢٤.

(٥) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - احياء علوم الدين - (دمشق بدون تاريخ) جـ٣ ص١١٣ و١١٤.

فالله سبحانه وتعالى نادانا بوصف الايمان لينهانا عن السخرية وغيرها، ليشعرنا بأن ما يدعونا اليه من ارشاد هو مقتضى الايمان الصحيح، فان المجتمع الفاضل الذي يقيمه الاسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع. فلا تهزأ جماعة بجماعة، ولا يسخر أحد من أحد. فقد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر. ولا يسخر نساء من نساء فعسى أن تكون المحتقر منها خيرا عند الله وأفضل من الساخرة. وفوق ذلك يستجيش القرآن عاطفة الاخوة الايمانية ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة، وكأن من لمز غيره وعابه فكأنما لمز نفسه، كذلك فمن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به، ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا. وقد بدأ الله تعالى بالأهم حيث نهانا عن السخرية التي هي داء له دواع كثيرة، منها حب التظرف، والرغبة في جلب السرور على الحاضرين. ومنها الحسد الكامن والداء الباطن. ثم ثنى باللمز لما فيه من الخفاء والاشارة، وصاحبه قد يستخف به، ثم ختم هذه الارشادات بالتنابز بالألقاب لأنه أخفها، فقد يكون اللقب المكروه مما يتسامح فيه صاحبه اذا شاع وذاع[٦].

وواضح اذن أن السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب - وكلها مما يمكن التعبير عنه بالرسم الكاريكاتوري - قد قررت الآية القرآنية نهي الله تعالى للمؤمنين عن اتيان ذلك، وبالتالي يكون التعبير عنه بالرسم الكاريكاتوري منهي عنه أيضا ومحرم. ولكن ذلك النهي والتحريم؛ يقتصر فقط - كما سبق ذكره - على ما بين المؤمنين وبعضهم البعض؛ وفي المجتمع الفاضل الذي يقيمه الاسلام بهدى القرآن. ومعنى ذلك أن النهي ليس مطلقا، حيث أن سخرية القرآن الكريم لم تستهدف أعداء

(٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٢٦ ص٣٣٤٤ وكذلك التفسير الواضح مصدر سابق جـ٢٦ ص٦٢ - ٦٣ وأيضا صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٦ ص٢٣٥.

الاسلام من غير المسلمين فقط، وانما استهدفت كذلك كل مصدر يمكن أن يسيء الى مبادىء الاسلام، ولو كان المصدر نابعا من صفوف المسلمين أنفسهم، في صورة عادات، وتقاليد، أو خلق لا تقره مبادىء الدين الحنيف. فكل هذه الأشياء يراها الاسلام ظلمات تكتنف حياة الناس، وعوائق في طريقهم الى الخير. فهو يريد أن يبدلها نورا، ويمهد لهم هذا الطريق من أجل الاصلاح العام، والهداية الشاملة للبشرية كلها(٧).

والقرآن الكريم، وهو في سبيل الوصول الى هذا الاصلاح، وتلك الهداية، يستخدم التصوير، وهو الأداة المفضلة في أسلوبه - كما يقول الشهيد سيد قطب(٨) عليه رحمة الله - فالقرآن الكريم يعبر بالصورة المحسة المتخيلة، عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الانساني، والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشخاصة، أو الحركة المتجددة، فاذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، واذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، واذا النموذج الانساني شاخص حي، واذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.. .. فاذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني، والحالة النفسية، وتشخيص النموذج الانساني أو الحادث المروي، انما هي ألفاظ جامدة، لا ألوان تصور، ولا شخوص تعبر، أدركنا بعض أسرار الاعجاز القرآني.

والآن نأخذ في تقديم بعض المعالم القرآنية في مجال الكاريكاتور، وهي كما قلنا كثيرة، وقد شملت كل المجالات، سواء بالنسبة لأعداء الاسلام والمسلمين، أو بالنسبة لمحاربة العادات والتقاليد البالية التي

---

(٧) أسلوب السخرية في القرآن (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص٢٧ - ٢٨.
(٨) التصوير الفني في القرآن، مصدر سابق، ص٣٤.

كانت تسود في المجتمع الجاهلي، أو العيوب التي كانت تبرز في الجبهة الداخلية للمسلمين.. الخ.

وبالنسبة لأعداء الاسلام والمسلمين، فقد كان أشد ما يقض مضاجعهم، ويثير ثائرتهم، أن القرآن الكريم، وخاصة في الآيات والسور التي نزلت في مكة المكرمة، كانت تبرز فيها عناصر السخرية والاستهانة بهم، والاستهزاء بزعمائهم وعقيدتهم الفاسدة المنحرفة. فكان يجن جنون المشركين حين يقسون على المسلمين، حتى يخيل اليهم أنهم بلغوا منهم ما يريدون أو كادوا، فاذا هم يجدون هؤلاء الضعفاء القلة، يقولون كلاما لا يدل على ضعف، وانما يفيض بالعزة والأمل المستحكم في النصر والغلبة، بل يسخرون من الأعداء، ويبلغون منهم في هذه السخرية مبلغا عظيما. فالساخر بطبيعته لا يكون هو الضعيف، بل لا بد أن يكون هو الأقوى والأعز، ويملك زمام الموقف، ويثق بالنصر[٩].

والقرآن الكريم حين يتجه في سخريته وتهكمه وازدرائه، نحو أفراد بعينهم من أشد أعداء الاسلام والمسلمين، لم يكن يعاديهم لمجرد العداء، وانما لكي يقي الاسلام شرهم، ويدعوهم وغيرهم الى الهدى والرشاد، وكان القرآن ينال منهم نيلا عظيما.

★ ★ ★

أبو لهب وزوجه:

ومما يدل على ما للقرآن وسخريته التصويرية، من أثر في نفوس أعداء الاسلام والمسلمين، قصة (أم جميل) أخت أبي سفيان، وزوج أبي لهب وهو (عبد العزى بن عبد المطلب) عم النبي ﷺ. وكان كل منهما شديد العداوة للرسول ﷺ، ومن ألد أعداء الاسلام وأكثرهم خطورة.. وقد نزل فيهما قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبى لهب وتب ★ ما أغنى عنه

(٩) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص٥٤.

ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب● وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾ (سورة المسد). فلما سمعت أم جميل ما نزل في زوجها وفيها، كادت تفقد صوابها ورشدها، وأتت رسول الله ﷺ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وفي يدها قطعة من الحجارة. فلما دنت من الرسول ﷺ، أخذ الله بصرها عنه، فلم تر الا أبا بكر. فقالت: يا أبا بكر، بلغني أن صاحبك يهجوني، فوالله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه.. ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: «ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني[١٠]».

فما كان أحوج الاسلام الى من ينحي من طريقه هذه العقبات الصلبة التي تصد الناس عنه. وقد تكفل القرآن الكريم بهذه المهمة، فعمد الى الطاغية الكبير عبد العزى، ووصمه بكنية بشعة، أصبحت مقترنة به في ذهن كل من يذكره أو يراه. وأصبحوا يبتسمون فيما بينهم وبين أنفسهم، وفيما بينهم وبين بعضهم بعضا، لأنهم لا يرون أمامهم طاغية، ولا جبارا، وانما شخصا يحمل اسما طريفا لم يسمعوا بمثله. هذا الاسم يكسوه لهبا ونارا.. وأما زوج أبي لهب، فاننا يمكن أن نتصور مبلغ سخرية القرآن من امرأة في ذروة المجد والشرف، ثم هي أنثى ككل امرأة يعنيها قبل كل شيء صورتها، ومظهرها في نفوس الناس، وقلوبهم، واذا هي تجد من يمحو عزها وشرفها، ويقبح صورتها، ويرسم لها صورة (كاريكاتورية) ساخرة، حتى يجعلها مجرد حمالة للحطب، بل أكثر من ذلك يرسم لها صورة مضحكة، وهو منظر امرأة مربوطة بحبل من ليف في عنقها، كما تربط أي دابة.. وأي أنثى، وخاصة اذا كانت في منزلة أم جميل، تتمنى أن يطويها الثرى قبل أن يتمثلها الناس في

---

(١٠) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٣٠ ص٦١٨ وكذلك أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص٥٤ وص١٢٧ - ١٢٨.

هذه الصورة الكاريكاتورية الساخرة. وفي رسم منظرها بالحبل في جيدها، قد يكون اشارة الى أنها لا تعدو في تفكيرها وسلوكها نحو الدين، أن تكون دابة كأي دابة تقاد بحبل من جيدها، فليس تفكيرها هو الذي يقودها، وانما هي مشدودة الى عادات وتقاليد جاهلة، ومقودة أيضا بهذه العادات، وذلك كما وصف القرآن غيرها من المشركين بأنهم كالانعام بل هم أضل سبيلا[11].

* * *

الوليد بن المغيرة:

صورة (كاريكاتورية) ساخرة أخرى، يرسمها القرآن الكريم لعدو آخر من ألد أعداء الاسلام والمسلمين، بلغ من السيادة والمجد في قومه مرتبة لم يبلغها زعيم آخر حيئنذ، وهو (الوليد بن المغيرة المخزومي) الذي استخدم كل ما يملك من السيادة والمجد، والقوة والسلطان، والذكاء وبسط النفوذ، في حربه للاسلام والمسلمين.. هذه الصورة (الكاريكاتورية) الساخرة تتمثل في كلمات قليلة وعبارة موجزة معبرة في قوله تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ (سورة القلم آية ١٦) فهذا الشخص الذي يملأ قلوب أتباعه اعجابا واكبارا، تمسخ سخرية القرآن الكريم مظهره، وتضع مكانه صورة (كاريكاتورية) ساخرة، نرى فيها الوليد ابن المغيرة، وقد شوه منه أبرز موضع في أكرم عضو من الانسان، فهو أشبه بحيوان ذي خرطوم، وقد وسم خرطومه بعلامة بشعة منفرة، تشوه مظهره، وتثير الضحك والسخرية منه.. ومن معاني الخرطوم أنف الخنزير البري.. ولعله هو المقصود هنا، كناية عن أنفه.. (والأنف في لغة العرب يكني به عن العزة فيقال: أنف أشم للعزيز.. وأنف في

---

(١١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص ٥٥ وص ١٢٨ - ١٢٩.

الرغام للذليل أي في التراب. ويقال ورم أنفه، وحمى أنفه اذا غضب معتزا. ومنه الأنفة..). والتهديد بوسمه على الخرطوم يحوي نوعين من الاذلال والتحقير: الأول كما يوسم العبد. والثاني جعل أنفه خرطوما كخرطوم الخنزير.. وما من شك أن وقع هذه الآية القرآنية على نفس الوليد كان قاصما، فهو من أمة تعد هجاء شاعر - ولو بالباطل - مذمة يتوقاها الكريم، فكيف بدمغه بالحق من خالق السماوات والأرض، بهذا الأسلوب الذي لا يباري.. فهذا رسم (كاريكاتوري) ساخر عبر عنه القرآن الكريم في كلمات قليلة، يمثل الوليد من منظر مضحك مزري. ويمكننا أن نتخيل الفارق بين نظرة الاكبار والاجلال التي ينظر بها أتباعه اليه، وبين نظرة الضحك والسخرية التي ينظرون بها الى صورته هذه، التي رسمتها سخرية القرآن الكريم[١٢].

★ ★ ★

صور قادة الشرك:

كذلك هناك صور كثيرة أخرى للقادة الذين تزعموا حملة الشرك، وحرب الاسلام، الذين يرى فيهم أتباعهم نماذج للعزة والقوة والتسلط. ولكن القرآن الكريم يرسم صورة هؤلاء القادة في منظر مهين ذليل.. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ★ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ★ ذق انك أنت العزيز الكريم ★ ان هذا ما كنتم به تمترون﴾ (سورة الدخان الآيات ٤٧-٥٠) وتبدو روعة الصورة في الموازنة بين مجد هذا الزعيم وجبروته في الدنيا، وبين حاله الذليلة المهينة عند الله، حيث يقال للزبانية: خذوا هذا الفاجر اللئيم فسوقوه وجروه من تلابيبه بعنف وشدة الى وسط الجحيم، ثم صبوا فوق رأسه

---

(١٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٩ ص ٣٦٦٤ وكذلك أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) ص ١٢٩ و ص ١٣١.

عذاب ذلك الحميم الذي تناهي حره. ويقال له على سبيل الاستهزاء والاهانة ذق هذا العذاب، فانك أنت المعزز المكرم(١٣).

ونعلم أن القرآن الكريم يهدف الى الهداية، وتوضيح الطريق المستقيم، وانطلاقا من ذلك نلاحظ أن صوره (الكاريكاتورية) الساخرة، ليست مقصودة لذاتها وانما تشير دائما من طرف خفي أو واضح، الى الهدف الأساسي الذي يستهدفه القرآن الكريم.. فهذه صورة توضح الهدف من رسمها، نرى فيها أعداء الله وهم في أقسى حالات العذاب والمهانة، فالوجه أكرم ما في الانسان، ومع ذلك نرى وجوه المشركين في هذه الصورة تعذب بطريقة عجيبة، حيث تقلب في النار، كما يقلب اللحم أثناء شوائه على النار، وهي الوجوه التي كان يراها الناس في الحياة عزيزة قوية، متمنعة حتى على وعيد ربها. والتعليق على الصورة (الكاريكاتورية) الساخرة، يوضح الهدف منها، حيث أنهم عصوا الله والرسول من ناحية، وتأثروا بقادة الشرك من ناحية ثانية. والقرآن الكريم يبين لهم نتيجة هذين الأمرين في هذه الصورة البشعة، التي تقلب فيها وجوههم في النـار، ومع الصورة دعوة الى الطريق القويم، وهو طاعة الرسول وعدم الانسياق الأعمى وراء أحد، ولا يسوق القرآن الكريم هذه الدعوة منفصلة عن الصورة، وانما يجعلها جزءا منها، بل ويجعلها منطوقة بلسانهم وهم يقاسون هذا العذاب ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ★ وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ★ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ (سورة الأحزاب الآيات ٦٦ - ٦٨).. وفي هذا التوضيح الذي تضمنه التعليق على الصورة، توجيه لكل ذي فكر أن يحدد سبيله، ويفكر في مهمة هذا الرسول الذي بعثه ربه اليه،

---

(١٣) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ٢٥ ص ١٧٧ وكذلك أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الكريم حفني) مصدر سابق ص ١٠٩.

ويفكر في وضعه مع هؤلاء السادة الذين يقودونه، وينساق وراءهم في غير تفكير، فيعتذر حين لا ينفعه الاعتذار، ولا يملك الا أن يسخط على هؤلاء السادة داعيا عليهم، لاعنا اياهم(١٤).

★ ★ ★

العادات والتقاليد:

ومن أهم ما يميز المجتمعات سيطرة العادات والتقاليد عليها، وقد اصطدم الاسلام أول أمره بمجتمع تسيره العادات والتقاليد، وتتحكم في كل شئونه، حتى في نفسيات أفراده، وبخضوعهم وانقيادهم الكامل لكل ما هو موروث عن الآباء والأجداد(١٥).

وكان من أبرز أهداف القرآن الكريم، تغيير تلك الأوضاع الاجتماعية البالية، وقد تحاشى القرآن الكريم في هذا الصدد النهي المجرد بالأسلوب العادي، ولجأ الى أسلوب السخرية والتصوير المثير، لأنه أبلغ وسيلة في معالجة العادات والتقاليد الفاسدة.. فكانت سخرية القرآن الكريم اللاذعة من تلك العادات ومحاكاة الآباء دون وعي أو ادراك، ورفض الاستجابة للدين الجديد جملة وتفصيلا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ★ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة الآيتان ١٧٠-١٧١).. فالقرآن الكريم يندد بتلقي أي شيء في أمر العقيدة من غير الله، ويندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا ادراك. ثم يرسم لهم صورة (كاريكاتورية) مزرية تليق بهذا التقليد، وهذا الجمود.. صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها - بل اذا صاح بها راعيها سمعت

(١٤) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص١١٢.
(١٥) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص ٥٥ - ٥٦.

مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني. بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح، وهم صم بكم عمي، ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون، ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون، وهذه منتهى الزراية بمن يعطل تفكيره، ويغلق منافذ المعرفة والهداية، ويتلقى في أمر العقيدة والشريعة، من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منها أمر العقيدة والشريعة[١٦].

صورة (كاريكاتورية) أخرى، يرسمها القرآن الكريم في اطار حملته على العادات والتقاليد البالية، واتباع الآباء والأجداد دون وعي أو تفكير.. يقول تعالى: ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ★ انا جعلناها فتنة للظالمين ★ انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ★ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ★ فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ★ ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ★ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ★ انهم ألفوا آباءهم ضالين ★ فهم على آثارهم يهرعون﴾ (سورة الصافات الآيات ٦٢ - ٧٠) فان شجرة الزقوم وهي طعام أهل النار، تنبت في قعر جهنم، وتتفرع فيها، وثمرها كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والبشاعة، وقد شبهها الله تعالى برؤوس الشياطين، والناس لا يعرفون رؤوس الشياطين كيف تكون. ولكنها مفزعة قبيحة المنظر ولا شك، ومجرد تصورها يثير الفزع والرعب، فكيف اذا كانت طلعا يأكلونه، ويملأون منه البطون؟ فهم عريقون في الضلالة وهم في الوقت ذاته مقلدون لا يفكرون ولا يتدبرون، بل يطيرون معجلين يقتفون خطى آبائهم الضالين من غير دليل ولا برهان[١٧].

---

(١٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦.

(١٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٣ ص ٢٩٨٨ - ٢٩٩١ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ ٢٣ ص ٣٦ - ٣٧.

ولو تبارى رسامو الكاريكاتور في تصوير تلك الصورة، لأخرجوا لنا صورا مختلفة في غاية البشاعة لتلك الشجرة العجيبة الغريبة، التي يأتي ثمرها كأنه رؤوس الشياطين.. وهذا الثمر هو طعام الذين اختاروا - عامدين - الضلال والسفاهة على الهدى والصواب، متمثلا في اقتـــدائهم بهؤلاء الآبـــاء. وفي ذلـــك منتهـــى السخريـــة والاستهزاء ..[18]

ويرسم القرآن الكريم صورة (كـاريكـــاتوريـة) أخرى أشد نكرا لهؤلاء المشركين، المعرضين عن القرآن وآياته وما فيه من المواعظ والنصائح والارشادات فيقول تعالى: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين ★ كأنهم حمر مستنفرة ★ فرت من قسورة﴾ (سورة المدثر الآيات ٤٩ - ٥١) أي كأن هؤلاء الكفار حمر وحشية نافرة وشاردة هربت ونفرت من الأسد من شدة الفزع. وقد شبههم تعالى بالحمر النافرة مذمة لهم وتهجينا، ومشهد حمر الوحش وهي مستنفرة تفر في كل اتجاه، حين تسمع زئير الأسد وتخشاه، مشهد يعرفه العرب. وهو مشهد عنيف الحركة.. مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون عندما يخافون. فكيف اذا كانوا انما ينفرون هذا النفار الذي يتحولون به من آدميين الى حمر، لا لأنهم خائفون مهددون، بل لأن مذكرا يذكرهم بربهم وبمصيرهم، ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف الزري المهين، وذلك المصير العصيب الأليم؟ انها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله في صلب الكون تتملاه النفوس، فتخجل وتستنكف أن تكون فيه، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل مخافة هذا التصوير الحي العنيف[19].

---

(١٨) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص٥٧.

(١٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٩ ص ٣٧٦٢ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ ٢٩ ص ٤٨٠.

ويرسم معلم قرآني آخر، صورة توضح أن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله، ولن يدخلوا الجنة اطلاقا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ (سورة الأعراف الآية ٤٠). وتدعك الآية الكريمة ترسم بخيالك صورة لتفتح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ في ثقب الابرة، وهذا تمثيل لاستحالة دخول الكفار الجنة، كاستحالة دخول الحبل الغليظ في ثقب الابرة على دقته، مبالغة في التصوير[٢٠].

* * *

سخرية بآلهة المشركين:

وحين تذهب صور القرآن الكريم في سخريتها نحو الشرك بالله، نجدها تبرز عدة أمور، من أهمها ابطال الهدف الأساسي الذي ترتكز عليه عبادتهم لآلهتهم، وهو أن هؤلاء الآلهة لن يحققوا لعابديهم شيئا. ومنها تحطيم جلال هؤلاء الآلهة ببيان حقيقتهم، فهذه صورة تحدث المشركين بأن آلهتهم لن تستطيع أن تخلق أضعف شيء يضرب به المثل في الهوان وهو الذباب. وترتكز سخرية الصورة على معنى معين، وهو تحدي هذه الآلهة أن تستنقذ من الذباب شيئا يسلبه منها. يقول تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (سورة الحج الآية ٧٣). فهذه صورة (كاريكاتورية) غاية في السخرية، تصور الآلهة وهم مجتمعون يبذلون كل جهد ليخلقوا أحقر المخلوقات، التي يضيق الناس بكثرتها وحقارتها، ومع ذلك يفشلون. بل أكثر من ذلك يصور الرسم (الكاريكاتوري) هؤلاء

---

(٢٠) صفوة التفاسر، مصدر سابق، جـ ٨ ص ٤٤٦ وكذلك التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص٣٦.

الآلهة وهم يسابقون الذباب ليستنقذوا منه شيئا سلبهم اياه ثم لا يستطيعون. وتصور الخيال للآلهة في هذا الوضع غاية في الاستخفاف بهم والسخرية منهم[٢١].

ومعلم قرآني آخر يبرز معنى أن الله وحده يستجيب لمن يدعوه، ويعطيه ما يرجوه. وأن الآلهة التي يدعونها مع الله لا تملك لهم شيئا، ولا تنيلهم خيرا ولو كان الخبر قريبا. فيرسم لهذا المعنى تلك الصورة (الكاريكاتورية) العجيبة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال﴾ (سورة الرعد الآية ١٤). والمشهد هنا ناطق متحرك، يرسم صورة (كاريكاتورية) من أعجب الصور التي تستطيع أن ترسمها الألفاظ.. شخص حي شاخص ملهوف ظمآن، باسط كفيه الى الماء، والماء منه قريب يريد أن يبلغ فمه، ولكنه لا يستطيع، وما هو ببالغه، وكذلك دعاء الكافرين بالله الواحد حين يدعون الشركاء، وما دعاؤهم الا في ضلال[٢٢].

وهذا معلم قرآني آخر يجسم ضعف الآلهة او الأولياء من دون الله عامة، ووهن الملجأ الذي يلجأ اليه عبادهم حين يجتمعون بحمايتهم. وذلك في قوله تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (سورة العنكبوت الآية ٤١). فهذه الصورة (الكاريكاتورية) تعمد الى الزاوية المهمة في نظر المشركين الى آلهتهم، وهي اعتمادهم على الآلهة، فيسخر القرآن من هذا المعنى، ويبين لهم أن هذه الآلهة لا

---

(٢١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص١٠٧.

(٢٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٣ ص ٢٠٥١ - ٢٠٥٢ وكذلك التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص٣٨ - ٣٩.

تصلح ولا يرجى منها أي شيء. والقرآن يرسم لهم في ذلك صورة مألوفة لديهم، هذه الصورة تتضمن أشخاصا أرادوا أن يتخذوا لأنفسهم سكنا وملاذا يأوون اليه ويتحصنون فيه، فاذا هم لا يأوون الى بيت ولا الى حصن، وانما الى نسج العنكبوت الواهي، ولكنهم لا يعلمون حتى هذه البديهية المنظورة فهم يضيفون الى الضعف والوهن، الجهل والغفلة، حتى ليعجزون عن ادراك البديهي المنظور[٢٣].

* * *

حالة الكافرين ومآلهم الضائع:

ويصور السياق القرآني، حال الكافرين المخيف الذي لا أمن فيه، ومآلهم الضائع الذي لا خير يرتجى منه، وذلك في رسم (كاريكاتوري) عجيب حافل بالحركة والحياة في قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور الآية ٣٩). فمن المعروف عن الصحراء ندرة الماء فيها، ومن أكبر مشكلات التنقل والسفر فيها مسيس الحاجة الى الماء. وحين تشتد حرارة الشمس وتقع على الرمال تحدث انعكاسات ضوئية، مما يسمى بالسراب، فيرى الناظر الى الصحراء حينئذ هذه التموجات الضوئية وكأنها مياه بحر واسع، وفي حالة المسافر أو الضال الذي فقد المياه، فانه يتصور أن أمامه بحرا حقيقيا فيظل يمشي اليه معتقدا أنه سيبلغه، ولكن المسافة تظل ثابتة مهما مشى الى أن يسقط من الكلل والجهد. وهذه الصورة عن السراب مألوفة للعرب بحكم معيشتهم في الصحراء، ولذلك ساقها القرآن لهم، في سياق سخريته من الكافرين بالله، الذين يخدعون أنفسهم، ويخدعون الناس بما يقدمونه من أعمال باطلة.. والسياق القرآني يرسم أعمالهم

(٢٣) التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص ٣٩ - ٤٠ وكذلك أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) ص ١٠٨.

كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة، يلتمع التماعا كاذبا، فيتبعه صاحبه الظامىء، وهو يتوقع الري غافلا عما ينتظره هناك. فلا يجد ماء يرويه، وانما يجد الله الذي كفر به وجحده، وخاصمه وعاداه، وجده هنالك ينتظره. ولو وجد في هذه المفاجأة خصما له من بني البشر لروعه، وهو غافل على غير استعداد، فكيف وهو يجد الله القوي المنتقم الجبار؟ فوفاه حسابه.. هكذا في سرعة عاجلة تتناسق مع البغتة والمفاجأة ﴿والله سريع الحساب﴾ تعقيب يتناسق مع المشهد الخاطف المرتاع[٢٤].

وكمثل للانحراف عن سواء الفطرة ونقض لعهد الله المأخوذ عليها، ونكوص عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها.. ذلك الذي آتاه الله آياته، فكانت في متناول نظره وفكره، ولكنه انسلخ منها، وتعرى عنها، ولصق بالأرض واتبع الهوى، واستولى عليه الشيطان وأيس مطرودا من حمى الله، لا يهدأ، ولا يطمئن، ولا يسكن الى قرار. ثم اذا هو مسخ في هيئة الكلب يلهث ان طورد، ويلهث ان لم يطارد.. يقول تعالى في هذا الشأن: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ★ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ★ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسكم كانوا يظلمون﴾

(سورة الأعراف الآيات ١٧٥ - ١٧٧).

انه مشهد من المشاهد العجيبة، لو استطاع رسام كاريكاتوري ماهر أن يصوره، لخرج برسم معبر شاخص السمات، بارز الملامح، يحمل كل ايقاعات الحياة الواقعية.. انسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله؛

(٢٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٨ ص ٢٥٢١ وكذلك أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص١٤١ - ١٤٢.

ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع.. ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخا. ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه.. ثم اذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد.. اذا نحن بهذا المخلوق لاصقا بالأرض ملوثا بالطين.. وتستغل سخرية القرآن معرفة العرب للكلب وتحقيرهم اياه، فيتخذ منه صورة يرسمها للكافر الحقير الذي لا يفرق بين الهدى والضلال.. وتبرز سخرية القرآن وصفا ملاحظا بوضوح في الكلب، وهو أنه يلهث دائما في غير ما يدعو الى ذلك. فهو يخرج لسانه ويلهث بقوة دون أن يعاني جهدا أو مشقة أو عطشا، فهي طبيعته التي طبع عليها. فكذلك هذا الكافر الذي كرمه الله فأعطاه من نعمه ومعرفته وهداه الى خيره ورشده، ولكنه ترك هذه النعم ولفظ هذه الهداية، وأنزل نفسه الى وضع خسيس حقير، فكان في ذلك أشبه بالكلب في خسته وحقارته، لأن طبعه غير مهيأ للهداية، ولا للوضع الكريم، كطبع الكلب الذي يفرض عليه أن يلهث سواء تحمل جهدا أو لم يتحمل.. انه مثل لكل من آتاه الله من علم الله، فلم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الايمان، وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعا ذليلا للشيطان، ولينتهي الى المسخ في مرتبة الحيوان[٢٥].

★ ★ ★

كاريكاتور للمنافقين:

ويرسم السياق القرآني صورة (كاريكاتورية) فريدة للمنافقين، تثير السخرية والهزء والزراية بهذا الصنف الممسوخ المطموس من الناس، وتسمهم بالفراغ والخواء، والانطماس والجبن، والفزع والحقد والكنود. بل تنصبهم تمثالا وهدفا للسخرية في معرض الوجود. ﴿واذا رأيتهم

(٢٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٩ ص ١٣٩٦ و ص ١٣٩٨ وكذلك أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص ١٤٨ - ١٤٩.

تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (سورة المنافقون الآية ٤).. فهم أجسامهم تعجب، لأناس تتجاوب وما داموا صامتين فهم أجسام معجبة للعيون.. فأما حين ينطقون فهم خواء من كل معنى، ومن كل حس، ومن كل خالجة. ﴿تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾ لا حركة لها، ملطوعة بجانب الجدار. وهذا الجمود الراكد البارد يصورهم من ناحية فقه أرواحهم ان كانت لهم أرواح، ويقابله من ناحية أخرى حالة من التوجس الدائم، والفزع الدائم، والاهتزاز الدائم. ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ فهم يعرفون أنهم منافقون مستورون بستار رقيق من التظاهر والحلف والملق والالتواء. وهم يخشون في كل لحظة أن يكون أمرهم قد افتضح، وسترهم قد انكشف.. والتعبير يرسمهم أبدا متلفتين حواليهم، يتوجسون من كل حركة، ومن كل صوت، ومن كل هاتف، يحسبونه يطلبهم وقد عرف حقيقة أمرهم[٢٦].

* * *

الاصلاح الداخلي:

وبالرغم من أن القرآن الكريم، كان يركز سخريته على أعداء الاسلام وأهله، الا أنه جعل للجبهة الداخلية للمسلمين نصيبا من السخرية، لحمايتها مما قد يشوب صفاءها، أو يفسد طهرها من مختلف الانحرافات، أو الإنسياق وراء الغرائز والنزوات، واتباع المطامع والأهواء، وما يجر ذلك كله على المجتمع الاسلامي من انحرافات، أو ظهور أخلاق لا تتفق مع مبادىء الشرع الحنيف. فالسخرية لها أثرها في المحافظة على الجبهة الداخلية، والتغيير الاجتماعي الى ما هو أفضل[٢٧].

(٢٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٨ ص ٣٥٧٤ - ٣٥٧٥.

(٢٧) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص ٥٧.

ولقد أولى القرآن الكريم هذا الجانب من سخريته اهتماما واضحا، وذلك بابراز العيوب التي ينهى عنها، أو يأمر بتحاشيها.. فمثلا ينهى القرآن عن أنواع من السلوك كانت شائعة في المجتمع الجاهلي، كالتعالي، والتجبر، واصطناع مظاهر فظة خشنة من السلوك، والحركات في المشي والكلام واللباس، وغير ذلك من المظاهر التي يرون فيها مظهر السيادة، وبسطة النفوذ، ورهبة الجانب. ولكن القرآن الكريم لم يسلك في النهي عن ذلك أسلوب المعاني المجردة، أو الوعيد والترهيب، وانما سلك أسلوب السخرية التي ترسم في ذهن السامع صورة منكرة لمن يزاول هذا المسلك أو يظهر بهذا المظهر. وبذلك تتحول صورة المظاهر التي كان يصطنعها السادة، والمتكبرون، والمتجبرون الى صورة منفرة، لا تثير اعجابا، ولا اكبارا، وانما تثير سخرية، وضحكا، وازدراء لمن يدنو منها[٢٨].

فنجد القرآن الكريم يدعو في الخلق الاجتماعي، الى التواضع، ولين الجانب، والإلفة وذلك في قوله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ (سورة لقمان الآية ١٨) فالقرآن يصور صورة لشخص متعجرف متعال على الناس، يمشي شامخا بأنفه، معرضا عنهم بوجهه، مختالا مزهوا بكبريائه. ولكن القرآن لا يسلك في سبيل ذلك الوعظ الكلامي، وبيان مضار الكبرياء، وفوائد التواضع، وانما يرسم للمتكبر المتعالي على الناس، لوحة كاريكاتورية، لو استطاع رسام كاريكاتوري أن يبرز ما تتضمنه في رسم كاريكاتوري، لكان رسما بارعا يحقق الهدف المطلوب من أقصر طريق.. فالقرآن الكريم يستغل معلومات البيئة وخبراتها، لتكون أقرب الى النفس وأوقع فيها. ومن هذه المعلومات، ما ورد في تلك الآية الكريمة التي قرنت صورة المتعجرف المتعالي المتكبر، بصورة جمل مريض بداء الصعر الذي يعرفه العرب، ويصيب الإبل فيلوي أعناقها، وتمشي

(٢٨) نفس المصدر السابق ص٥٧ - ٥٨.

معوجة الرقبة.. فالقرآن يعمد الى لفظ هذا المرض، فيصم به المتكبر المغرور المتعالي على الناس، الذي يمشي شامخا بأنفه، لاويا عنقه، معرضا بوجهه عن الناس، وهو يحسب أن في ذلك ترفعا وهيبة، ومكانة بين الناس، فاذا القرآن الكريم يجعله مجرد مريض بداء الصعر، وهذه الصورة (الكاريكاتورية) البالغة في السخرية، ترتسم في ذهن السامع وكأنها ماثلة أمامه، ومن البديهي أن تحضره كلما شاهد شخصا تنطبق عليه[٢٩].

ومن ذلك أيضا تلك السخرية الشديدة التهكم بالمتكبر المختال، الذي ترسمه سخرية القرآن رسما (كاريكاتوريا) مضحكا، بأنه يمشي مشية عجيبة غريبة، ويضرب الأرض بقدميه كأنه يريد أن تخرقها، ويشمخ بأنفه ووجهه الى السماء، كأنه يريد أن يطاول الجبال في ارتفاعها، فيقول تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ★ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾ (سورة الاسراء الآيتان ٣٧ - ٣٨).. ولو استطاع رسام كاريكاتوري أن يرسم هذا المنظر لكان من أبلغ الرسوم الكاريكاتورية الساخرة. فالسخرية الشديدة واضحة في قوله تعالى: ﴿انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ لأن أحدا لا يظن أنه سيخرق الأرض مهما تكن مشيته، خاصة اذا تصورنا أن الأرض التي يمشي عليها صخرية صلبة جدا كما لا يظن أحد أنه سيبلغ بقامته رؤوس الجبال مهما مد عنقه، وشمخ بأنفه، وتطاول برأسه وقامته. ولكنه التصوير القرآني الساخر الذي يقرن هذه المشية بهذه الصورة الشديدة السخرية، سواء في نفس من يريد أن يمشيها أو في نفس من ينظر اليه[٣٠].

(٢٩) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص٥٨ و ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٣٠) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص ١٤٠ - ١٤١ و ص ١٨١.

كذلك من المظاهر التي نهى القرآن الكريم عنها، ما كان يلجأ اليه المتعالي المتجبر، من اصطناع صوت خاص قوي شديد النفاذ الى الآذان، يتسلح به حينما يحتك بالناس، لابراز هيبته، وجبروته، وارهابهم وتخويفهم، يقول القرآن الكريم في ذلك على لسان لقمان وهو يعظ ابنه ﴿واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (سورة لقمان الآية ١٩) فالأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفرة بشعة، حين يعمد الى هذا الصوت المصطنع فيقرنه بأبشع صورة وأنكرها، وهي صورة حمار ناهق، فيرتسم مشهد مضحك يدعو الى الهزء والسخرية، وبذلك يفقد هذا الصوت تأثيره وهدفه، بل ويتحول الى عكس المقصود منه، فبدل أن يثير في نفس سامعيه الخوف والرهبة، يصبح بسخرية القرآن منه لا يثير الا السخرية من صاحبه والتهكم به. ولا يكاد ذو حس يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع، ثم يحاول شيئا من أصوات هذه الحمير[٣١].

وحين ينهى القرآن الكريم عن الغيبة، كان يمكن أن يكتفي بمجرد تحريمها أو بيان أضرارها، أو الأمر بالابتعاد عنها، ولكن القرآن يرسم لذلك صورة معينة لتحقيق هذا التنفير، حيث يشعر السامع كأنه يرى هذه الصورة بعينيه، ويرى منها موضع السخرية واضحا بارزا. يقول تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ (سورة الحجرات الآية ١٢) فأي اشمئزاز، وأي تقزز تثيره صورة شخص يأكل لحم آدمي، بل جيفة آدمي. وهذا الاشمئزاز واثارته في النفس مقترنا بالغيبة هو هدف الآية الكريمة في تصويرها، وفي تشبيهها المغتاب بآكل جيفة آدمي، وهذا الآدمي أخ. ولو اقتصرت

---

(٣١) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص ٥٨ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢١ ص ٢٧٩٠.

الآية على مجرد النهي عن الغيبة، وكانت خالية من هذه الاثارة لما كان لها هذا الأثر الواقع[٣٢].

* * *

كانت هذه مجرد بعض النماذج من تصوير القرآن الكريم، الذي شمل تصويره كل ما يهدف اليه القرآن من دعوة، ولو ذهبنا نستقصي ذلك في القرآن لضاق عنه كتاب بل كتب كثيرة، ولقد وجدنا في كل تلك النماذج التي قدمناها، خصائص التعبير القرآنية التي تتجلى في قيام الكلمة مقام الخط واللون، اذ سرعان ما ترتسم الصورة (الكاريكاتورية) من خلال عدد قليل من الكلمات أو العبارات، ثم سرعان ما تنبض هذه الصور وكأنها تموج بالحياة[٣٣].. ومن الواضح أن سخرية القرآن الكريم في تلك الرسوم (الكاريكاتورية) المعبرة، كانت بعيدة كل البعد عن الاقذاع، وعن نبو الألفاظ، بل عن طابع العداء الشخصي، أو العداوة لذاتها.. لقد كانت تلك الرسوم (الكاريكاتورية) الساخرة مثل أعلى للسمو الذي لا يهدف الا الى الغاية العليا. وهي تحقيق الخير للناس في دينهم ومعيشتهم.. فان سخرية القرآن الكريم، في تلك الرسوم (الكاريكاتورية) النابضة بالحياة، حينما تهاجم فردا أو طائفة، فانها لا تحمل طابع العداء أو الحقد لذاتها، وانما تهدف الى شيء واحد حينئذ، وهو ازالة هذه العقبة التي تعترض طريق نشر الاسلام، وبلوغه الى كل أذن وقلب.. وحينما يرسم القرآن الكريم تلك الرسوم (الكاريكاتورية) التي تسخر من قادة المشركين وزعمائهم، فانما يهدف الى تحطيم هالتهم الكاذبة في نفوس الأتباع، حتى يثوبوا الى رشدهم، ويدركوا أن هؤلاء القادة لن يغنوا

---

(٣٢) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (عبد الحليم حفني) مصدر سابق ص ١٠٤.
(٣٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١ ص ٣٧.

عنهم شيئا، وانما يسوقونهم الى الضلال والهاوية. وحينما يرسم القرآن الكريم تلك الرسوم (الكاريكاتورية) التي تسخر من بعض الخلق السائد في المجتمع، كتصعير الخد، والتعالي على الناس.. الخ فانما يهدف الى تحقيق مجتمع فاضل تسيطر عليه مظاهر الرحمة والتعاون، وتبادل التقدير والاحترام.. وكل ذلك وغيره كان واضحا تمام الوضوح فيما سبق التمثيل به من المعالم القرآنية للرسوم (الكاريكاتورية) الساخرة.

الباب الثالث

الموضوع الصحفي في ضوء معالم قرآنية

الفصل الأول : الموضوع على ضوء القرآن بكامله

الفصل الثاني : الموضوع على ضوء سور من القرآن

الفصل الثالث : الموضوع على ضوء قصص قرآنية قصيرة ومتوسطة .

الفصل الرابع : الموضوع على ضوء قصص قرآنية طويلة

الفصل الأول

الموضوع على ضوء القرآن بكامله

ان القرآن الكريم، كما هو معجز من جهة فصاحته وبلاغته، ومن جهة أحكامه وتشريعه، ومن جهة اشتماله على حقائق علمية في خلق الانسان والنبات والكون والسماوات.. الخ فانه معجز أيضا من ناحية ترتيبه، ونظمه في المصحف، مع أنه نزل منجما تبعا للأحداث والظروف في نيف وعشرين عاما. ولم يكن هذا الترتيب للسور من صنع البشر، بل كان توقيفيا من الله سبحانه وتعالى(١).

على أن القرآن الكريم بكامله، وان كان يجل عن مشابهته لأعمال البشر - ولله المثل الأعلى - فاننا مع هذا نجد أن ترتيب سوره وتنظيمها على الوضع الموجودة عليه في المصحف، جاءت على ما يشبه **المقدمة... والصلب.. والخاتمة** «اذ فاتحة الكتاب بالنسبة للقرآن، تعتبر كالمقدمة، بل هي من أروع المقدمات حيث اشتملت على أغراض القرآن الكريم جملة(٢)».. ثم ان باقي السور القرآنية وآياتها - بخلاف جزء عم - تعتبر كالصلب الذي يشتمل على التفصيلات المختلفة لما لخصته الفاتحة باجمال.. وأخيرا نجد الجزء الثلاثين من القرآن الكريم (جزء عم) بكامله، أشبه ما يكون بالخاتمة الشاملة الجامعة، التي جاءت في آخر المصحف مستوعبة لكل مقاصد القرآن الكريم..

ونستمد العون من الله تعالى، ونوضح ذلك بشيء من التفصيل..

---

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (محمد محمود حجازي) مصدر سابق ص ١٢ و ص ١٦ - ١٧.

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٦.

وسبحان من هذا كلامه الذي رتبه هكذا في قرآنه ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (سورة هود الآية ١).

المقدمة:

قلنا ان فاتحة الكتاب تعتبر كالمقدمة للمصحف، وتسمى (الفاتحة)(*) لافتتاح الكتاب العزيز بها، حيث أنها أول القرآن الكريم في الترتيب، لا في النزول. وهي - على قصرها ووجازتها - قد حوت معاني القرآن العظيم، واشتملت على كل أغراضه، ومقاصده الأساسية: من أصول الدين وفروعه، والعقيدة، والعبادة، والتشريع، والقصص. وأجملت ما فصل فيه من اثبات التوحيد، والبعث، وبيان الطريق المستقيم، الذي يسلكه الانسان في تنظيم حياته مع ربه، ومع نفسه، ومع الناس(٣).

فقد افتتح الله تعالى سورة (الفاتحة) بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)، مثلما افتتح بها كل سورة من سور القرآن الكريم - ما عدا سورة التوبة (براءة)(**) - وهي الآية الأولى من سورة الفاتحة، وبها تحتسب آياتها سبعا، ليرشد المسلمين الى أن يبدءوا أعمالهم وأقوالهم باسم الله الرحمن الرحيم، التماسا لمعونته وتوفيقه، ومخالفة للوثنيين الذين

(*) يردد المسلم هذه السورة القصيرة ذات الآيات السبع، سبع عشرة مرة في صلاته المفروضة كل يوم وليلة، وأكثر من ضعف ذلك اذا هو صلى السنن، والى غير حد اذا هو رغب في أن يقف بين يدي ربه متنفلا غير الفرائض والسنن. ولا تقوم صلاة بغير هذه السورة، لما ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ من حديث عبادة ابن الصامت: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

(٣) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ١ ص ٢٤ وكذلك الى القرآن الكريم (محمود شلتوت) مصدر سابق ص ٩.

(**) ان السر في عدم وجود البسملة في سورة التوبة (براءة) يرجع الى عدة أقوال، يمكن الرجوع اليها في (صفوة التفاسير جـ ١٠ ص ٥١٨ - ٥١٩ وكذلك في ظلال القرآن جـ ١ ص ٢٧، وأيضاً مباحث في علوم القرآن (مناع القطان) ص ١٤٢ - ١٤٣).

يبدأون أعمالهم بأسماء آلهتهم أو طواغيتهم، فيقولون: باسم اللات، أو باسم العزى، أو باسم هبل، أو باسم الشعب[٤].

واذا كان البدء باسم الله وما ينطوي عليه من توحيد الله، وأدب معه يمثل الكلية الأولى في التصور الاسلامي، فان استعراض معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها، في صفتي (الرحمن الرحيم) يمثل الكلية الثانية في هذا التصور، ويقرر حقيقة العلاقة بين الله والعباد[٥].

وعقب البسملة، تأتي **الآيتان الثانية والثالثة:** ﴿الحمد لله رب العالمين ★ الرحمن الرحيم﴾ فتثبتان توحيد الله في الخلق، والتربية، عن طريق الرحمة الواصل أثرها الى عباده، وتعلمهم كيف يحمدون الله الذي أنعم عليهم بالقرآن والاسلام. ولا عجب فهو الرحمن الرحيم.. **والآية الرابعة** ﴿مالك يوم الدين﴾ تذكر الناس باليوم الآخر، وتثبت تلك النشأة الآخرة التي يقع فيها الجزاء على الأعمال.. **والآية الخامسة** ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ رسمت طريق الخلاص للعباد، حيث تقرر مبدأ عبادة الله وحده، ومبدأ عجز الانسان. واحتياجه الى معونة ربه، وتقطع عليه سبيل التوجه لغير الله بالعبادة، والاستعانة.. **والآية السادسة** ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ تعلم الانسان كيف يطلب الخير من الله، والهداية الى الحق والصراط المستقيم، وتوجهه الى طلب الأحكام التي ينظم بها شأنه، من الله سبحانه وتعالى، فهو المعلم، وهو المشرع، وهو الموفق للعمل بما يعلم، وبما يشرع.. **والآية السابعة** ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ وفيها الاخبار عن قصص الأمم السابقة، والاشارة الى أن الناس أمام شرع الله وطريقه فرق ثلاث: فريق عرفوا بالتزام الصراط المستقيم، حتى أضيف اليهم،

---

(٤) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ ١ ص ٢٣.

(٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١ ص ٢٢.

وعرف بهم، وكانوا فيه قدوة لغيرهم، وهم (المنعم عليهم) السعداء. وفريق جحدوا صراط الله، وأحكامه، عنادا واستكبارا وهم (المغضوب عليهم). وفريق متردد بين الظهور بالايمان، وبين استبطان الكفر وهم (الضالون) والفريقان الأخيران من الأشقياء[٦].

وبذلك شملت سورة (الفاتحة) مقاصد القرآن العليا، حيث استوفت العقيدة في المبدأ والمعاد، وبها كمال الانسان من الجانب العلمي، واستوفت طريق العمل الصالح، وبه كمال الانسان من الجانب العملي، وأشارت الى تاريخ البشرية الفاضلة في التزام الحق علما وعملا، والى تاريخ البشرية الفاسقة في التنكب عن العلم والعمل. وهذا اجمال لكل ما فصل في القرآن الكريم بعد ذلك ومن هنا كانت الفاتحة **مقدمة** الكتاب[٧]، حيث لخصت في اجمال، ما ورد مفصلا بعد ذلك في (صلب الكتاب) وهي بقية السور القرآنية فيما عدا (جزء عم) كما سبق ايضاحه.. بل هي أروع المقدمات.

* * *

الصلب:

ثم تعال بنا الى السور وآياتها التي تمثل صلب الكتاب العزيز.. وبيان هذا أن القرآن الكريم، قد اشتمل على التوحيد، وعلى وعد من أخذ به بحسن المثوبة، ووعيد من تجافى عنه وتركه بسيء العقوبة.. وعلى العبادة التي تحيي التوحيد في القلوب، وتثبته في النفوس.. وعلى بيان سبيل السعادة الموصل الى نعيم الدنيا والآخرة.. وعلى القصص الحاوي أخبار المهتدين الذين وقفوا عند الحدود التي سنها الله لعباده،

---

(٦) الى القرآن الكريم (محمود شلتوت) مصدر سابق ص ٩ - ١٠ وكذلك الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (محمد محمود حجازي) مصدر سابق ص ١٦.

(٧) المصدر الأول السابق ص ١٠.

وفيها سعادتهم في دنياهم وآخرتهم والضالين الذين تعدوا الحدود، ونبذوا أحكام الشرائع وراءهم ظهريا[٨].

فقد نزل القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ، لينشىء به أمة، وليقيم به دولة، ولينظم به مجتمعا، وليربي به ضمائر وأخلاقا وعقولا، وليحدد به روابط ذلك المجتمع فيما بينه، وروابط تلك الدولة مع سائر الدول، وعلاقات تلك الأمة بشتى الأمم. وليربط ذلك كله برباط قوي واحد، يجمع متفرقه ويؤلف أجزاءه، ويشدها كلها الى مصدر واحد، والى سلطان واحد، والى جهة واحدة.. وذلك هو الدين كما هو في حقيقته عند الله.. ومن ثم نجد في سور القرآن - وخاصة السور الطوال - موضوعات شتى، الرابط بينها جميعا هو هذا الهدف الأصيل، الذي جاء القرآن كله لتحقيقه: انشاء أمة، واقامة دولة، وتنظيم مجتمع على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد.. الأصل فيه افراد الله سبحانه بالألوهية، والربوبية، والقوامة، والسلطان، وتلقي منهج الحياة، وشريعتها، ونظامها، وموازينها، وقيمها منه وحده بلا شريك.. وكذلك نجد بناء التصور الاعتقادي وتوضيحه، وتخليصه من أساطير الوثنية، وانحرافات أهل الكتاب وتحريفاتهم. الى جانب تبصير الجماعة المسلمة بحقيقة ذاتها، وحقيقة دورها، وطبيعة طريقها، وما في هذا الطريق من مزالق وأشواك وشباك، يرصدها لها أعداؤها وأعداء هذا الدين. الى جانب أحكام الشعائر التعبدية، التي تظهر روح الفرد المسلم، وروح الجماعة المسلمة، وتربطها بربها. الى جانب التشريعات الدولية التي تنظم علاقاتها بغيرها، والتشريعات التي تحلل وتحرم ألوانا من المآكل والمشارب والمناكح، أو ألوانا من الأعمال والمسالك.. كل ذلك حزمة واحدة في السورة الواحدة، يمثل معنى

---

(٨) تفسير المراغي، مصدر سابق جـ ١ ص ٢٣.

(الدين) كما أراده الله، وكما فهمه المسلمون الحقيقيون أيان أن كانوا مسلمين[٩].

ويرتكز محور سور القرآن الكريم على المكي والمدني(*).. فالسور المكية التي أنزلت قبل الهجرة، وهي أكثر سور القرآن عددا، اذ تبلغ بضعا وثمانين بينما المدني، ما نزل بعد الهجرة ويبلغ عددها عشرين سورة(* *). أما المختلف فيه فيبلغ اثنتي عشرة سورة(***). فيكون مجموع سور القرآن الكريم مائة وأربعة عشرة سورة[١٠].

ويمكن اجمال أهداف السور المكية لتحقيق الدعوة الاسلامية ومميزاتها الموضوعية، وخصائص أسلوبها، في أربعة نقاط هي[١١]:

(١) الدعوة الى التوحيد وعبادة الله وحده، واثبات الرسالة واثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.

(٢) وضع الأسس العامة للتشريع، والفضائل الأخلاقية، التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء،

---

(٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٦ ص ٨٣٥.

(*) لا يقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية انها بأجمعها كذلك.. فقد يكون في المكية بعض آيات مدنية، وفي المدنية بعض آيات مكية، ولكنه وصف أغلبي حسب أكثر آياتها.

(**) السور المدنية هي: البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الأنفال - التوبة - النور - الأحزاب - محمد - الفتح - الحجرات - الحديد - المجادلة - الحشر - الممتحنة - الجمعة - المنافقون - الطلاق - التحريم - النصر.

(***) السور المختلف فيها هي: الفاتحة - الرعد - الرحمن - الصف - التغابن - التطفيف - القدر - البينة - الزلزلة - الاخلاص - الفلق - الناس.

(١٠) مباحث في علوم القرآن، مصدر سابق ص ٥٥ وكذلك الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ص ٩٤.

(١١) المصدر الأول السابق ص ٦٣ - ٦٤.

وأكل أموال اليتامى ظلما، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

(٣) ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة، زجرا لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية الرسول ﷺ، حتى يصبر على أذاهم، ويطمئن الى الانتصار عليهم.

(٤) قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وايجاز العبارة بما يصخ الآذان، ويشتد قرعه على المسامع، ويصعق القلوب، ويؤكد المعنى بكثرة القسم، كقصار المفصل الا نادرا.

وبالنسبة للسور المدنية، فيمكن اجمال أهدافها لتحقيق الدعوة الاسلامية ومميزاتها الموضوعية، وخصائص أسلوبها في أربع نقاط هي[١٢]:

(١) بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

(٢) مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم الى الاسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

(٣) الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وازاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

(٤) طول المقاطع والآيات، في أسلوب يقرر الشريعة، ويوضح أهدافها ومراميها.

وعلى الرغم من ذلك، فان السور المكية والمدنية كلها مجتمعة، هي قرآن من القرآن الذي تفرد من كل قول آخر لا يحمل الطابع الرباني الفريد، العجيب في الموضوع والأداء سواء، وتشترك كلها في تحقيق

---

(١٢) نفس المصدر السابق ص ٦٤.

الأهداف العامة الكبرى للقرآن الكريم الذي هو كتاب الدعوة الاسلامية، وروحها، وباعثها، وقوامها، وكيانها، وحارسها، وراعيها، وبيانها، وترجمانها، ودستورها، ومنهجها، والمرجع الذي تستمد منه الدعوة والدعاة، وسائل العمل، ومنهاج الحركة وزاد الطريق(١٣).

هذا بالاضافة الى أن السورة لم تكن بجوار السورة في صلب الكتاب عفوا وبلا قصد، بل كل سورة مناسبة لما قبلها وما بعدها، اذ الأصح أن ترتيب السور توقيفي(١٤). وهذا ما يعبر عنه بوجود مناسبة بين السور بعضها وبعض. والمناسبة في اللغة: المقاربة، يقال فلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله.. ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم ونحوه، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس، وهي الوصف المقارب للحكم. لأنه اذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم.. والمراد بالمناسبة هنا وجه الارتباط بين السورة والسورة، وفائدته - كما يقول الزركشي(١٥) - جعل أجزاء بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط. ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

ومن ذلك يتضح أن (صلب) الكتاب الكريم، الذي يتكون من سوره المختلفة - فيما عدا جزء عم - كان صلبا متينا، مرتبطا بعضه ببعض، ويشد بعضه بعضا كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء. فقد اشتركت كل سوره المكية والمدنية، في تحقيق الأهداف الكبرى للدعوة الاسلامية، كما أن السور ترابطت بعضها مع بعض وتجاوبت في المصحف، وكانت كل منها تناسب ما قبلها وما بعدها، مما يجعل القارىء أو المستمع

---

(١٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٣ ص ٣٤٨ وكذلك جـ١١ ص ١٧٤٥.

(١٤) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ١١٢.

(١٥) البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق جـ١ ص٣٥ - ٣٦ وكذلك مباحث في علوم القرآن (مناع القطان) مصدر سابق ص٩٧.

لكتاب الله، ينتقل من سورة الى أخرى، ومن جزء الى آخر دون أن يحس بأي تنافر أو انفكاك بين السور وبعضها بعض، بل يحس أنه ينتقل بينها في يسر وراحة وانسياب.. وكل هذا من شأنه أن يهيء أفضل جو لتفهم كلام الله تعالى دون مشقة أو عناء، واستيعاب معانيه ومراميه والعمل بما فيه، وتلك الغاية الأسمى المطلوبة من العباد.

* * *

الخاتمة:

واذا نظرنا الى الجزء الأخير من القرآن الكريم، وهو (جزء عم) من حيث الترتيب المصحفي، نجده بمثابة الخاتمة التي استوعبت كل مقاصد القرآن الكريم.. فهذا الجزء كله ذو طابع غالب: سوره كلها من قصار السور على تفاوت في القصر. والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة - على وجه التقريب - في موضوعها، واتجاهها، وايقاعها، وصورها، وظلالها، وأسلوبها العام. انها طرقات متوالية على الحس، طرقات عنيفة قوية عالية، وصيحات بقوم غارقين في النوم.. تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات، المنبعثة من سور هذا الجزء كله، بايقاع واحد، ونذير واحد.. أن هناك الها، وتدبيرا، وتقديرا، وابتلاء، وتبعة، وحسابا، وجزاء، وعذابا شديدا، ونعيما كبيرا[16].

وفي الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للانسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض، من نبات وحيوان. وعلى مشاهد هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح. وعلى مشاهد القيامة العنيفة، الطامة، الصاخة، القارعة، الغاشية. ومشاهد الحساب، والجزاء، من نعيم وعذاب، في صور تقرع، وتذهل، وتزلزل، كمشاهد القيامة الكونية، في ضخامتها وهولها،

---

(١٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٣٠ ص ٣٨٠٠.

واتخاذها جميعا دلائل الخلق والتدبير والنشأة الأخرى، وموازينها الحاسمة، مع التقريع والتخويف، والتحذير.. وأحيانا تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين.. والأمثلة على هذا هي الجزء كله[١٧].

وهناك ظاهرة أخرى في الأداء التعبيري لهذا الجزء. هناك أناقة واضحة في التعبير، مع اللمسات المقصودة لمواطن الجمال في الوجود والنفوس، وافتنان مبدع في الصور، والظلال، والايقاع الموسيقي، والقوافي، والفواصل تتناسق كلها مع طبيعة الجزء في خطاب الغافلين، النائمين، السادرين، لايقاظهم واجتذاب حسهم وحواسهم، بشتى الألوان، وشتى الايقاعات، وشتى المؤثرات[١٨].

وهكذا فقد شاء الله سبحانه وتعالى - حينما رتب كلامه ترتيبا مصحفيا، اي ذلك الترتيب الذي نقرأ القرآن عليه - شاء أن يجعل هذا الجزء الأخير وهو (جزء عم) بمثابة الخاتمة، التي تنبه لكل أصول الدين، ولكل قواعده، ولكل غاياته، وآخر ما تقع عليه العين، أو يقرع الآذان من كلامه[١٩]، ويبقى صداه يتردد فيها، ويعلق بحواشي الذكر..

* * *

مما سبق يتضح لنا أن ترتيب القرآن الكريم بكامله - ولله المثل الاعلى - جاء على ما يشبه المقدمة، والصلب، والخاتمة.. فكانت سورة (الفاتحة) كالمقدمة، لأنها اشتملت على كل مقاصد القرآن الكريم على سبيل الاجمال.. ثم كانت باقي السور بمثابة (الصلب) الذي فصل كل ما أجملته المقدمة.. وكان الجزء الأخير، وهو (جزء عم) بمثابة (الخاتمة)

---

(١٧) نفس المصدر السابق جـ ٣٠ ص ٣٨٠١.

(١٨) نفس المصدر السابق، جـ ٣٠ ص ٣٨٠٢.

(١٩) محمد متولي الشعراوي محاضرة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة حول تفسير سورة النبأ.

التي جاءت شاملة لكل أصول الدين وقواعده وغاياته.. كان هذا عن القرآن الكريم كله، والذي اشتمل على مائة وأربعة عشرة سورة.. فماذا عن السورة الواحدة من تلك السور.. هذا ما نراه في الفصل التالي ان شاء الله..

* * *

الفصل الثاني

الموضوع على ضوء سور من القرآن

اقتضت حكمة الله الخبير البصير، أن يكون القرآن الكريم في ترتيب المصحف مشتملا على سور.. والسورة قطعة من القرآن الكريم، تشتمل، على آيات ولها أول وآخر.. وهي في اللغة مأخوذة من سورة الأسد، وسورة الشباب بمعنى القوة في كل، ولا شك أنها قوية في ذاتها، وأقوى من الآية. أو هي مأخوذة من السور، بمعنى الجماعة، لأنها تجمع بين آيات متعددة، ومعان كثيرة. أو هي مأخوذة من السور المحيط بالأبنية، لأنها تحيط بآياتها ومعانيها.. هذا اذا كانت بلا همز. فان كانت مهموزة، فهي من السؤر لما بقي من الشراب، ولا شك أنها بقية من القرآن. أو هي بمعنى الرفعة والمنزلة العالية، ولا شك أنها رفيعة القدر، كبيرة المقام[1].

وتنقسم سور القرآن الكريم الى أربعة أقسام هي: الطوال، والمئين، والمثاني، والمفصل.. وأرجح الآراء فيها ما يلي:

(١) **الطوال:** سبع سور هي: البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الأنعام - الأعراف - والسابعة قيل هي الأنفال وبراءة (التوبة) معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة. وقيل هي يونس.

(٢) **المئون:** هي التي تزيد آياتها على مائة، أو تقاربها.

---

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص٤٠ - ٤١.

(٣) المثاني: هي التي تليها في عدد الآيات، وسميت بذلك لأنها تثنى في القراءة، وتكرر أكثر من الطوال والمئين.

(٤) المفصل: قيـــل من أول سورة (ق) وقيـــل من أول (الحجرات) الى آخر القرآن. وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة. وأقسامه ثلاثة: طواله، وأوساطه، وقصاره[٢].

والملاحظ أن سور القرآن على نوعين[٣]:

(أ) نوع يشتمل على غرض واحد، وان استتبع نظرات جانبية. وأغلب ذلك في المفصل.. وهذا النوع لا يدخل في اطار دراستنا هذه.

(ب) نوع آخر لم يقتصر على غرض واحد، بل جمع أغراضا عديدة، وطرق موضوعات كثيرة، وان كان للجميع هدف واحد، ونهاية واحدة.. وهذا النوع هو الذي نستقي منه معالم دراستنا في هذا الفصل.

والواقع أن الانسان يدهش حينما يقرأ سورة في القرآن، أي سورة، يجد أنها أشبه بالحديقة الغناء - ولله المثل الأعلى - جمعت كل صنف ونوع، فيها من كل زهرة، ومن كل لون، ومن كل شكل. ثم تنظر اليها، فتجد فيها العجب. تجد التجانس، والتلاؤم، وتجد الألفة، والاخاء، فلا تنافر، ولا تباين، كقطعة الماس تعطيك كل لون من كل

---

(٢) مباحث في علوم القرآن (مناع القطان) مصدر سابق ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٣) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (محمد محمود حجازي) مصدر سابق ص ٤٢.

موضع، ولكن بلا تباين، ولا فساد، تلك حقيقة أصبحت كما يقولون بدهية[٤].

فان كل سورة من سور القرآن الكريم، لها شخصيتها الخاصة، وملامحها المميزة، ومنهجها الخاص، وأسلوبها المعين، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية، مشدودة الى محور خاص. ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها، وفق هذا الجو، ولها ايقاع موسيقي خاص، اذا تغير في ثنايا السياق، فانما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة. وهذا طابع عام في سور القرآن الكريم جميعا، ولا يشذ عن هذه القاعدة طول السور[٥].

ان الشأن في سور القرآن - من هذه الوجهة - كالشأن في نماذج البشر، التي جعلها الله متميزة.. كلهم انسان، وكلهم له خصائص الانسانية، وكلهم له التكوين العضوي والوظيفي الانساني.. ولكنهم بعد ذلك نماذج منوعة أشد التنويع، نماذج فيها الأشباه القريبة الملامح، ومنها الأغيار التي لا تجمعها الا الخصائص الانسانية العامة[٦].

اقرأ أي سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن الكريم، وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة.. كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها، ووطأت أولاها لأخراها؟ فانك ستجدها بنية متماسكة، في غاية التضام

---

(٤) نفس المصدر السابق ص ١١٣.
(٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١ ص ٢٧.
(٦) نفس المصدر السابق جـ ٨ ص ١٢٤٣.

والالتحام[٧]. وكل منها لها **مقدمة.. وصلب.. وخاتمة..** وهو الهدف من دراستنا في هذا الفصل، بعد أن درسنا في الفصل السابق، القرآن الكريم ككل، ووجدنا أن نظام ترتيبه في المصحف جاء على شكل مقدمة.. وصلب.. وخاتمة..

* * *

ونقدم فيما يلي ثلاثة نماذج من سور القرآن (١ - الطوال ٢ - المئون ٣ - المثاني)، شاهدا على صحة ما ذكر من نظام الوحدات في السور، على كثرة أسباب اختلافها، وكيف جاءت سلسلة واحدة من الفكر، تتلاحق فيها الفصول والحلقات، ونسق واحد من البيان تتعانق فيه الجمل والكلمات[٨].

سورة البقرة

وأول تلك النماذج من قسم السور الطوال وهي سورة (البقرة) أطول سور القرآن الكريم كافة، وأكثرها جمعا للمعاني المختلفة، وقد اشتملت على (٢٨٦ آية)، وحوت فيما وصل الينا من أسباب نزولها، نيفا وثمانين نجما، وكانت الفترات بين نجومها تسع سنين عددا[٩].

---

(٧) محمد عبد الله دراز - النبأ العظيم/نظرات جديدة في القرآن - (الكويت الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ص١٥٤ - ١٥٥ وجدير بالذكر أن القرآن الكريم في جل أمره، ما كان ينزل بهذه المعاني المختلفة جملة واحدة، بل كان يتنزل بها احادا مفرقة، على حسب الوقائع والدواعي المتجددة. وان هذا الانفصال الرماني بينها، والاختلاف الذاتي بين دواعيها، كان بطبيعته مستتبعا لانفصال الحديث عنها على ضرب من الاستقلال والاستئناف لا يدع بينها منزعا للتواصل والترابط. ومع ذلك جاءت متماسكة مترابطة تمام التماسك والترابط، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني نفسها. وانما هو حسن السياق، ولطف التمهيد في مطلع كل عرض ومقطعة وأثنائه، يريك المنفصل متصلا، والمختلف مؤتلفا، وهذا من الاعجاز القرآني.

(٨) نفس المصدر السابق ص١٥٧.

(٩) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

ولقد أفاض الدكتور محمد عبد الله دراز، في كتابه (النبأ العظيم...) في الكلام عن هذه السورة، ونحن هنا نقدم خلاصة وافية لهذه الدراسة الجيدة لأهميتها وفائدتها العظيمة للدارسين(١٠)..

ان سورة (البقرة) على طولها، تتألف وحدتها من: **مقدمة.. وصلب** يشتمل على أربعة مقاصد.. **وخاتمة**.. على هذا الترتيب: -

فالمقدمة: في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدا من الوضوح، لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وانما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.

والصلب: على أربعة مقاصد:

★ المقصد الأول: في دعوة الناس كافة الى اعتناق الاسلام.

★ المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب، دعوة خاصة، الى ترك باطلهم، والدخول في هذا الدين الحق.

★ المقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلا.

★ المقصد الرابع: ذكر الوازع والنازع الديني، الذي يبعث

---

(١٠) أنظر الكتاب من ص ١٦٣ حتى ص ٢١١//ويقول الدكتور دراز قبل الدحول في دراسته «واعلم انه ليس من همنا الآن أن نكشف لك عن جلة الوشائج اللفظية والمعنوية التي تربط أجزاء هذه السورة الكريمة بعضها ببعض، فتلك دراسة تفصيلية لها مجالها في كتب التفسير..... وانما نريد أن نعرض عليك السورة عرضا واحدا، نرسم به خط سيرها الى غايتها، ونبرز به وحدة نظامها المعنوي في جلتها، لكي ترى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كل حلقة موقعها من تلك السلسلة العظمى... فلا يتقدم الناظر الى البحث في الصلات الموضعية بين جرء وجزء منه - وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها - الا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها باحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها، على وجه يكون معوانا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة» (أنظر ص ١٥٨ - ١٥٩ من ذلك الكتاب).

على ملازمة تلك الشرائع، وينهى عن
مخالفتها.

أما الخاتمة: فهي في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يرجى لهم في آجلهم وعاجلهم..

أولا: المقدمة:

تشتمل مقدمة السورة على العشرين آية الأولى منها.. وقد بدئت السورة الكريمة بثلاثة أحرف مقطعة (ألم) لا عهد للعرب بتصدير الكلام بمثلها.. ومهما يكن من أمر المعنى أو السر الذي قصد اليه بهذه الأحرف، فان تقديمها بين يدي الخطاب، مع غرابة نظمها، وموقعها، من شأنه أن يوقظ الأسماع، ويوجه القلوب لما يلي هذا الأسلوب الغريب(١١).

وألحقت بهذه الأحرف الثلاثة، جمل ثلاثة: أما أولاهن فاعلان للسامع أن ما سيتلى عليه الآن، هو خير كتاب أخرج للناس.. وأما الأخريان، فيدعمان هذا الحكم بالحجة والبرهان. فهذا القرآن هو الحق المحض، الذي لا باطل فيه، والهدى المبين، الذي يخرج الناس من الظلمات الى النور.

هكذا كان موقع هذه الجمل الثلاثة بعد تلك الأحرف الثلاثة، موقع التنويه بالمقصود، بعد التنبيه اليه.. وكذلك الصحفي عندما يبدأ موضوعه، عليه أن يجذب القراء ويشد انتباههم، باتخاذ الوسائل المشوقة التي تثير فيهم بواعث الاقبال على قراءة ما يكتبه وطلب الاستفادة منه.

---

(١١) أنظر ما سبق الحديث عنه في هذا المجال بموضعه بالفصل الثالث من الباب الثاني من هذا الكتاب.

وأول ما تتشوف اليه النفس بعد سماع هذا الوصف البليغ للقرآن وهدايته، هو تعريف الأثر الذي سيحدثه في الناس، ومقدار اجابتهم لدعوته، ولذلك انساق الحديث لبيان هذه الحقيقة العجيبة، وهي انقسام الناس في شأنه الى فئات ثلاث: فئة **تؤمن به**، لأنهم قوم حصلوا على فضيلة التقوى، بركنيها العلمي والعملي، لاستمساكهم بالهدى، ومآلهم الفوز والفلاح.. **وأخرى كافرة**، لأنهم مجردون من أساس التقوى وهو الايمان، ومصرون على ذلك اصرارا لا ينفع معه انذار، وذلك لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من وسائل العلم، وعاقبة أمرهم العذاب العظيم.. **وثالثة مترددة حائرة**، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، فهم يقولون بألسنتهم أنهم مؤمنون، وليس في قلوبهم من الايمان شيء، بقصد المخادعة، ولمرض في قلوبهم، وجزاؤهم الضلال والخسران.

هنا تمت (المقدمة)، بعد أن وصف القرآن بما هو أهله، ووصف متبعيه ومخالفيه كلا بما يستحقه.. فما هو ذلك الحق الذي لا يتبعه الا مهتد فعلم، ولا يعرض عنه الا ضال خاسر؟ بل ما هو ذلك الحق الذي ضربت له الأمثال بالضياء الباهر والغيث الكثير؟.. لا شك أن هذا كله تشويق لسماع الحقائق التي يدعو القرآن الناس اليها.. فانظر على أي نحو ساق القرآن الكريم بيانها في صلب السورة..

ثانيا: الصلب:

يشتمل صلب السورة الكريمة، كما سبق أن ذكرنا، على أربعة مقاصد تفصيلها على النحو التالي:

(*) فالمقصد الأول منها يقع في الآيات من ٢١ حتى ٣٩، **ونجد الآيات الخمس الأولى** منها قد بدأت بدءا قويا، موجها الى الناس عامة، والعالم كلية بثلاثة مطالب:

١ - أن لا تعبدوا الا الله، ولا تشركوا به شيئا.

٢ - أن آمنوا بكتابه الذي نزله على عباده.

٣ - أن اتقوا أليم عذابه، وابتغوا جزيل ثوابه.

هذه المطالب الثلاثة، هي الأركان الثلاثة للعقيدة الاسلامية، نراها قد بسطت مرتبة على ترتيبها الطبيعي، من المبدأ الى الواسطة، الى الغاية.. **وفي الآيات الأربعة عشرة التالية** للخمسة السابقة، عاد الكلام فيها الى المقصد الأول بأركانه الثلاثة، ولكن في ثوب جديد، ختمه بالكلام في شأن المخالفين تمهيدا للانتقال مرة أخرى الى نداء فريق منهم، ودعوتهم الى الاسلام، وهو المقصد الثاني من مقاصد السورة.

(*) **وقد جاء هذا المقصد الثاني** في الآيات من ٤٠ حتى ١٦٢. وقد أفاضت تلك الآيات في الحديث عن أشد الناس عداوة للذين آمنوا، الذين كانوا يسكنون المدينة، وهم اليهود، ودعوتهم بعد دعوة الناس عامة.. وقد تبسط الحديث معهم تارة، وعنهم تارة أخرى، بألوان تختلف هجوما، ودفاعا، واستمالة، واستطالة الى ما بعد نصف السورة.

بدأ الكلام معهم بآية فذة (الآية ٤٠) هي على قلة كلماتها، جامعة لأغراض الحديث كله: ففيها يناديهم بأحب أسمائهم، وأشرف أنسابهم، ويذكرهم بسابق نعمة الله عليهم

اجمالا، ويبني علـى ذلـك دعوتهم الى الوفـاء بعهـدهم، ويرغبهم، ويرهبهم، ثم رجع الى هذه الأغراض يفصلها: فشرح العهد الذي طلب منهم الوفاء به في ست آيات (٤١ - ٤٦) وبين مقدار النعمة التي امتن بها عليهم في الآية (٤٧) ونداء المخافة التي خوفهم منها في آية أخرى (٤٨). ثم قسم الحديث الى أربعة أقسام: **القسم الأول**: يذكر فيه سالفة اليهود منذ بعث موسى عليه السلام (٤٩ - ٧٤) **والقسم الثاني**: يذكر فيه أحوال المعاصرين منهم للبعثة المحمدية (٧٥ - ١٢١) **والقسم الثالث**: يذكر فيه قدامى المسلمين منذ ابراهيم عليه السلام (١٢٢ - ١٣٤) **والقسم الرابع**: يذكر فيه حاضر المسلمين وقت البعثة (١٣٥ - ١٦٢).

ثم جاء مدخل الى المقصد الثالث، في خمس عشرة آية (١٦٣ - ١٧٧) وتضمن ثلاث خطوات: الأولى تقرير وحدة الخالق المعبود. والثانية تقرير وحدة الأمر المطاع، والثالثة فهرس اجمالي للأوامر والطاعات المطلوبة.

(*) **أما المقصد الثالث** من مقاصد السورة، فقد جاء في ست ومائة آية (١٧٨ - ٢٨٣) فبعد ارساء الأساس، تكون اقامة البنيان. وبعد الاطمئنان على سلامة الخارج، يجيء دور البنـاء والانشاء من الـداخـل. حيـث تم (اصـلاح العقيدة) التي هي روح الدين وجوهره، وبدأ (تفصيل الشريعة) التي هي مظهر الدين وهيكله.. وكانت العناية من قبل موجهة الى بيان (حقائق الايمان)، فتوجهت الآن الى بسط (شرائع الاسلام)..

وفي تلك الآيات رأينا فنا جديدا في المعاني، مهمته

رسم نظام العمل للمؤمنين، وتفصيل الواجب، والحرام، والحلال لهم في شتى مناحي الحياة في شأن الفرد، وفي شأن الأسرة، وفي شأن الأمة..

(*) وجاء **المقصد الرابع** من مقاصد السورة في آية واحدة (٢٨٤) فقد انتهت مهمة الأحكام التفصيلية، عند الحد الذي أراد الله بيانه في هذه السورة وبها ختم الشطر الثاني من الحقيقة الدينية، وهو شطرها العلمي بعد أن أرسى شطرها الاعتقادي.. وهكذا تناول البيان حتى الآن، حقائق الايمان، وشرائع الاسلام.. وبقي بعدهما (الاحسان) وهو ذروة الدين العليا، وكليته الكبرى، وهو كما فسره رسول الله ﷺ أن تراقب الله في كل شأنك، وأن تستشعر مشاهدته لك في سرك واعلانك، وأن تستعد لمحاسبته لك، حتى على ذات صدرك ودخيلة نفسك، وبيان ذلك في خاتمة السورة.

ثالثا: الخاتمة:

ثم نصل الى خاتمة السورة الكريمة، وهي في آيتين اثنتين (٢٨٥ - ٢٨٦) فقد تناول البيان أركان الدين كلها، وألم بعناصره جميعها: الايمان، والاسلام، والاحسان.. ولم يبق بعد تمام الحديث الا طي صحيفة هذه السورة الكريمة، واعلان ختامها..

لنعد بذاكرتنا الى الآيات الخمس التي افتتحت بها سورة (البقرة) لنرى كيف تتجاوب تلك **المقدمة**، مع هذه **الخاتمة**، ثم كيف يتعانق الطرفان، ليلتحم من قوسيهما، سور محكم

يحيط بهذه السورة، فاذا هي سورة حقا، أي بنية محبوكة مسورة.

لقد كان مطلع السورة وعدا كريما لمن يؤمن بها ويطيع أمرها، بأنهم أهل الهدي، وأهل الفلاح.. وهكذا جاء ختام السورة:

(١) بلاغا عن نجاح دعوتها: ﴿آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون.... وقالوا سمعنا وأطعنا﴾.

(٢) وفاء بوعدها لكل نفس بذلت وسعها في اتباعها: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾.

(٣) فتحا لباب الأمل على مصراعيه، أمام هؤلاء المهتدين. فليبسطوا اذا أكفهم مبتهلين: ﴿ربنا.. ربنا.. ربنا.. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

* * *

سورة المؤمنون

وهذا هو النموذج الثاني، وهو من قسم السور «المئين» التي تزيد على مائة آية وهي سورة «المؤمنون» أو هي سورة الايمان بكل قضاياه، ودلائله وصفاته، وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل. وجو السورة كلها هو جو البيان والتقرير، وجو الجدل الهادىء، والمنطق الوجداني، واللمسات الموحية للفكر والضمير.. ويتكون نظم السورة وترتيب آياتها (١١٨ آية) من **مقدمة.. وصلب** يشتمل على ثلاثة أشواط.. **وخاتمة**..[١٢] وذلك على النحو التالي:

---

(١٢) أنظر في ظلال القرآن جـ١٨ ص ٢٤٥٢ - ٢٤٥٣ و ص ٢٤٨٢ - ٢٤٨٣.

(١) **المقدمة**: تبدأ السورة في مطلعها أو مقدمتها، بتقرير الفلاح للمؤمنين ﴿قد أفلح المؤمنون﴾.. وتبين صفات المؤمنين هؤلاء الذين كتب لهم الفلاح، وتثني بدلائل الايمان في الأنفس والآفاق.

(٢) **الصلب**: ويمضي سياق السورة في صلبها على ثلاثة أشواط، حيث ينتقل **الشوط الأول**، من دلائل الايمان في الأنفس والآفاق، الى حقيقة الايمان التي توافق عليها الرسل دون استشناء ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره﴾. قالها نوح عليه السلام، وقالها كل من جاء من الرسل الكرام، حتى انتهت الى محمد عليه الصلاة والسلام.

ويتحدث **الشوط الثاني** عن تفرق الناس بعد الرسل، وتنازعهم حول تلك الحقيقة الواحدة، التي جاءوا بها ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾.

ويدعهم **الشوط الثالث** والأخير وشركهم، وزعمهم، ويتوجه بالخطاب الى رسول الله ﷺ، أن يدفع السيئة بالتي هي أحسن.

(٣) **الخاتمة**: وتختم السورة، وتنتهي بتقرير القاعدة الأولى للايمان.. التوحيد.. واعلان الخسارة الكبيرة لمن يشركون بالله، في مقابل الفلاح في أول السورة للمؤمنين، وبالتوجه الى الله في طلب الرحمة والغفران، وهو أرحم الراحمين ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾. ويجيء هذا الختام نتيجة طبيعية منطقية، لكل محتويات السورة، حيث يلتقي مطلع السورة وختامها، في تقرير الفلاح للمؤمنين، والخسران للكافرين وفي تقرير صفة الخشوع في الصلاة في مطلعها، والتوجه الى الله بالخشوع في ختامها، فيتناسق المطلع والختام في ظلال الايمان.

* * *

سورة النور

وأخيرا.. هذا هو النموذج الثالث، وهو من قسم السور (المثاني) التي تقل آياتها عن المائة وهي سورة (النور) التي جاء نظمها وترتيب آياتها (٦٤ آية) على أساس **مقدمة.. وصلب.. وخاتمة..** والمحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية، التي تشتد في وسائلها الى درجة الحدود، وترق الى درجة اللمسات الوجدانية، الرقيقة التي تصل القلب بنور الله، وبآياته المبثوثة في تضاعيف الكون، وثنايا الحياة. والهدف واحد في الشدة واللين، وهو تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر، ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة حتى تشف وترق، وتتصل بنور الله.. وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة، بوصفها نابعة كلها من معين واحد هو العقيدة في الله، متصلة كلها بنور أوحد هو نور الله. وهي في صميمها نور وشفافية، واشراق وطهارة.. تربية عناصرها من مصدر النور الأول في السماوات والأرض. نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض، والقلوب والضمائر والنفوس والأرواح[١٣].

(١) المقدمة:

ومقدمة هذه السورة تبدأ باعلان قوي حاسم، فريد في نوعه في القرآن الكريم كله، عن تقرير هذه السورة، وفرضها بكل ما فيها من حدود وتكاليف، ومن آداب وأخلاق ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ فيدل هذا البدء الفريد، على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقي في الحياة، ومدى عمق هذا العنصر وأصالته في العقيدة الاسلامية،

---

(١٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٨ ص ٢٤٨٦.

وفي فكرة الاسلام، وعن الحياة الانسانية[١٤].

(٢) **الصلب:**

بعد هذه المقدمة القوية الحاسمة، جرى سياق السورة حول محورها الأصيل في خمسة أشواط[١٥].. حيث شرعت السورة **في الشوط الأول** (الآيات من ٢ حتى ٢٦) في بيان ما ذكر في الآيات، وبيان أحكامها، وأولها بيان حد الزنا، وتفظيع هذه الفعلة، وتقطيع ما بين الزناة والجماعة المسلمة، فلا هي منهم، ولا هم منها.. ثم بيان حد القذف، وعلة التشدد فيه، واستثناء الأزواج من هذا الحد مع التفريق بين الزوجين بالملاعنة.. ثم حديث الافك وقصته.. وينتهي هذا الشوط بتقرير مشاكلة الخبيثين للخبيثات، ومشاكلة الطيبين للطيبات. وبالعلاقة التي تربط بين هؤلاء وهؤلاء.

ويتناول الشوط الثاني، (من الآية ٢٧ حتى الآية ٣٤) وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنيب النفوس أسباب الاغراء والغواية. فيبدأ بآداب البيوت والاستئذان على أهلها، والأمر بغض البصر، والنهي عن ابداء الزينة للمحارم، والحض على انكاح الأيامي، والتحذير من دفع الفتيات الى البغاء.. وكلها أسباب وقائية لضمانة الطهر والتعفف في عالم الضمير والشعور، ودفع المؤثرات التي تهيج الميول الحيوانية، وترهق أعصاب المتحرجين المتطهرين، وهم يقاومون عوامل الاغراء والغواية.

ويتوسط الشوط الثالث (من الآية ٣٥ حتى الآية ٤٥) مجموعة الآداب التي تتضمنها السورة، فيربطها بنور الله، ويتحدث عن

---

(١٤) نفس المصدر السابق، جـ ١٨ ص ٢٤٨٥ - ٢٤٨٦. [راجع تفصيل ذلك تحت عنوان (استهلال فريد) في موضعه بالفصل الثالث من الباب الثاني السابق.] ص ١٨٨.

(١٥) نفس المصدر السابق، جـ ١٨ ص ٢٤٨٦.

أطهر البيوت التي يعمرها، وهي التي تعمر بيوت الله. وفي الجانب المقابل الذين كفروا، وأعمالهم كسراب من اللمعان الكاذب، أو كظلمات بعضها فوق بعض. ثم يكشف عن فيوض من نور الله في الآفاق: في تسبيح الخلائق كلها لله. وفي أزجاء السحاب. وفي تقليب الليل والنهار، وفي خلق كل دابة من ماء، ثم اختلاف أشكالها، ووظائفها، وأنواعها، وأجناسها مما هو معروض في صفحة الكون للبصائر والأبصار.

ويتحدث الشوط الرابع (من الآية ٤٦ حتى الآية ٥٧) عن مجافاة المنافقين للأدب الواجب مع رسول الله ﷺ، في الطاعة، والتحاكم، ويصور أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم، ويعدهم على هذا ،الاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين.

ثم يعود الشوط الخامس (من الآية ٥٨ حتى الآية ٦٣) الى آداب الاستئذان والضيافة في محيط البيوت بين الأقارب، والأصدقاء، والى آداب الجماعة المسلمة كلها كأسرة واحدة، مع رئيسها ومربيها رسول الله ﷺ، وبذلك ينتهي **صلب السورة**، الذي قام ببيان ما ذكر من الآيات، وبيان أحكامها التي يجب التزامها، والعمل بها..

(٣) **الخاتمة**

وتتم السورة، وتختم بقوله تعالى: ﴿ألا ان لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا، والله بكل شيء عليم﴾ (الآية ٦٤).

وهذا أحسن ما يختتم به هذه الأوامر، والتكاليف، فيبين في ختامها أنها صادرة من مالك الأمر كله، المتصرف في ملكوت

السماوات والأرض، العالم بواقع الناس، وما تنطوي عليه حناياهم، ورجعتهم اليه، وحسابهم على ما يعلمه من أمرهم. وهو بكل شيء عليم.

فهكذا بدأت هذه السورة الجليلة، بلفت انتباه المؤمنين الى أحكامها العظيمة، وضرورة التقيد بها، والعمل بموجبها. وهكذا اختتمت بتعليق القلوب والأبصار بالله، وتذكيرها بخشيته وتقواه.... فهذا هو الضمان الأخير، وهذا هو الحارس لتلك الأوامر، والنواهي، وهذه الأخلاق والآداب، التي فرضها الله في هذه السورة، وجعل فيها صلاح نفوسنا ومجتمعنا[١٦].

★ ★ ★

خلاصة ما سبق.. فقد رأينا أن السورة القرآنية - مهما طالت، وتعددتقضاياها وأغراضها - ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص ولها محورها الذي تشد اليه موضوعاتها جميعا وتدور حوله، ولها أيضا ترتيبها الخاص الذي يتألف من (مقدمة... وصلب... وخاتمة) مما يجعل الكلام يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، في وحدة تامة كاملة، لا تباين فيها، ولا اختلاف ولا تنافر.. وهذا طابع عام في سور القرآن جميعا، يستوي في ذلك السور من قسم السبع الطوال، أو السور من قسم المئين (التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها) أو السور من قسم المثاني (التي تلي القسم السابق في عدد الآيات أو تقل عن مائة).. وقد درسنا فيما سبق ثلاثة نماذج من السور تمثل هذه الأقسام الثلاثة.. يبقى بعد ذلك في هذا الباب

---

(١٦) في ظلال القرآن، المصدر السابق، جـ ١٨ ص ٢٤٨٧ و ص ٢٥٣٦، وكذلك منهج سورة النور في اصلاح النفس والمجتمع للدكتور كامل سلامة الدقس (جدة - الطبعة الثانية ١٩٧٦ م) ص ٤١٧ - ٤١٩.

الثالث، (الخاص بالمعالم القرآنية للموضوع الصحفي) أن ندرس نماذج من القصص القرآنية.. وهذا هو موضوع الفصلين التاليين.

* *
*

الفصل الثالث

الموضوع على ضوء قصص قرآنية قصيرة ومتوسطة

ان القصة في القرآن الكريم، ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه، وطريقة عرضه، وادارة حوادثه.. انما هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة، الى تحقيق هدفه الأصيل. فالقرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة احدى وسائله لابلاغ هذه الدعوة وتثبيتها.. وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها، وادارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية، وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات معينة.... ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها حيث أن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني، والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل انه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية. اذ أن هذا الجمال الفني يجعل ورودها الى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق[١].

وبديهي أن القصص القرآني، اذ ينقل صورا من أحداث الماضي، فانه لا ينقل كل ما تلبس بها من قريب وبعيد، وانما يأخذ منها ما كان ذا دلالة واضحة عليها في الكشف عن الوجه المعبر منها عن الحدث، والمضمون الذي اشتمل عليه. فهذا القصص القرآني لم يكن تأريخا للحياة كلها وأحداثها، وانما يمسك من الأحداث والوقائع بما يراه مجليا

---

(١) التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص١١٩ و ص ١٤٨.

عن عبرة، كاشفا عن عظة لتنتفع بها الدعوة الاسلامية، في مقام الدعوة الى الله والتعرف عليه. ويعنيه في الحدث الدلالة التي يدل عليها، والعظة التي تنكشف للناس منه[٢].

وهذا القصص القرآني، وان يكن سماوي المطلع، فهو بشري الصورة، انساني المنازع والعواطف، يتحدث عن الناس الى الناس، ويأخذ من الحياة للحياة.. يقرأه الناس ويسمعونه، فكأنما يقرأون أطواء نفوسهم، ويسمعون همس ضمائرهم، ووسوسة خواطرهم. ومن هنا فهم يحيون معه، وينتفعون به[٣].

واذا تأملنا في الأسلوب الذي تقدم به القصص القرآنية، وما له من تأثير نفسي وفني، يتضح وجه تسميتها بالقصة، استنادا الى مدلولها اللغوي، باعتبار أن أصل الاشتقاق للفظ (قصة) يلتقي في المعنى مع المدلول الذي انبنى عليه أصل التسمية القرآنية، وهو الاعلام بالنبأ[*]

﴿نحن نقص عليكَ نبأهم بالحق﴾ (سورة الكهف آية ١٣) أو تتبع الأثر وتقصيه ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ (سورة القصص آية ١١) وأيضا اعتمادا على ما في عرضها من طرق فنية[٤].

واذا نظرنا الى الخصائص الفنية العامة التي تحقق الغرض الديني للقصة القرآنية، نجد أنها تتركز في ثلاثة أنواع: **أولها**: تنوع طريقة المفاجأة.. **وثانيها**: تنوع طريقة العرض.. **وثالثها**: تلك الفجوات التي بين أحداث القصة ليملأها الخيال. وهذه الطريقة متبعة في جميع

---

(٢) عبد الكريم الخطيب - التفسير القرآني للقرآن (القاهرة - بدون تاريخ) الكتاب العاشر ص ١٠٤ و ص ١٠٧.

(٣) نفس المصدر السابق ص ١١٠.

(*) راجع ما سبق حول (القصة والنبأ والخبر) في موضعه بالفصل الأول من الباب الأول.

(٤) سيكولوجية القصة في القرآن (التهامي نفرة) مصدر سابق ص ٨٥ - ٨٦.

القصص القرآني على وجه التقريب. وستتناول الدراسة نماذج من القصص القرآني في اطار تلك الأنواع..

* * *

لقد رأينا في الفصلين السابقين، كيف اقتضت حكمة الله تعالى، أن يكون ترتيب سور المصحف بكامله، على ما يشبه: **المقدمة** (سورة الفاتحة).. **والصلب** (سور القرآن) **والخاتمة** (جزء عم).. ووجدنا هذا التقسيم أيضا في أغلب سور القرآن الكريم، التي جمعت بين آيات مختلفة النزول زمانا ومكانا، ولكن لأمر ما، وسر دقيق جمعت في سورة واحدة، تهدف الى غرض واحد، ولها **مقدمة، وصلب، وخاتمة** أيضا..

وها نحن في هذا الفصل، والذي يليه، نسير على نفس الدرب، لنقدم بعض نماذج القصص القرآنية، نثبت من خلال عرضها، أنها أيضا جاءت على نفس النسق القرآني الكريم، في ترتيب آياتها وتطورات أحداثها، على هيئة **مقدمة وصلب، وخاتمة**، بطريقة فنية فريدة رائعة، تستهدف شد القارىء، وجذبه وتشويقه الى قراءتها، لتحقيق هدف القرآن الكريم من الموعظة والاعتبار.. وسنقدم في هذا الفصل بعض النماذج من القصص القرآنية القصيرة والمتوسطة فقط والتي تتوفر فيها الخصائص الفنية من تنوع طريقة المفاجأة، وتنوع طريقة العرض، وتتخلل أحداثها فجوات يملأها الخيال، كما سبق أن أوضحنا.

* * *

موسى والعبد الصالح:

وفي اطار القسم الخاص بتنوع طريقة المفاجأة، ضمن الخصائص الفنية العامة التي تحقق الغرض الديني للقصة القرآنية، نقدم فيما يلي نموذجا يكتم فيه سر المفاجأة عن الشخص الرئيسي في القصة، وعن القراء، حتى يكشف لهم معا في آن واحد.. وهذا النموذج يتمثل في

قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح العالم، في سورة الكهف[٥]..
وتبدأ القصة بقوله تعالى: ﴿واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا * فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا * فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا * قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ (سورة الكهف الآيات ٦٠ - ٦٣).

هذه مقدمة تلك القصة.. ونفهم من سياق القصة فيما بعد، أنه كان لموسى عليه السلام هدف من رحلته هذه التي اعتزمها. وانه كان يقصد من ورائها أمرا، فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول. والأرجح أن الحوت كان مشويا، وأن احياءه واتخاذه سبيله في البحر سربا كان آية من آيات الله لموسى عليه السلام، يعرف بها موعده بدليل عجب فتاه من اتخاذه سبيله في البحر، ولو كان يعني أنه سقط منه فغاص في البحر، ما كان في هذا عجب. ويرجح هذا الوجه أن الرحلة كلها مفاجآت غيبية.. فهذه احداها[٦].

وهنا تنتهي المقدمة، ثم نجد حلقة الوصل، التي تمهد للانتقال من المقدمة الى الصلب ﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا * فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ (سورة الكهف الآيتان ٦٤ - ٦٥).

فقد أدرك موسى عليه السلام أنه جاوز الموعد الذي حدده ربه للقاء العبد الصالح. وأنه هنالك عند الصخرة، ثم عاد على أثره هو

---

(٥) التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص ١٥٠.
(٦) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٥ ص ٢٢٧٨.

وفتاه، فوجداه، ويبدو أن ذلك اللقاء كان سر موسى عليه السلام وحده مع ربه، فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه. ومن ثم ينفرد موسى عليه السلام والعبد الصالح[7]، في التفصيلات التالية للقصة والتي تمثل صلبها..

- ﴿قال له موسى: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا؟﴾.
- ﴿قال: انك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا﴾
- ﴿قال: ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا﴾
- ﴿قال: فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾

(سورة الكهف الآيات ٦٦ - ٧٠)

وفي هذا الحوار الذي يبدأ به **صلب القصة**، يستفهم موسى عليه السلام، بالأدب اللائق بنبي، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم، ويخشى العبد الصالح الذي أوتي العلم اللدني على موسى ألا يصبر على صحبته وتصرفاته. ويعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين بالله ويقدم مشيئته، فيذكر الرجل له شروط صحبته قبل الرحلة. ويرضى موسى[8]..

ثم نجد أنفسنا أمام ثلاثة أحداث تتوالي في صلب القصة..
﴿فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها..........﴾
﴿فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله ....﴾
﴿فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية ....﴾

(٧) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٨) نفس المصدر السابق ص ٢٢٧٩.

﴿قال: هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾
(سورة الكهف الآيات ٧١ - ٧٨)

والى هنا.. كان موسى عليه السلام، ونحن الذين نتابع سياق القرآن، أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سرا. وموقفنا منها كموقف موسى عليه السلام، لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة. فلم ينبئنا القرآن الكريم باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا. وما قيمة اسمه؟ انما يراد به أن يمثل الحكمة الالهية العليا التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف الى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة. فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنية التي يمثلها، وان القوى الغيبية لتتحكم في القصة منذ بدايتها.. كل الجو غامض مجهول، وكذلك اسم الرجل الغامض مجهول في السياق القرآني[٩].

ثم نصل الى **خاتمة القصة**، حيث يأخذ السر في التجلي، فيعلمه موسى عليه السلام، ونعلمه نحن الذين نتابع سياق القرآن..

﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ....﴾
﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين ....﴾
﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ....﴾

(سورة الكهف الآيات ٧٩ - ٨٢)

وفي دهشة السر المكشوف، يختفي الرجل من السياق كما بدأ. لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول. فالقصة تمثل الحكمة الكبرى.

---

(٩) نفس المصدر السابق ص ٢٢٨١ وكذلك التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص ١٥١ - ١٥٢.

وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها الا بمقدار، ثم تبقى مغيبة في علم الله وراء الأستار[10].

* * *

أصحاب الكهف

تعرض قصة أصحاب الكهف، نموذجا للايمان في النفوس المؤمنة، كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به الى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس، وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة، ويقيها الفتنة، ويشملها بالرحمة[11].

وهذه القصة تأتي في اطار القسم الخاص بتنوع طريقة العرض، ضمن الخصائص الفنية العامة التي تحقق الغرض الديني للقصة القرآنية.. والطريقة التي أتبعت في عرض هذه القصة من الناحية الفنية، هي طريقة التلخيص الاجمالي للقصة في **المقدمة**.. ثم **الصلب** الذي يشتمل على العرض التفصيلي لما أجملته المقدمة، مع وجود فجوات بين المشاهد والأحداث يعرف ما فيها من السياق.. وأخيرا **الخاتمة** التي جاءت على شكل تعقيب على القصة..

والقصة تبدأ **بالمقدمة** هكذا ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا * اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾. (سورة الكهف الآيات ٩ - ١٢).

ذلك تلخيص يجمل في المقدمة محتويات القصة، ويرسم خطوطها

---

(١٠) المصدران السابقان الأول ص ٢٢٨٢ والثاني ص ١٥٢.

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١٥ ص ٢٢٦٠.

الرئيسية العريضة، فنعرف أن أصحاب الكهف فتية مؤمنون - لا نعلم عددهم - آووا الى الكهف وناموا فيه سنين معدودة، لا نعلم عددها.. ثم بعثوا من رقدتهم الطويلة. وكان هناك فريقان يتجادلون في شأنهم ليتبين أي الفريقين أدق احصاء[(١٢)].

بعد هذه المقدمة التي اشتملت على التلخيص المشوق للقصة. ننتقل الى الصلب، حيث يأخذ السياق القرآني في تفصيل النقاط الرئيسية الأربعة التي اشتملت عليها المقدمة نقطة نقطة..

ونسير مع صلب القصة.. وكانت النقطة الأولى التي فصلها الصلب هي قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ★ وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه الها، لقد قلنا اذا شططا★ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ★ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا﴾.
(سورة الكهف الآيات ١٣ - ١٦)

بهذا بدأ صلب القصة في تفصيل النقطة الأولى التي أجملتها المقدمة؛ حيث نشهد أصحاب الكهف يتشاورون في أمرهم بعدما اهتدوا الى الله بين قوم مشركين، لكي يلجأوا الى الكهف حيث يستروحون رحمة الله. ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة يشملهم بالرفق والرخاء. ثم يبدأ الصلب في تفصيل النقطة الثانية التي أجملتها المقدمة، حيث نجد الفتية وقد نفذوا ما استقر عليه رأيهم، فها هم أولاء في الكهف، وها

---

(١٢) نفس المصدر السابق ص ٢٢٦١.

هم أولاء نراهم رأى العين. فما يدع التعبير هنا شكا في أننا نراهم يقينا(١٣).

﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ★ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾.
(سورة الكهف الآيتان ١٧ - ١٨)

وهو مشهد تصويري عجيب، ينقل بالكلمات هيئة الفتية في الكهف.... والشمس تطلع على الكهف فتميل عنه كأنها متعمدة. والشمس تغرب فتجاوزهم الى الشمال، وهم في فجوة منه، ثم يمضي السياق يكمل المشهد العجيب. وهم يتقلبون من جنب الى جنب في نومتهم الطويلة، فيحسبهم الرائي أيقاظا وهم رقود وكلبهم - على عادة الكلاب - باسط ذراعيه بالفناء قريبا من باب الكهف كأنه يحرسهم. وهم في هيئتهم هذه يثيرون الرعب في قلب من يطلع عليهم اذ يراهم نياما كالأيقاظ، يتقلبون، ولا يستيقظون. وذلك من تدبير الله كي لا يعبث بهم عابث، حتى يحين الوقت المعلوم(١٤).

وفجأة تدب فيهم الحياة.. وهذا هو الحدث الثالث، الذي أجملته المقدمة.. فلنقرأ: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ★ انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم

(١٣) نفس المصدر السابق ص ٢٢٦٢ وكذلك النصوير الفني في القرآن (سيد قطب) ص ١٥٦ - ١٥٧.

(١٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٥ ص ٢٢٦٣.

أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا﴾.

(سورة الكهف الآيتان ١٩ - ٢٠)

ان السياق يحتفظ بالمفاجأة في عرض القضية فيعرض هذا الحدث، والفتية يستيقظون وهم لا يعرفون كم لبثوا منذ أن أدركهم النعاس.. ويلتفت أحدهم الى الآخرين فيسأل: كم لبثتم؟ كما يسأل من يستيقظ من نوم طويل ﴿قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم﴾.. ثم رأوا أن يتركوا هذه المسألة التي لا طائل وراء البحث فيها، ويدعوا أمرهم لله - شأن المؤمن في كل ما يعرض له مما يجهله - وأن يأخذوا في شأن عملي، فهم جائعون، ولديهم نقود فضية خرجوا بها من المدينة فيرسلوا أحدهم الى المدينة ليتخير لهم أطيب طعام، ويأتي لهم بشيء منه.. وهم يحذرون أن ينكشف أمرهم، ولذلك يوصون رسولهم أن يتلطف ولا يشعرن بهم أحدا، لئلا يعرف القوم مقرهم فيرجموهم أو يعيدوهم في ملتهم[١٥].

وهنا ينتهي ذلك التطور من القصة، ويبدأ ختامها، وبينهما فجوة متروكة في السياق القرآني ليملأها الخيال.. فنحن لا نجد الا أن أمرهم كشف وعثر الناس عليهم، وان كان الناس يومئذ مؤمنين لا كافرين[١٦].. والسياق يعرض مشهد وفاتهم والناس خارج الكهف يتنازعون في شأنهم، وكيف يخلدونهم، ويحفظون ذكراهم للأجيال، ويعمد مباشرة الى العبرة المستقاة من هذا الحادث العجيب.

﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾.

(سورة الكهف آية ٢١)

---

(١٥) نفس المصدر السابق، ص ٢٢٦٣ - ٢٢٦٤.

(١٦) التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص ١٥٨.

ان العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث، بمثل واقعي قريب محسوس، يقرب الى الناس قضية البعث، فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة لا ريب فيها.. وعلى هذا النحو بعث الله الفتية من نومهم، وأعثر قومهم عليهم[١٧].

ثم يجيء تعقيب على القصة، حيث نسمع الجدل حول أصحاب الكهف على عادة الناس، يتناقلون الروايات والأخبار، ويزيدون فيها، وينتصون، ويضيفون اليها من خيالهم جيلا بعد جيل، حتى تتضخم وتتحول وتكثر الأقاويل حول الخبر الواحد، أو الحادث الواحد كلما مرت القرون ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾.
(سورة الكهف آية ٢٢)

فهذا الجدل حول عدد الفتية لا طائل وراءه، وانه ليستوي أن يكونوا ثلاثة أو خمسة أو سبعة أو أكثر، وأمرهم موكول الى الله، وعلمهم عند الله.. لذلك يوجه القرآن الرسول ﷺ، الى ترك الجدل في هذه القضية، والى عدم استفتاء أحد من المتجادلين في شأنهم تمشيا مع منهج الاسلام في صيانة الطاقة العقلية أن تتبدد في غير ما يفيد[١٨]..

والى هنا لم نكن نعلم كم لبث الفتية في الكهف فلنعرفه الآن على وجه اليقين ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا﴾ (سورة الكهف آية ٢٥) فهذا هو فصل الخطاب.. وهكذا تنتهي القصة، تسبقها، وتتخللها، وتعقبها، تلك التوجيهات التي من أجلها يساق

---

(١٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٥ ص ٢٢٦٤.

(١٨) نفس المصدر السابق، ص ٢٢٦٤ - ٢٢٦٥.

القصص في القرآن، مع التناسق المطلق بين التوجيه الديني والعرض الفني في السياق[١٩].

★ ★ ★

مريم عند مولد عيسى:

وهذا النموذج لقصة العذراء مريم البتول عند مولد عيسى عليه السلام.. وفي هذا النموذج تذكر القصة مباشرة، ويكون في مفاجآتها الخاصة منذ البداية، ما يغني عن المقدمة بالشكل المتعارف عليه، ويكفي لجذب القارىء، وشد انتباهه على امتداد القصة من أولها الى آخرها[٢٠].

ونقدم عرضا لهذه القصة نقتطفه مما كتبه (سيد قطب) في هذا الصدد[٢١]. حيث تبدأ القصة مباشرة بقوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا★ فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا★ قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا﴾. (سورة مريم آية ١٦ - ١٨)

فها هي ذي في خلوتها، مطمئنة الى انفرادها.. ثم اذا بها أمام الهزة الأولى، حيث تفاجأ مفاجأة عنيفة تنقل تصوراتها نقلة بعيدة.. انها انتفاضة العذراء المذعورة، يفجؤها رجل في خلوتها، فتلجأ الى استثارة التقوى في نفسه ﴿قال: انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾ (سورة مريم آية ١٩) وهي هذه الهزة الثانية أو المفاجأة الثانية في القصة، وليتمثل الخيال مرة أخرى مقدار الفزع والخجل، وهذا الرجل

---

(١٩) نفس المصدر السابق ص ٢٢٦٦.

(٢٠) التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص١٥٠.

(٢١) نفس المصدر السابق ص١٦٠ - ١٦٣.

الغريب - الذي لم تثق بعد بأنه رسول ربها، فقد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها - يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول، وهو أنه يريد أن يهب لها غلاما، وهما في خلوة وحدهما.

ثم تدركها شجاعة الأنثى تدافع عن عرضها: ﴿قالت: أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا؟﴾ (سورة مريم آية ٢٠) هكذا في صراحة وبالألفاظ المكشوفة فهي والرجل في خلوة، والغرض من مباغتته لها، قد صار مكشوفا، فما تعرف هي بعد كيف يهب لها غلاما.. فالحياء اذا ليس يجدي، والصراحة هنا أولى.

﴿قال: كذلك قال ربك: هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا﴾. (سورة مريم آية ٢١)

هنا نجد فجوة فنية كبيرة من فجوات القصة، تترك للخيال يتصورها.. ثم تمضي القصة في طريقها، لتأتي الهزة الثالثة، حيث نرى هذه العذراء المسكينة في موقف آخر أشد هولا: ﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾(سورة مريم الآيتان ٢٢ - ٢٣).

فلئن كانت في الموقف الأول تواجه الحصانة. والتربية، والأخلاق بينها وبين نفسها، فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة. ثم هي تواجه آلاما جسدية بجانب الآلام النفسية، وهي وحيدة فريدة، تعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء.. اننا نكاد نرى ملامحها ونحس اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها..

﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا * وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلي واشربي وقري عينا

فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا﴾ (سورة مريم الآيات ٢٤ - ٢٦).

وهذه هي الهزة الرابعة. والمفاجأة العظمى طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها، ويمهد لها مصاعبها، ويهيء لها طعامها.. ونحسبها قد دهشت طويلا وبهتت طويلا، قبل أن تمد يدها إلى جذع النخلة تهزه ليساقط عليها رطبا جنيا.. ولكن هنا فجوة تترك للخيال أن يقيم عندها قنطرة ويعبرها. فلتطمئن الآن مريم ولتنتقل الهزات النفسية الى سواها ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا: يا مريم لقد جئت شيئا فريا ★ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾.

(سورة مريم الآيتان ٢٧ - ٢٨)

ان الهزة لتطلق ألسنتهم بالسخرية والتهكم على (أخت هارون) وفي تذكيرها بهذه الأخوة ما فيه من مفارقة. فهذه حادثة في هذا البيت لا سابقة لها.

﴿فأشارت اليه قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾

(سورة مريم آية ٢٩)

ويبدو أنها كانت مطمئنة لتكرار المعجزة هنا. أما هم فكان العجب يساورهم، والسخرية تجيش بها نفوسهم، وهم يرون عذراء تواجههم بطفل ثم تتبجح فتشير اليهم ليسألوه عن سرها.

ولكن ها هي ذي المعجزة المرتقبة ﴿قال: اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ★ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ★ وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ★ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾.

(سورة مريم الآيات ٣٠ - ٣٣)

وفي هذه اللحظة تنتهي القصة، ونسمع في لهجة التقرير، وفي أنسب

فرصة للاقناع والاقتناع ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ★ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ★ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾.

(سورة مريم الآيات ٣٤ - ٣٦)

لقد برز الغرض الديني هنا، وبرزت مشاهد القصة، وبرزت معا قوة العواطف والانفعالات وهي شتى. وهذا اللون هو الذي يطبعها ويغلب فيها على الألوان الأخرى.

★ ★ ★

بقرة بني اسرائيل:

وفي اطار تنوع طريقة العرض، وجمال الأداء الفني في عرض القصة، بدءا ونهاية، وتناسقا مع السياق، فهذا نموذج لقصة قرآنية قصيرة بدأها الله سبحانه بذكر الشطر الثاني، مع تأخير الشطر الأول، ليكون في ذلك تشويق لمعرفة مبدأ القصة، حتى تتحرك العواطف وتشتد الاثارة، وتتشوق النفوس للتعرف على نقطة الانطلاق، وبدء المطاف في القصة، فيسير القارىء أو السامع مع القصة في شوق ورغبة وتطلع بعد أن يحضر الذهن، ويتركز ويشتد اتجاهه لتعرف الأمر واستطلاع جوانبه[٢٢].

هـذه القصة، هي قصة بقرة بني اسرائيل.. نبدؤها فاذا نحن أمام مجهول لا نعرف ما وراءه.. ﴿واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ★ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض

---

(٢٢) بحوث في قصص القرآن، (السيد عبد الحافظ عبد ربه) مصدر سابق ص ٦١ - ٦٢.

ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ★ قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ★ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ★ قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾. (سورة البقرة الآيات ٦٧ - ٧١)

فنحن لا نعرف من مبدأ عرض القصة، لماذا يأمر الله بني اسرائيل أن يذبحوا بقرة، كما أن بني اسرائيل اذ ذاك لم يعرفوا. وفي هذا اختبار لمدى الطاعة والاستجابة والتسليم.. ونتابع الحوار في عرض القصة بين موسى عليه السلام وقومه، فلا نرى الحوار ينقطع ليثبت ما دار بين موسى عليه السلام وربه، على حين أنهم كانوا في كل مرة يطلبون منه أن يسأل ربه، فكان يسأله ثم يعود اليهم بالجواب.. ولكن سياق القصة لا يقول انه سأل ربه، ولا ان ربه أجابه.. ان هذا السكوت هو اللائق بعظمة الله، التي لا يجوز أن تكون في طريق اللجاجة التي يزاولها بنو اسرائيل[٢٣].. فمن وجوه الاعتبار في هذه القصة، أن التنطع في الدين، والاحفاء في السؤال، مما يقتضي التشديد في الأحكام. فمن شدد شدد عليه، ولذلك نهى الله تعالى هذه الأمة عن كثرة السؤال[٢٤].،

عندئذ، وبعد تنفيذ الأمر، والنهوض بالتكليف، نعود لمبدأ القصة. حيث كشف الله لهم عن الغاية من الأمر والتكليف، الذي جاء في شطرها الثاني ﴿واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم

---

(٢٣) في ظلال القران، مصدر سابق، جـ١ ص ٨٠.

(٢٤) تفسير المنار، مصدر سابق، جـ١ ص ٢٨٦.

تكتمون ★ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾. (سورة البقرة الآيتان ٧٢ - ٧٣).

وهنا نصل الى جانب دلالة القصة على قدرة الخالق، وحقيقة البعث، وطبيعة الموت والحياة.. لقد كشف الله لقوم موسى عن الحكمة من ذبح البقرة وكانوا قد قتلوا نفسا منهم، ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلحقها بسواه. ولم يكن هناك شاهد فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القتيل ذاته.. وكان ذبح البقرة وسيلة الى احيائه، وذلك بضربه ببعض من تلك البقرة الذبيح.. وهكذا كان.. فعادت اليه الحياة، ليخبر بنفسه عن قاتله، ولتجلوا الريب والشكوك التي أحاطت بمقتله، وليحق الحق ويبطل الباطل بأدق البراهين[٢٥].

★ ★ ★

قصة نوح عليه السلام:

وهذا نموذج لقصة قرآنية أخرى، تشتمل مقدمتها على النهاية، التي ستنتهي اليها القصة، والنتيجة التي أدت اليها تطورات الأحداث المتتالية، التي وردت في السياق.. هذه القصة هي جانب من قصة نوح عليه السلام كما وردت في سورة (هود).

وتبدأ **مقدمة** تلك القصة بقوله تعالى: ﴿وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ★ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون﴾. (سورة هود الآيتان ٣٦ - ٣٧)

تلك كانت **المقدمة**، وهي مقدمة شاملة، تلخص الموضوع، وتقدم خلاصته، حيث تتضمن تلقي نوح وحي ربه وأمره، بأن القلوب

(٢٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١ ص ٧٩.

المستعدة للايمان قد آمنت، أما البقية فليس فيها استعداد ولا اتجاه للايمان. فلم يبق مجال للمضي في دعوة لا تفيد، فلا تبتئس ولا تقلق، ولا تهتم بهذا الذي كان منهم، ودع أمرهم فقد سبق فيهم القضاء بأنهم مغرقون.

وبعد هذه **المقدمة** التي لخصت القصة، وجاءت بنهايتها وخاتمتها منذ اللحظات الأولى في بدايتها، ننتقل الى **صلب الموضوع**، الذي يشتمل على تفاصيل ما ورد ملخصا في المقدمة.. حيث تتوالى الأحداث في سرعة خاطفة. وتبدأ بمشهد نوح عليه السلام يصنع الفلك التي أمره الله تعالى بصنعها، وقد اعتزل القوم وترك دعوتهم وجدالهم: ﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ★ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾. (سورة هود الآيتان ٣٨ - ٣٩)

والتعبير بالمضارع، فعل الحاضر، هو الذي يعطي الحدث حيويته وجدته، فنحن نراه ماثلا لخيالنا من وراء هذا التعبير ﴿ويصنع الفلك﴾ وترى الجماعات من قومه المتكبرين يمرون به فيسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم إنه رسول ويدعوهم، ويجادلهم فيطيل جدالهم، ثم اذا هو ينقلب نجارا يصنع مركبا.. انهم يسخرون لأنهم لا يرون الا ظاهر الأمر، ولا يعلمون ما وراءه من وحي وأمر.. فأما نوح فهو واثق عارف وهو يخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء. انه يبادلهم سخرية بسخرية، لأنه يعلم يوم ينكشف المستور أنهم هم الذين سيأتيهم العذاب المقيم[٢٦].

ثم يأتي حدث التعبئة عندما حلت اللحظة المرتقبة.. ﴿حتى اذا جاء

---

(٢٦) نفس المصدر السابق جـ١٢ ص١٨٧٧.

أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ★ وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم﴾.

(سورة هود الآيتان ٤٠ - ٤١)

وكأن نظام العملية كان يقتضي أن يؤمر نوح بمراحلها واحدة واحدة في حينها، فينفذ الأمر. ويحمل في السفينة من كل نوع من الأحياء زوجين اثنين ذكر وأنثى. ويحمل فيها أيضا أهل بيته الا من سبق عليه القول فصار في عداد الكفار المغرقين، ويحمل فيها كذلك من آمن معه من قومه وقال نوح اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها، وهذه بشارة لهم بحفظها ورعايتها من الله.

ثم يأتي الحدث الهائل المرهوب، حدث الطوفان ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ★ قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾.

(سورة هود الآيتان ٤٢ - ٤٣)

وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة، يبصر نوح أحد أبنائه في معزل عنهم. وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، فلا تقدر مدى الهول الشامل ﴿قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء﴾ ويرد عليه نوح المدرك لحقيقة الهول، أن لا شيء في الوجود يعصم أحدا من أمر الله اذا نزل، وفي لحظة تتغير صفحة المشهد. ويبتلع الموج الغامر كل شيء، وكان الابن من المغرقين مع الكافرين[٢٧].

---

(٢٧) نفس المصدر السابق ص ١٨٧٨.

وهنا نصل الى الخاتمة التي ورد ذكرها في التلخيص الشامل بالمقدمة.. ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾.

(سورة هود آية ٤٤)

ويوجه الخطاب الى الأرض والى السماء بصيغة العاقل، فتستجيب كلتاهما للأمر الفاصل فتبلع الأرض الماء، وتكف السماء عن المطر، وينفذ القضاء، ورست السفينة على جبل الجودي ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ وهي جملة مختصرة، حاسمة، معبرة عن جوها أعمق تعبير وكانت خاتمة المطاف: النجاة والبشرى لنوح عليه السلام ولمن آمن معه، والهلاك والعذاب الأليم لمن كفر.. ذات البشرى، وذات الوعيد اللذان جاءا في مقدمة القصة، ترجمها الواقع المشهود[٢٨].

* * *

ويطول بنا المقام، لو ذهبنا نعرض نماذج من قصص القرآن القصيرة والمتوسطة، في مجال هذه الدراسة.. ولذلك نكف عن الاسترسال ففي تلك النماذج التي قدمناها ما يكفي ويفيض لمن يريد الاسترشاد بها والتعلم منها في كتابة الموضوعات الصحفية.. وقد رأيناها جميعا تسير في نسق ترتيب آيات القصة على أساس (المقدمة .. والصلب.. والخاتمة) مع خضوعها الكامل في موضوعها وطريقة عرضها وادارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية، الى جانب بروز الخصائص الفنية في عرضها، بهدف تيسير ورودها الى النفس، وتعميق وقعها في الوجدان. فالقصة في القرآن - كما قلنا - انما هي وسيلة من وسائله الكثيرة لتحقيق هدفه الأصيل، باعتباره كتاب دعوة دينية، والقصة احدى وسائله لابلاغ هذه الدعوة وتثبيتها..

---

(٢٨) نفس المصدر السابق ص ١٨٧٩ - ١٨٨٠.

وبعد أن تناولنا نماذج من القصص القصيرة والمتوسطة في القرآن الكريم.. يبقى أن نتناول القصص القرآني الطويلة.. وهذا موضوع الفصل التالي.

الفصل الرابع

الموضوع على ضوء قصص قرآنية طويلة

هذا الفصل يعتبر امتداداً طبيعيا، واستكمالا للدراسة التي بدأناها في الفصل السابق مباشرة، الذي قدمنا فيه نماذج من القصص القرآنية القصيرة والمتوسطة.. أما القصص الطويلة فقد آثرنا أن نفردها بهذا الفصل، لأن دراستها ستطول بعض الشيء عن مثيلتها السابقة.. ولقد رأينا فيما سبق أن القصة احدى وسائل القرآن الكريم الكثيرة لإبلاغ الدعوة الدينية وتثبيتها. ولم يمنع خضوع القصة القرآنية الكامل في موضوعها وطريقة عرضها للغرض الديني، من بروز الخصائص الفنية في عرضها، ليكون وقعها في الوجدان أعمق، وورودها الى النفس أيسر.

وان كانت القصص القصيرة والمتوسطة التي قدمنا لها نماذج من قبل، قد جاءت على نسق القرآن في ترتيب أحداثها وتطوراتها، على هيئة مقدمة.. وصلب. وخاتمة.. بطريقة فنية رائعة، لتشويق القارىء وجذبه الى القراءة في يسر وسهولة وفهم.. فان القصص القرآنية الطويلة أيضا جاءت على نفس النسق، ولم يحل دون ذلك، أو يخل به طول القصة وكثرة أحداثها وتطوراتها..

وتأكيدا لذلك، وتطبيقا له، نقدم في هذه الدراسة نموذجين لقصتين طويلتين، تعتبران خير مثال للفكرة التي نحاول أن نبلورها من خلال هذا الباب الثالث كله.. والقصة الأولى هي (قصة يوسف عليه السلام) التي وردت في سورة يوسف. والقصة الثانية هي (قصة موسى عليه السلام) التي وردت في سورة القصص..

أولا: قصة يوسف عليه السلام

تمهيد:

قبل أن نلتقي مع قصة يوسف عليه السلام، ونبدأ المسيرة مع أحداثها، ومراحل تطوراتها، من المفيد أن نلقي بعض الأضواء على عدة أمور هامة، وذلك مما يعين على مزيد من الفهم لتلك القصة، والوصول الى الكثير من الحقائق الفنية المودعة فيها..

(★) فان هذه القصة هي أطول قصة في القرآن الكريم، وقد انفردت بسورة كاملة من طوال السور سميت باسم (يوسف) الذي تدور حوله معظم أحداث تلك القصة وتتعلق به.. وهذا ما لم يكن لأية قصة أخرى من قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام.. كما جاءت تلك القصة في معرض واحد من القرآن الكريم، وفي ثمان وتسعين آية، ابتداء من الآية الرابعة من السورة الى الآية الواحدة بعد المائة وهذه ظاهرة لم تكن في قصة نبي من الأنبياء، حيث تتعدد المعارض، وتتنوع المشاهد في كل قصة، فتجيء القصة في أكثر من سورة، أو في مواضع متباعدة من السورة، حتى لقد تجيء بعض القصص في أكثر من مائة موضع في القرآن الكريم، كقصة موسى عليه السلام، التي عد العلماء ذكرها في مائة وعشرين موضعا.. وهذا العرض الممتد الجامع لقصة يوسف عليه السلام، يلفتنا الى ذلك الاعجاز القرآني، الذي يستولي على قارىء القصة، أو المستمع اليها من يقظة الوجدان، وتشوقه على امتداد العرض، وتعدد الأحداث، دون أن يفقد الشعور يقظته.. ودون أن يجد المتلقي لأحداث القصة مجالا للتحرك خارج مسارها[١].

(★) هذا الطابع الخاص لقصة يوسف عليه السلام يتناسب مع طبيعة

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

القصة، ويؤديها أداء كاملا.. ذلك أنها تبدأ برؤيا يوسف عليه السلام، وتنتهي بتأويلها بحيث لا يناسبها أن تكون حلقة منها، أو جملة حلقات، في سورة وتكون بقيتها في سورة أخرى. وهذا الطابع كفل لتلك القصة الأداء الكامل من جميع الوجوه فوق تحقيقه للهدف الأصيل الذي من أجله سيقت القصة، والتعقيبات التي تلتها[٢].

(★) كذلك جاء في قصة يوسف عليه السلام، تصوير لشتى العواطف البشرية، والنوازع الانسانية، حيث صورت تصويرا رائعا أحلام الشباب، ونظام الأسرة، وعلاقة الأخ بأخوته، وطبيعة المرأة، وأخلاق الملوك والأمراء والحكام، وسمو طبائع الأنبياء. كما أن فيها دروسا نفسية تعالج كثيرا مما نعانيه اليوم في حياتنا الخلقية، والاجتماعية من المشكلات والصعاب.. وجمعت أيضا الكثير من العظات، والعجائب، والتطورات، ونصب الأحابيل، والحب والعفة، والاسترقاق والملك، والذل والعز، والتلاقي والفراق، والرحلات والانتصارات، والمقدمات والنتائج، والصبر والفرج، والفوائد النافعة في الدين والدنيا، كسير الملوك والمماليك، وحسن السياسة وتدبير الملك، واقامة العدل ونظام الدولة، والصبر على الأذى والعفو عن المجرمين[٣].

(★) وقد نزلت سورة (يوسف) وفيها تلك القصة، على رسول الله ﷺ مرة واحدة في الفترة الحرجة بين عام الحزن بموت أبي طالب والسيدة خديجة سندي رسول الله ﷺ، وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية، التي جعل الله فيها لرسول الله ﷺ، وللعصبة المسلمة معه، وللدعوة الاسلامية فرجا ومخرجا، بالهجرة الى المدينة المنورة. فقد علم الله أن قريشاً ستكيد للنبي ﷺ، وتناوئه، وتعمل معه

(٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٢ ص ١٩٥١.

(٣) عبد الله العلمي - مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام (بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٩ م) الجزء الأول ص ٨ - ٩.

أعمال رؤساء الأسباط من أخيهم يوسف، فأنزل عليه وهو بمكة هذه السورة كاملة مرة واحدة، ليحيط علمه بما سيقع له من قريش ليكون على حذر[٤].

(*) وتعرض القصة شخصية يوسف عليه السلام - وهي الشخصية الرئيسية فيها - عرضا كاملا في كل مجالات حياتها. وتعرض أنواع الابتلاءات التي تعرضت لها، وهي ابتلاءات متنوعة في طبيعتها واتجاهاتها: ابتلاءات الشدة والرخاء والفتنة بالشهوة والسلطان، والفتنة بالانفعالات والمشاعر البشرية في شتى المواقف، ويخرج العبد الصالح من هذه الابتلاءات والفتن كلها، نقيا، خالصا، متجردا في وقفته الأخيرة، متجها الى ربه بالدعاء الخاشع.. والى جانبه تعرض الشخصيات المحيطة بدرجات متفاوتة التركيز، وفي مساحات متناسبة من رقعة العرض، على أبعاد متفاوتة من مركز الرؤية، وفي أوضاع خاصة من الأضواء والظلال[٥].

(*) وفي هذه القصة - كما هو الشأن في معظم القصص القرآني - يتجلى سلطان القدر، حيث تجري مجرى يرى الناس منه ما يكرهون أو يحبون، وفق ما يحسبون ويقدرون، ثم تجيء الخاتمة على غير ما حسبوا

---

(٤) نص المصدر السابق ص ٣٢ وكذلك في ظلال الفرآن، مصدر سابق جـ ١٢ ص ١٩٤٩ «كذلك فقد علم الله أن النبي سينتقل من مكة الى المدينه ويتخذها مهجرا له طيلة بقية عمره، وبالتالي سيجاور اليهود الذين فيها، ويكون بينه وبينهم احتكاك، فأراد الله أن يوقفه على طباع أسلافهم الأقدمين، ليعرف طبائع المتأخرين لأنهم سلائلهم ويمثلونهم، ودم هؤلاء من دم أولئك. كما أراد الله أن يعلمه أن أكثرية اليهود ظلمة، مكرة، ليسوا بأصحاب وفاء في العهود، وليس عندهم شرف في الوعود، بل هم أهل غدر وخيانه، ولا يصلح معهم الا كمثل ما عمل معهم أخوهم يوسف. لا يتقيد معهم بشيء الا حسب ما تقتضيه المصلحة، ويستدعيه الرأي».

(٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٢ ص ١٩٥١ - ١٩٥٢.

وقدروا.. كذلك تتحرك الأحداث في القصة حركة مسايرة لحركة الزمن، حيث ينمو الحدث نموا طبيعيا، مع سير الأيام والليالي، كما ينمو الكائن الحي، ويتطور مع مسيرة الزمن. فالصغير يكبر، والكبير يشيخ ويهرم، والعواطف الشابة الحارة الثائرة تبرد وتهدأ. وهكذا تظهر (بصمات) الزمن على وجوه الناس، وعقولهم، وقلوبهم، كلما خطا بهم الزمن خطوة الى الأمام[٦].

★ ★ ★

وحسبنا هذا التمهيد.. ثم نلتقي مع السياق القرآني، ونسير مع أحداث القصة من أولها الى آخرها، نستوحي ما فيها من معالم فنية بديعة، رائعة، فريدة من نوعها - ولله المثل الأعلى - لكي يسترشد بها الصحفي ويستهدي عندما يريد كتابة موضوعاته الصحفية، حتى تأتي مادته بناءة، ذات صلة وثيقة باهتمامات القراء وحاجاتهم.. كما تأتي جذابة، شيقة، سهلة الفهم والاستيعاب، ينتقل القارىء على امتدادها من جزء الى جزء في سلاسة ويسر.. ونبدأ من مقدمة تلك القصة في سورة يوسف.

★ ★ ★

المقدمة:

تتمثل مقدمة القصة في آيات أربعة ابتداء من قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص[*] بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ★ اذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر

(٦) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٣٩٨.

(*) القصص مصدر أو اسم من قص الخبر أو اذا حدث به على أصح الوجوه وأصدقها ويجوز أن يكون بمعنى اسم المفعول، فيكون القصص بمعنى المقصوص من الأخبار والأحاديث.

كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين★ قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين★ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم﴾ (سورة يوسف الآيات ٣ - ٦).

تبدأ القصة بهذه المقدمة الموجزة المعبرة، التي تنبه مدارك المتلقي لها، وتوقظ مشاعر من يلتقي بها، ويتابع أحداثها[٧].. فهذه الآيات (المقدمة) في بيان ما وقع بين يوسف في طفولته، وأبيه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام، حيث تبدأ القصة بالرؤيا يقصها يوسف على أبيه. فينبئه أبوه بأنه سيكون له شأن عظيم، وينصحه ألا يقصها على اخوته كي لا يثير حسدهم، فيغريهم الشيطان به فيكيدون له.. ثم تسير أحداث القصة بعد ذلك، وكأنما هي تأويل للرؤيا، ولما توقعه يعقوب عليه السلام من ورائها، حتى اذا اكتمل تأويل الرؤيا في النهاية، أنهى السياق القصة بهذا الختام الفني الدقيق، الوافي بالغرض الديني كل الوفاء.. فالقصة تبدأ بالرؤيا، ويظل تأويلها ينكشف قليلا قليلا، حتى تجيء الخاتمة، وفيها تأويل الرؤيا قد اكتمل[٨].

وفي ذلك قمة التشويق.. فبالرغم من أن السياق قد كشف عن حقيقة ستأتي فيما بعد، الا أن القارىء سيواصل القراءة باهتمام ليعرف ان كان هذا التنبؤ قد تم أم لا، وكل هذا يشوق القارىء ويثير اهتمامه، فيمعن في القراءة في لهفة. فالتشويق هو من أروع ما يكون

(٧) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص ٤٠٠.

(٨) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ١٢ ص ١٩٦٢ وكذلك تفسير المنار مصدر سابق جـ ١٢ ص ٢٠٩.

اذا سيطر على الموضوع الصحفي دون افتعال من الكاتب، أو من الأحداث، وتطوراتها المختلفة من البداية حتى النهاية.

فقد أدرك أبوه يعقوب بحسه وبصيرته، أن وراء هذه الرؤيا شأنا عظيما لهذا الغلام، أخذت تظهر بوادره شيئا فشيئا في سياق القصة، أما تمامه فلا يظهر الا في نهاية القصة، بعد انكشاف الغيب المحجوب[٩]. وقد وقع في صلب القصة - كما سيأتي فيما بعد - كل ما أخبر به يعقوب ولده في تلك المقدمة، حرفا بحرف، كأن الغيب كتاب مفتوح بين يديه يقرأ منه ما يشاء، أو كأنما هو وحي والهام.. فقد بشر يعقوب عليه السلام، ابنه بحسن عاقبته، وتحقق ذلك عندما دخلوا عليه في نهاية القصة وسجدوا له فقال يوسف لأبيه: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا﴾ (سورة يوسف الآية ١٠٠) وقد فسر الشمس والقمر بوالدي يوسف والأحد عشر كوكبا بإخوته.. وكانت في تلك المقدمة أيضا اشارة الى الصراع المنتظر، حينما نصح يعقوب ابنه ألا يقصص رؤياه على اخوته، ولكن الله تعالى أتم نعمته على يوسف بنجاته من الموت بيد اخوته، ثم بنجاته من الجب سالما، ثم بانتصاره على امرأة العزيز بظهور براءته مما اتهمته به. كذلك انتصاره على عزيز مصر الذي سجنه ظلما فخرج من السجن وصار عزيزا لمصر. وانتصاره على اخوته العشرة برجوعهم اليه وخضوعهم بين يديه، واعترافهم بخطئهم، وأتم الله عليه نعمة تأويل الأحاديث وهي الرؤى. وتحقق ذلك في تعبير رؤيا صاحبيه في السجن ورؤيا الملك.. وأتم الله نعمته عليه بأفضل من ذلك كله، بالنبوة والرسالة للمصريين، ومن قبل أرسل الله تعالى ابراهيم عليه السلام للكلدانيين، واسحق ومن بعده يعقوب للفلسطينيين[١٠].

---

(٩) المصدر الأول السابق جـ١٢ ص ١٩٧١.

(١٠) مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام، مصدر سابق ص٢٢٣ - ٢٢٤ و ص٢٢٦ و ص ٢٢٨ و ص٢٣٦ - ٢٣٧ وكذلك القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مصدر سابق ص٤٠٩.

الصلب:

كان كل ما سبق هو مقدمة القصة وارهاصا لها.. وهي مقدمة كما رأينا قوية، مشوقة، تشد القارىء في لهفة، الى متابعة قراءة ما بعدها، ليعرف تفاصيل الأحداث التي أجملتها المقدمة وتنبأت بها..

وبعد انتهاء تلك المقدمة.. تبدأ تفاصيل القصة، وهي صلب الموضوع الذي يفصل ذلك الاجمال في المقدمة.. وتبدأ الأحداث تتحرك.. وتطرق بيت النبوة طرقات تنبىء عن أن وراءها أحداثا تريد أن تقتحم هذا البيت، وأن تثير فيه عواصف محملة بالحسد والضغينة والكيد.. ويعقوب عليه السلام، على توقع لمثل هذه الأحداث، وأن مركز دائرتها سيكون ابنه، وصغيره يوسف.. ولكنه لا يدري وجهة تلك الأحداث، ولا يعلم خط سيرها.. فذلك غيب ستكشف عنه الأيام[١١].

وصلب القصة مقسم الى حلقات، كل حلقة تحتوي على جملة أحداث، والسياق يترك فجوات بين الحدث والحدث، يملؤها تخيل القارىء وتصوره، ويكمل ما حذف من حركات وأقوال، مع ما في هذا من تشويق وامتاع. والحلقة الأولى تتألف من مشاهد تبدأ من مؤامرة اخوته عليه الى وصوله لمصر[١٢].. وهكذا يبدأ الصلب بداية تحرك الإنتباه، وتشد الاهتمام، وترفع درجة تشويق القارىء.. فلنقرأ اذن هذا المشهد: ﴿لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين★ اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين★ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين★ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب

---

(١١) المصدر الثاني السابق ص ٤١٠.
(١٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٢ ص ١٩٦٢.

يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين﴾
(سورة يوسف الآيات ٧ - ١٠).

فهؤلاء هم اخوة يوسف قد خلا بعضهم الى بعض، وأخذوا يدبرون المؤامرة ضده للخلاص منه.. لقد كان يوسف وأخ له من أم، وكان الاخوة العشرة الآخرون من أم، وكلهم أبناء يعقوب عليه السلام، فكيف يستأثر هذان الولدان بحب الأب دونهم، وهم عصبة، أي جماعة كبيرة لها شأنها واعتبارها؟.. ثم ينتقل الحديث بين الاخوة من هذا الاتهام لأبيهم بايثار يوسف وأخيه عليهم، الى الحكم على يوسف بالقتل، أو بالقائه بعيدا عن أبيه في مكان لا سبيل الى العثور عليه. وبهذا يخلو لهم وجه أبيهم ومشاعر حبه التي كانت متجهة كلها الى يوسف وأخيه.. ولكن أحدهم رأى أن يعدلوا عن القتل الى القائه في الجب، واجتمع أمرهم على ذلك حتى تمر بعض القوافل التجارية التي تنزل عادة قريبا من هذا الجب لتستقي منه، فتلتقط يوسف وتأخذه معها الى حيث تحط رحالها وبذلك يتخلصوا منه[١٣].

فماذا بعد هذه المؤامرة؟ لقد انتهى دور التفكير، وجاء دور التمهيد لتنفيذها.. وهنا نجد الأحداث قد انتقلت نقلة أخرى.. فها هم أولاء عند أبيهم يراودونه في اصطحاب يوسف معهم. وها هم أولاء يخادعون أباهم، ويمكرون به وبيوسف وهذا ما يسمى بسياسة جس النبض.. فلنشهد ولنسمع لما يدور في هذا الحوار[١٤].

- ﴿قالوا: يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ★ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون﴾.

---

(١٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص٤١٦.

(١٤) نفس المصدر السابق ص٤١٣ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١٢ ص ١٩٧٤.

- ﴿قال: اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾.
- ﴿قالوا: لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون﴾ (سورة يوسف الآيات ١١ - ١٤).

فقد انتقلت أحداث القصة نقلة مباشرة من تدبير المؤامرة الى التمهيد لتنفيذها، وانتقل السرد دون أي اطالة الى الأب، ويحذرهم الأب، لكنهم خبثاء يمكرون، فهم يظهرون الحب لأخيهم، ويضربون على الوتر الحساس الذي يحبه أبوهم لابنه المحبوب يوسف، فيطلبوه منه ليذهب معهم يرتع ويلعب، وهم له حافظون.. والأب أب للجميع تراوده الهواجس، ولكنه مع ذلك يتمنى أن تكون هواجس كاذبة، ويتمنى أن يحب الاخوة أخاهم، الذي يكن له الحب والأثرة.. وهكذا استسلم الوالد الحريص.. ليتحقق قدر الله، وتتم الأحداث كما تقضي مشيئته[١٥].

وينتقل السياق القرآني نقلة أخرى، ليعرض تنفيذ المؤامرة، ونجاح الكيد الذي كاده أبناء يعقوب عليه السلام لأبيهم وأخيهم.. فقد جاء الغد، وها هم أولاء ينفذون المؤامرة النكراء بالقائه في الجب.. والله سبحانه وتعالى يلقي في روع الغلام أنها محنة وتنتهي، وأنه سيعيش وسيذكر اخوته بموقفهم هذا منه وهم لا يشعرون أنه هو: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾. (سورة يوسف الآية ١٥).

ونترك يوسف - تركا فنيا شائقا رائعا - في محنته في الجب،

---

(١٥) ثروت أباظة - السرد القصصي في القرآن الكريم (القاهرة بدون تاريخ) ص٢١ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١٢ ص ١٩٧٥ وأيضاً مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام مصدر سابق ص ٣٢١.

يؤنسه ما ألقى الله في روعه، ويطمئنه حتى يأذن الله بالفرج، ونرى ماذا صنع الاخوة مع أبيهم المفجوع بعد الجريمة..؟.

﴿وجاءوا أباهم عشاء[*] يبكون ★ قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ★ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال: بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾.

(سورة يوسف الآيات ١٦ - ١٨).

وتدع القصة الأب مطمئنا الى عدل ربه، والها على بعاد ابنه الأثير، وتطوى الأحداث سريعا، وتنتقل الى حيث يوسف في غيابة الجب، لنرى الحدث الأخير من هذه الحلقة الأولى من حلقات القصة[١٦].

﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال: يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ★ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾.

(سورة يوسف الآيتان ١٩ - ٢٠).

وفي هذه الآيات نرى قاعدة تنفع الصحفي، وهي ضرورة التركيز على الأشخاص والأحداث الهامة في القصة الصحفية، واهمال ما ليس له دور هام أو المرور عليها مر الكرام.. فهؤلاء الأشخاص الذين في العير، أو السيارة الذين التقطوا يوسف عليه السلام من الجب وباعوه، نكرات.. ولذلك لم يركز الضوء عليهم، لأن دورهم فقط أن يصلوا

(*) أنظر روعة هدا الوقت المناسب في موضعه بالفصل الأول من الباب الثاني من هذا الكتاب تحت عنوان (مقدمة متى؟).

(١٦) السرد القصصي في القرآن الكريم، مصدر سابق ص٢٢ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١٢ ص١٩٧٦.

بيوسف الى مصر، وقد فعلوا.. انهم أداة للحدث لا تؤثر شخصياتهم في الحدث ذاته، فالسياق اذن يهملهم، ويمر بأمرهم عرضا دون التركيز عليهم.

على أي حال فقد كانت هذه هي نهاية المحنة الأولى في حياة النبي الكريم يوسف عليه السلام، حيث جاءت نجدة السماء، ونجا يوسف من الجب، وكانت بداية الرحلة الطويلة، وتطورات الأحداث المتلاحقة الى هدفها.. وبذلك تبدأ الحلقة الثانية من حلقات القصة.. وهنا يبدأ أول خيط في تحقيق الرؤيا.. فقد وصل يوسف عليه السلام الى مصر، وبيع بيع الرقيق، ولكن الذي اشتراه يتوسم فيه الخير، فاذا هو يوصي امرأته به خيرا: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ★ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾.

(سورة يوسف الآيتان ٢١ - ٢٢).

ان السياق لا يكشف حتى الآن عمن اشتراه، وسنعلم بعد شوط في القصة أنه عزيز مصر، وقد قيل انه كبير وزرائها.. ولكنا نعلم أن يوسف قد وصل الى مكان آمن، وأن المحنة قد انتهت بسلام، وأنه مقبل بعد هذا على خير.. وهنا يقف السياق لينبه الى أن هذا التدبير من الله، وبه وبمثله قدم ليوسف التمكين في الأرض، وها قد بدأت بشائره بتمكين يوسف في قلب الرجل، وبيته، ويشير الى أنه ماض في الطريق ليعلمه الله من تأويل الأحاديث، فقد أوتي صحة الحكم على الأمور، وأوتي علما بمصائر الأحاديث، أو بتأويل الرؤيا، وبما هو أعم من العلم بالحياة وأحوالها[١٧].

---

(١٧) في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١٢ ص١٩٧٨ - ١٩٧٩.

ولكن محنة أخرى، من نوع آخر، كانت تنتظر يوسف، حين يبلغ أشده، وقد أوتي حكما وعلما يستقبل بها هذه المحنة الجارفة، التي لا يقف لها الا من رحم الله.. انها المحنة الثانية في حياته، وهي أشد وأعمق من المحنة الأولى.. محنة التعرض للغواية في جو القصور، وجو ما يسمونه (الطبقة الراقية) وما يغشاها من استهتار وفجور.. ويخرج يوسف منها سليما معافى في خلقه، وفي دينه، ولكن بعد أن يخالط المحنة ويصلاها[١٨]. فلنقرأ ذلك الحدث العاصف المثير كما يقدمه التعبير القرآني الكريم: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ★.... يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين﴾. (الآيات من ٢٣ حتى ٢٩).

فقد تبين للعزيز حسب الشهادة المبنية على منطق الواقع، أن زوجته هي التي راودت، وهي التي دبرت الاتهام..وهكذا تبدو لنا صورة من (الطبقة الراقية) في الجاهلية، وقبل آلاف السنين، وكأنها هي اليوم شاخصة، رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية، وميل الى كتمانها عن المجتمع، وهذا هو المهم كله.. هكذا ﴿انه من كيدكن ان كيدكن عظيم﴾.. والتفاتة الى يوسف البريء ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ أي اهمل هذا الموضوع ولا تعره اهتماما. ولا تتحدث فيه محافظة على الظواهر.. وعظة الى المرأة التي راودت فتاها عن نفسه، وضبطت متلبسة بتمزيق قميصه ﴿واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين﴾.. وينتهي هذا الحدث، وقد صور السياق تلك اللحظة بكل ملابساتها، وانفعالاتها، ولكن دون أن ينشيء منها معرضا للنزوة الحيوانية الجاهرة، ولا مستنقعا للوحل الجنسي المقبوح[١٩].

---

(١٨) نفس المصدر السابق.

(١٩) نفس المصدر السابق ص١٩٨٣.

ولم يحل الرجل بين المرأة وفتاها.. ومضت الأمور في طريقها ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين★...... ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ (الآيات من ٣٠ حتى ٣٥).

ولأول مرة نعرف أن المرأة هي امرأة العزيز، وأن الرجل الذي اشتراه من مصر هو عزيز مصر (أي كبير وزرائها) ليعلن هذا مع اعلان الفضيحة العامة، وانتشار الخبر في المدينة.. وهذه الآيات في حادثة النسوة من كبار بيوتات مصر اللاتي مكرن بامرأة العزيز، وأثرن حديثها في المدينة.. ويكشف السياق عن مشهد تلك المرأة الجريئة، التي تعرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكر كمكرهن، وكيد من كيدهن، حيث أقامت لهن مأدبة في قصرها، لتجمعهن بهذا الشاب الذي فتنها جماله، وأزلها عفافه وكماله.. واستوثقت المرأة مما وقع في قلوب النسوة من يوسف، عندما بهرن بجماله وقطعن أيديهن بالسكاكين التي كانت معهن وأنه ليس العبد الذي زعموا، ولا الخادم الذي تصوروا، وانما هو فوق مستوى البشر. وهنا لا ترى المرأة بأسا عليها من أن تصرخ بمكنون حبها الآسر لهذا الانسان ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين﴾.. ولا يجد يوسف ازاء هذا السلطان القاهر المتحدي، الا أن يفزع الى سلطان ربه لصرف هذا السوء عنه، وقد استجاب الله تعالى ليوسف فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم.. وهكذا اجتاز يوسف محنته الثانية بلطف الله ورعايته، وانتهت بهذه النجاة الحلقة الثانية من قصته[٢٠].

(٢٠) راجع في ذلك: في ظلال القرآن، مصدر سابق ص١٩٨٣ حتى ص١٩٨٥ وكذلك تفسير المنار جـ١٢ ص٢٣٩ وأيضا القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مصدر سابق ص٤٣٩ - ٤٤٠ وكذلك السرد القصصي في القرآن الكريم، مصدر سابق ص٢٨ - ٢٩ والتفسير الواضح مصدر سابق ص٧٦ - ٧٨.

ثم تبدأ الحلقة الثالثة من حلقات القصة، والمحنة الثالثة والأخيرة من محن الشدة في حياة يوسف عليه السلام. فكل ما بعدها رخاء، وابتلاء لصبره على الرخاء بعد ابتلاء صبره على الشدة.. وهذه الحلقة تقع في الآيات: من ٣٥ حتى ٥٣ ابتداء من قوله تعالى: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ الى قوله تعالى: ﴿وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم﴾.. والمحنة في هذه الحلقة هي محنة السجن بعد ظهور البراءة، والسجن للبريء المظلوم أقسى، وإن كان في طمأنينة القلب بالبراءة تعزية وسلوى.. وفي فترة المحنة هذه تتجلى نعمة الله على يوسف، بما وهبه من علم لدني بتعبير الرؤيا، وبعض الغيب القريب الذي يبدو أوائله فيعرف تأويله، حينما قص الفتيان رؤياهما عليه، وطلبا منه أن يعبرها لهما.. ثم تأتي رؤيا أخرى لها دور كبير في دفع أحداث القصة إلى الأمام، وهي رؤيا ملك مصر التي عجز الجميع عن تعبيرها، بينما عبرها يوسف تعبيرا مقنعا، وقد أخلص فيها النصيحة للقوم، ومنحهم ما منّ الله تعالى عليه من علم.. ثم تتجلى نعمة الله عليه أخيرا باعلان براءته الكاملة اعلانا رسميا بحضرة الملك، وظهور مواهبه التي تؤهله لما هو مكنون له في عالم الغيب من مكانة مرموقة، وثقة مطلقة، وسلطان عظيم[٢١].

ونمضي مع بقية أحداث قصة يوسف.. ونلتقي مع حلقة جديدة من حلقاتها، وهي الحلقة الرابعة.. ونقرأ آيات السورة من ٥٣ حتى ٩٨ حيث يستخلصه الملك لنفسه، ويقيمه على خزائن أرض مصر.. وتدور

---

(٢١) راجع في توضيح أحداث تلك الحلقة: في ظلال القرآن من ١٩٨٧ حتى ص١٩٩٦ ومؤتمر تفسير سورة يوسف من ص٦٤٦ حتى ص٨٧١ والوحدة الموضوعية في سورة يوسف من ص٣١ حتى ص٣٤ وتفسير المنار من ص٢٥١ حتى ص٢٦٥ والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه من ص٤٤١ حتى ص٤٥٣ والسرد القصصي في القرآن الكريم من ص٢٩ حتى ٣٢ والتفسير الواضح جـ١٢ من ص٧٨ حتى ٨٥.

عجلة الزمن، ويطوي السياق دورانها بما كان فيها طوال سنوات الرخاء، فلم يذكر كيف كان الخصب؟ وكيف زرع الناس؟ وكيف أدار يوسف جهاز الدولة؟ وكيف نظم ودبر ما ادخر، كأن هذه كلها أمور مقررة بقوله تعالى: ﴿اني حفيظ عليم﴾ وكذلك لم يذكر مقدم سني الجدب، وكيف تلقاها الناس؟ وكيف ضاعت الأرزاق؟ لأن هذا كله ملحوظ في رؤيا الملك وتأويلها.. كذلك لم يبرز السياق الملك ولا أحدا من رجاله بعد ذلك في السورة كلها، فان الأمر كله قد صار ليوسف، لذي اضطلع بالعبء في الأزمة الخانقة الرهيبة، وأبرز يوسف وحده على مسرح الحوادث، وسلط عليه كل الأضواء وهذه حقيقة واقعية استخدمها السياق استخداماً فنياً كاملاً في الأداء.. أما مقدم الجدب فقد أبرزه السياق في مشهد اخوة يوسف، يجيئون من البدو في أرض كنعان البعيدة، يبحثون عن الطعام في مصر، ويترددون عليها للحصول عليه.. وتمضي القصة في هذا الجزء مجراها الأكبر بين يوسف واخوته.. وفي نهاية الأمر يكشف لهم عن حقيقة شخصيته.. ومنذ ذلك الحين نجد أنفسنا أمام مفاجآت عديدة تتلو بعضها البعض[٢٢]، الى أن ينتهي صلب القصة، ونبدأ بعد ذلك في ختامها.

الخاتمة:

ويمضي السياق في مفاجآت القصة، ويطوي الزمان والمكان، لنلتقي بخاتمتها، المتمثلة في الحدث النهائي المؤثر المثير، الذي تطلعنا بشوق الى معرفته منذ قرأنا مقدمة القصة الشيقة..

ونلحظ أن هناك أحداثا كثيرة طويت، ولم يجر لها ذكر في السياق، اذ لم يكن لها أثر ظاهر في مضمون القصة، حيث لم يذكر ما كان من

---

(٢٢) أنظر المصادر السابقة بعد أرقام الصفحات المذكورة لتعرف تفاصيل أحداث تلك الحلقة..

موقف يعقوب من دعوة يوسف له ولاخوته بالسفر الى مصر.. وها نحن نراهم جميعا في مصر بعد أن كانوا منذ لحظة في أرض كنعان.. ويا له من حدث حافل بالانفعال، والخفقات، والفرح، والدموع.. **انه حدث ختامي موصول بمطلع القصة، حيث تستدير فيه القصة وتعود بنهايتها الى أولها، ذلك في ضمير الغيب، وهذا في واقع الحياة. ويوسف يذكر رؤياه ويرى تأويلها بين يديه في سجود اخوته له، ومن رفع أبويه على السرير الذي يجلس عليه، تماما مثلما رأى من قبل، الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين..** يقول هنا يوسف عليه السلام ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ يريد أن هذا مصداق قوله سابقا ﴿اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾. وأما مصداق قول أبيه له ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ فقد اجتباه بالنبوة والرسالة.. وأما مصداق قوله ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ فقد أول حلمي صاحبيه في السجن، وحلم ملك مصر، ويذكر نعمة الله عليه، ولطف الله في تدبيره لتحقيق مشيئته ﴿انه هو العليم الحكيم﴾ وهو ذات التعبير الذي قاله يعقوب وهو يقص عليه رؤياه في مطلع القصة ﴿ان ربك عليم حكيم﴾ ليتوافق البدء والختام.. **وهكذا يتضح التماسك العضوي في القصة، الذي تم فيه أحسن ما يكون الجمع بين الناحيتين الفنية والدينية، وكانت الناحية الفنية وسيلة للناحية الدينية..** وقبل أن ينتهي الحدث الأخير في القصة، نشهد يوسف عليه السلام ينزع نفسه من اللقاء والعناق، والفرحة والابتهاج، والجاه والسلطان والأمان، ليتجه الى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر، ويبتهل الى ربه أن يتوفاه مسلما وأن يلحقه بالصالحين(٢٣).. ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل

---

(٢٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٢ ص٢٠٢٩ ومؤتمر تفسير سورة يوسف، مصدر سابق ص١٢٦٨ والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص٤٨٥ - ٤٨٦ والوحدة الموضوعية في سورة يوسف ص٩٣.

الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾. (سورة يوسف الآية ١٠١).

ثم ها هو تعقيب على القصة بعد تمامها، اشتملت عليه آية واحدة، عبارة عن خطاب موجه الى رسول الله ﷺ، الذي كان لا زال بمكة المكرمة ولم يهاجر بعد الى المدينة المنورة ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾.

(سورة يوسف الآية ١٠٢).

ذلك التعقيب الذي يعطف ختام القصة على مطلعها ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (سورة يوسف الآية ٣). ذلك القصص الذي مضى في السياق من الغيب الذي لم يكن يعلمه محمد ﷺ، ولم يكن متداولا بين القوم الذين نشأ فيهم وبعث اليهم، ولكننا نوحيه اليك، وما كنت معهم اذ اجتمعوا واتفق رأيهم وهم يمكرون ذلك المكر الذي تحدثت عنه القصة في مواضعه، وهم يمكرون بيوسف، وهم يمكرون بأبيهم، وهم يدبرون أمرهم بعد أخذ أخيه وقد خلصوا نجيا، وكذلك ما كان هناك من مكر بيوسف من ناحية النسوة، ومن ناحية رجال الحاشية، وهم يودعونه السجن. كل أولئك مكر ما كنت حاضره لتحكي عنه، انما هو الوحي الذي سيقت السورة لتثبته من بين ما تثبت من قضايا هذه العقيدة، وهذا الدين، وهي متناثرة في أحداث القصة الكثيرة[٢٤].

* * *

ثانيا: قصة موسى عليه السلام

تمهيد:

تعتبر قصة موسى عليه السلام، أكثر قصص المرسلين ورودا في القرآن الكريم، حيث وردت في حوالي الثلاثين موضعا.. وهي تعرض

(٢٤) المصدر الاول السابق ص٢٠٣١.

في حلقات تناسب موضوع السورة التي تعرض فيها، وجوهها، وظلها والحلقات الأساسية منها لم تكرر تقريبا، واذا كررت حلقة منها جاءت بشيء جديد. ومن أهم تلك المواضع التي وردت فيها حلقات من القصة في سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة هود، وسورة الاسراء، وسورة الكهف، وسورة طه، وسورة الشعراء، وسورة النمل، وسورة القصص، وسورة غافر(٢٥).

واذا نظرنا الى هذه الحلقات مجتمعة دفعة واحدة، نجد أن القصة قد ضمت جميع حوادثها وتفصيلاتها، منذ مولده - بل قبل مولده - الى وقوفه بقومه أمام الأرض المقدسة، حيث كتب عليهم التيه أربعين سنة، جزاء وفاقا، لأن في كل حلقة من حلقات القصة غرضا دينيا يبرزه، وله صلة بأهداف القرآن العليا، والتصور الاسلامي الأصيل(٢٦).

أما بالنسبة لقصة موسى في سورة (القصص) موضوع هذه الدراسة.. فانها تبدأ من أول حلقة فيها: من مولد موسى والظروف التي صاحبت ذلك ابان اضطهاد قومه.. ارضاعه ووضعه في التابوت والقائه في اليم.. وقوعه في يد فرعون، وموقف امرأة فرعون منه، وتحريم المراضع عليه، وقول أمه لأخته أن تقص أثره ومعرفتها بأمره، واشارتها على آل فرعون بمرضع للطفل هي أمه، وتربيته في بيت فرعون.. ثم موسى وهو في شبابه، وما كان منه من قتل المصري، ومحاولته قتل آخر، وتهديده اياه بافشاء سر القتلة الأولى. ونصح رجل له بالهرب وقد جاء من أقصى المدينة يسعى.. وخروجه الى أرض مدين، والتقائه ببنتي الشيخ الكبير، وسقيه لهما، واعجاب احداهما به، وحضها أبيها على

---

(٢٥) راجع في تفصيل ذلك: التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص١٢٩ - ١٣٣ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١٦ ص٢٣٢٩.

(٢٦) المصدر الأول السابق ص١٣٦.

استخدامه، وعمله مع حميه، وزواجه بابنته حسب شرطه.. ثم سيره بأهله الى مصر موطنه الأصلي بعد أن وفى الأجل المضروب، وما وقع له في سيناء من رؤية النار، ومكالمة الله عز وجل، وارساله الى بني اسرائيل رسولا.. وموقف موسى من فرعون وتهيبه من لقائه وطلبه من الله أن يشد أزره بأخيه.. وموقف فرعون من دعوة موسى.. وتنتهي عند حلقة غرق فرعون بعد خروج موسى[٢٧].

وقصة موسى التي نحن بصددها، على جانب كبير من الأهمية، وعلى قدر عظيم من التقدير للظروف التي لابستها، والأحوال التي أنشأتها وكونتها، وجعلت منها عبرا وآيات على مر الأجيال والعصور.. فأعمال الجبابرة في ذلك العصر، وأفعال الفراعنة في ذلك الزمن، من أعظم الأمور خطرا، وأشدها ظلما، وأشنعها استبدادا، وأبشعها طغيانا وعتوا، لأن فرعون ذلك الوقت كان أعتى الفراعنة، وأكبرهم عنادا، وأفظعهم كفرا، وقساوة، واستكبارا، وفسادا في الأرض وافسادا[٢٨].

كما تعرض القصة قوة الحكم والسلطان، وقوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلا رضيعا، لا حول له ولا قوة، ولا ملجأ له ولا وقاية.. وقد علا فرعون في الأرض، واتخذ أهلها شيعا وأحزابا، واستضعف بني اسرائيل يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم. ولكن قوة فرعون وجبروته، وحذره ويقظته، لا تغني عنه شيئا، بل لا تمكن له من موسى الطفل الصغير المجرد من كل قوة وحيلة، وهو في حراسة القوة الحقيقية الوحيدة، ترعاه عين العناية، وتدفع عنه السوء، وتعمي عنه العيون، وتتحدى به فرعون وجنده تحديا سافرا، فتدفع به

---

(٢٧) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (محمد محمود حجازي) مصدر سابق ص٣٢٦ وكذلك التصوير الفني في القرآن (سيد قطب) مصدر سابق ص١٣١.

(٢٨) محمد الفقي - قصص الأنبياء وأحداثها وعبرها (القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٩م) ص٢٠٨.

الى حجره، وتدخل به عليه عرينه، بل يقتحم به عليه قلب امرأته، وهو يصنع بنفسه لنفسه ما يحذره ويخشاه.. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجردا من كل مظاهر القوة. ومن كانت قوة الله عليه، فلا أمن له، ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى[٢٩].

ونكتفي بهذا التمهيد للقصة.. وننتقل الى عرض تفصيلها، وتتبع حلقاتها، كما وردت في السياق الذي ينقسم من الناحية الفنية الى: مقدمة، وصلب.. وخاتمة.. ولنبدأ بمقدمة القصة.

* * *

المقدمة:

هذه القصة لها مقدمتان، تكشفان منذ البداية نهايتها، حيث تذكران عاقبة القصة، ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها، وتسير بتفصيل خطواتها.. وهذا مما يشوق القارىء، ويشده لتتبع أحداث القصة، حتى يعرف كيفية تحقيق تلك النهاية التي علم طرفا منها منذ البداية.. والمقدمة الأولى ترسم الجو الذي تدور فيه الأحداث، والظرف الذي يجري فيه القصص، ويكشف عن الغاية المخبوءة وراء الأحداث، والتي من أجلها يسوق هذا القصص. وهي طريقة من طرق العرض القرآني للقصة، تساوق موضوعها، وأهدافها في هذا الموضوع من القرآن[٣٠]. وهذه المقدمة الأولى نقرأها في قوله تعالى: ﴿طسم * تلك آيات الكتاب المبين * نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف

---

(٢٩) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢٠ ص٢٦٧٣ - ٢٦٧٤.

(٣٠) نفس المصدر السابق ص٢٦٧٧ وكذلك التصوير الفني في القرآن، مصدر سابق ص١٤٩.

طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ★ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ★ ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾. (سورة القصص الآيات ١ - ٦)

هكذا يعرض السياق - في تلك المقدمة الأولى - لقصة موسى من قبل الولادة، ويسلك بها من البدء الى النهاية بأخصر عبارة وأوجزها، ويعلن واقع الحال وما هو مقدر في المآل، قبل أن يأخذ في عرض القصة ذاتها، ليقف القوتين وجها لوجه: قوة فرعون المنتفخة، التي تبدو للناس قادرة على الكثير، وقوة الله الحقيقية الهائلة، التي تتهاوى دونها القوى الظاهرة الهزيلة، التي ترهب الناس.. وترسم هذه (المقدمة الأولى) بذلك مسرح القصة قبل أن يبدأ في عرضها، والقلوب معلقة بأحداثها ومجرياتها، وما ستنتهي اليه، وكيف تصل الى تلك النهاية، التي أعلنها قبل البدء في عرضها. ومن ثم تنبض القصة بالحياة، وكأنها تعرض لأول مرة، وهذه ميزة طريقة الأداء القرآني بوجه عام[٣١].

ثم تبدأ (**المقدمة الثانية**) لتلك القصة، ببداية معجزة.. حيث لا يخفي الله سبحانه وتعالى عنا أيضا نهاية القصة، وانما يضعها أمامنا منذ سطورها الأولى في تلك المقدمة الثانية، التي يبدأ فيها التحدي، وتكشف يد القدرة تعمل سافرة بلا ستار.. فقد ولد موسى في ظل تلك الأوضاع القاسية التي رسمتها (المقدمة الأولى)، والخطر محدق به، والموت يتلفت عليه.. وها هي ذي أمه حائرة به، خائفة عليه، تخشى أن يصل نبؤه الى الجلادين، وهي بطفلها الرضيع في قلب المخافة، عاجزة عن

---

(٣١) نفس المصدر الأول السابق ص٢٦٧٨ وكذلك الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (محمد محمود حجازي) مصدر سابق ص٣٣٠.

حمايته واخفائه.. وهنا تتدخل يد القدرة، فتلقي في روع الأم المذعورة، كيف تعمل، وتوحي اليها بالتصرف.. ﴿وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾. (سورة القصص آية ٧)

هذه هي المقدمة الثانية.. وفيها يكشف الله سبحانه وتعالى، عن الأسباب التي يقيمها سبحانه لتمضي بها ارادته، وتتحقق مشيئته. كما يكشف لنا من اللحظة الأولى في تلك المقدمة الثانية أن موسى سيرد الى أمه، وسيكون رسولا .. فهذه هي الأم الحائرة، الملهوفة، الخائفة، القلقة تتلقى الايحاء المطمئن، المبشر، المثبت، المريح. وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف بردا وسلاما. فقد أوحى الله الى أم موسى أن تمسك وليدها، وأن ترضعه، واذا خافت عليه من فرعون أن يصل اليه، تلقيه في النهر، وهو نهر النيل بمصر ولا تخاف ولا تحزن، فانه في النهر في رعاية اليد التي لا أمن الا في جوارها، ولا تقرب المخاوف من حماها، وأنه سيرد اليها وسيكون من المرسلين.. وتلك بشارة الغد، ووعد الله أصدق القائلين[٣٢]، يضعها الله سبحانه وتعالى - كما قلنا - أمامنا منذ البداية في تلك المقدمة الثانية، وهي التي ستتحقق - كما سنرى - في سياق القصة.

وبذلك تنتهي المقدمتان: الأولى والثانية.. وفيهما ذكرت عاقبة القصة ومغزاها، والغاية منها منذ السطور الأولى. وفي ذلك كما ذكرنا، تشويق لمعرفة الطريقة التي ستتحقق بها تلك الغاية المرسومة المعلومة.. وهذا ما سيتكشف شيئا فشيئا، خلال حلقات القصة التي يشتمل عليها صلبها..

---

(٣٢) التفسير القرآني للقرآن (عبد الكريم الخطيب) مصدر سابق ص٣١١ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق ص٢٦٧٩.

الصلب..

وعلى طريقة القرآن في عرض القصة، نجد أن صلب القصة، مقسم الى مشاهد بينها فجوات ليملأها الخيال، فلا يفوت القارىء شيء من الأحداث والمناظر المتروكة بين المشهد والمشهد، مع الاستمتاع الفني بحركة الخيال الحية[٣٣].. ونسير مع صلب القصة حلقة حلقة، ومشهدا مشهدا، ونبدأ بهذا المشهد في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ★ وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾. (سورة القصص الآيتان ٨ - ٩)

وتمضي الأسباب الى غايتها، خطوة خطوة، وتتحرك أحداث القدر في طريقها فهذا موسى (الوليد) ينتقل من يد أمه الى صدر النهر، ثم الى بيت فرعون.. فهل هذا هو الأمن، والوعد، والبشارة؟ وهل كانت أمه تخشى عليه الا أن يقع في أيدي آل فرعون؟ ولكنها القدرة تتحدى فرعون وهامان وجنودهما، بطريقة سافرة مكشوفة.. فهم يتتبعون الذكور من مواليد قوم موسى، خوفا على ملكهم، وعرشهم، وذواتهم.. ثم ها هي ذي يد القدرة تلقي في أيديهم بالطفل الذي على يديه هلاكهم أجمعين[٣٤].

وينتهي هذا المشهد، ليبدأ مشهد آخر.. فقد كان ذلك شأن موسى الرضيع، فما بال أمه الواهلة، وقلبها الملهوف؟.. ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ★ وقالت لأخته قصية فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ★ وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل

---

(٣٣) نفس المصدر الثاني السابق ص٢٦٧٧.

(٣٤) نفس المصدر السابق ص٢٦٧٩.

بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ★ فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

(سورة القصص الآيات ١٠ - ١٣)

ان القدرة التي ترعى موسى، تدبر أمره، وتكيد به لفرعون وآله فتجعلهم يلتقطونه، ويحبونه، ويبحثون له عن مرضعة، وتحرم عليه المراضع.. وتنتهي أحداث هذا المشهد فنجد الطفل وقد عاد الى أمه الملهوفة، وبذلك يتحقق ما وعدها الله سبحانه وتعالى به في المقدمة الثانية للقصة ﴿انا رادوه اليك﴾ وبهذا تعلم أن وعد الله حق، والقارىء حين يطالع ذلك يرى واقعة عجيبة غريبة على مألوف عاداته. ولذلك يستبد به الشوق ليعرف ماذا بعد ذلك.. ويسكت سياق القصة بعد هذا عن السنوات الطوال ما بين مولد موسى والحلقة التي تمثل شبابه واكتماله، فلا نعلم ماذا كان بعد رده لأمه لترضعه؟ ولا كيف تربى في قصر فرعون؟ ولا كيف كانت صلته بأمه بعد فترة الرضاعة؟ ولا كيف كان مكانه في القصر أو خارجه؟ ولا كيف كانت عقيدته[٣٥]؟ فهذا كله مما يتملاه الخيال ويستمتع به بحركة الخيال الحية.

وهنا تبدأ حلقة جديدة من حلقات القصة.. ونسير مع أحداثها ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾ (القصص ١٤) وهذا تحقيق للجانب الآخر من وعد الله لأم موسى والذي قرأناه في مقدمة القصة الثانية وهو قوله تعالى ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ واذا كان هذا الوعد لم يكن قد تحقق، والأحداث لا تزال جارية الى غايتها، فانه قد تحقق بعد أن بلغت الأحداث الغاية المنطلقة اليها.. وبلوغ الأشد هو اكتمال القوى الجسمية، والاستواء هو اكتمال

---

(٣٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٢٠ ص ٢٦٨١ وكذلك السرد القصصي في القرآن الكريم مصدر سابق ص ٥٩ وأيضا التفسير القرآني للقرآن مصدر سابق ص ٣١٩.

النضوج العضوي والعقلي. وفي هذا اشارة للحال التي كان عليها موسى وهو يتلقى رسالة ربه، وهو أنه لم ينل هذه الرسالة الا بعد أن صار رجلا كاملا وذلك في حدود الأربعين سنة من عمره(٣٦).

ثم نواصل السير مع أحداث القصة، لنرى ماذا حدث لموسى عليه السلام في هذا المضطرب الضخم من الأحداث التي خاضها: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين★ قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم★ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين★ فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين★ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ان تريد الا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين★ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين★ فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين★ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾. (سورة القصص الآيات ١٥ - ٢٢)

هنا نقلتنا الآيات نقلة بعيدة.. فقد تركتنا الآيات السابقة مع وعد من الله سبحانه وتعالى، قد حققه لموسى بعد أن بلغ أشده واستوى.. ولكن الأخبار بتحقيق هذا الوعد، كان أشبه بختام القصة، واذا بنا هنا نجده خيطا مشدودا من خيوط هذه القصة، وقد طويت له

---

(٣٦) التفسير القرآني للقرآن مصدر سابق ص٣١٩ - ٣٢٠ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق ص٢٦٨١.

الأحداث، لنراه هنا يدخل المدينة، ثم يدخل في صراع ينتهي بقتل انسان.. ويرجع موسى على نفسه يلومها، ولا يجد موسى غير الله يبرأ اليه من نفسه، ويطلب الغفران مما جنت يداه.. وفي مجريات الأحداث الى غايتها التي ستنتهي اليها، نرى أن قتل المصري هنا تدبير الهي حكيم، وقوة دافعة الى تلك الغاية، حيث يخرج موسى من مصر هاربا الى أرض مدين وحيدا فريدا، مطاردا من فرعون وجنده لينالوا منه ما لم ينالوه منه طفلا، ولكن اليد التي رعته وحمته هناك، ترعاه وتحميه هنا، ولا تسلمه لأعدائه أبدا، فها هو ذا يقطع الطريق الطويل، ويصل الى حيث لا تمتد اليه اليد الباطشة بالسوء[٣٧]، ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير★ فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير﴾. (سورة القصص الآيتان ٢٣ - ٢٤)

وتنتقل الأحداث هنا نقلة بعيدة أخرى، حيث نرى موسى في «مدين» وهي على أطراف الجزيرة العربية من جهة الشام، وتقع على خليج العقبة في مقابل تبوك.. بينما كنا منذ لحظة في مصر، وفي وسط عاصفة هوجاء، لم يكن أحد يقدر له الخلاص منها، لكنها عناية الله التي تحفظه وترعاه.. وقد انتهى به السفر الشاق الطويل الى ماء لمدين، واذا هو يطلع على مشهد لا تستريح اليه النفس السليمة الفطرة، حيث وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء، ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء، فلم يقعد موسى المسافر المكدود

---

(٣٧) راجع التفسير القرآني للقرآن مصدر سابق ص٣٢١ حتى ٣٣١ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق جـ٢٠ ص٢٦٨٥.

ليستريح، وهو يشهد هذا المنظر المخالف للمعروف، بل تقدم للمرأتين وسألهما عن أمرهما الغريب، وسقى لهما ثم أوى الى الظل ليستريح.. وما نكاد نستغرق مع موسى عليه السلام في مشهد المناجاة ﴿رب اني لما أنزلت الي من خير فقير﴾ حتى يعجل السياق بمشهد الفرج، معقبا في التعبير بالفاء، كأنما السماء تسارع فتستجيب للقلب الضارع الغريب(٣٨). ﴿فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا...﴾ (جزء من الآية ٢٥).

ونلحظ هنا أمورا جزئية، لم يذكرها القرآن لدلالة الحال عليها، وأنها لا بد أن تحدث على صورة ما حسب تصور الذي يتلو آيات الله أو يستمع اليها وذلك بين الشيخ الكبير وبين ابنتيه.. وهذا من شأنه أن يوقظ شعور المتتبع لأحداث القصة، حتى يملأ هذا الفراغ كما يتصوره.. فقد جاءته الفتاة لتنهي اليه دعوة أبيها ليجزيه أجر ما سقى لهما، في أقصر لفظ وأدقه وأوضحه(٣٩).

وينهي السياق هذا المشهد فلا يزيد عليه، ولا يفسح المجال لغير الدعوة من الفتاة، والاستجابة من موسى.. ثم اذا مشهد اللقاء بينه وبين الشيخ الكبير، الذي لم ينص على اسمه(٤٠)..﴿فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ (باقي الآية ٢٥) ثم

---

(٣٨) انظر المصدرين السابقين الأول ص٣٣٢ - ٣٣٤ والثاني ص٢٦٨٥ - ٢٦٨٦.

(٣٩) المصدران السابقان الأول ص٣٣٥ والثاني ص٢٦٨٦.

(٤٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢٠ ص٢٦٨٧ ويقول الشهيد سيد قطب: ليس هناك نص مقطوع به على أن شعيبا كان هو الشيخ الكبر الذي خدمه موسى وتزوج احدى ابنتيه، ولكن هذا هو الأرجح نظرا لورود قصة موسى بعد قصة شعيب في كل سرد للقصتين في القرآن. مما يوحي بأنهما كانا متعاصرين أو متواليين .. ثم عاد في موضع آخر وقال انه ليس شعيبا وانما هو شيخ آخر من مدين، وذلك لأسباب ذكرها يمكن الرجوع اليها في هامش ص٢٦٨٧ من مؤلفه في ظلال القرآن جـ٢٠.

نسمع في المشهد صوت الأنوثة المستقيمة السليمة ﴿قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (سورة القصص آية ٢٦) واستجاب الشيخ الكبير لاقتراح ابنته، ولعله أحس من نفس الفتاة، ونفس موسى ثقة متبادلة، وميلا فطريا سليما صالحا لبناء أسرة. والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو اليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد، ولم تلوث، ولم تنحرف عن فطرة الله، فجمع الرجل بين الغايتين وهو يعرض على موسى أن يزوجه احدى ابنتيه، في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنوات، فان زادها الى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به [٤١]، ﴿قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين﴾.

(سورة القصص آية ٢٧)

وهكذا يجيء الشيخ الكبير الى موسى صريحا، واضحا، كما يجيء الى ابنتيه أبا حانيا عاطفا، لا يرى حرجا في أن يتخير لابنته الرجل الذي تتمناه زوجا لها، ويردها حياؤها عن أن تعرض نفسها عليه(*).

---

(٤١) نفس المصدر السابق ص٢٦٨٨.

(*) كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال، على عهد رسول الله ﷺ، بل لقد كانت النساء تعرض نفسها على النبي ﷺ، أو من يرغب في تزويجهن منهن.. كان هذا يتم في صراحة، ونظافة، وأدب جميل، لا تخدش معه كرامة ولا حياء.. عرض عمر رضي الله عنه ابنته حفصة على أبي بكر رضي الله عنه فسكت، وعلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه فاعتذر، فلما أخبر النبي ﷺ بهذا طيب خاطره عسى أن يجعل الله لها نصيبا فيمن هو خير منهما، ثم تزوجها ﷺ.. وعرضت امرأة نفسها على رسول الله ﷺ فاعتذر لها، فألقت اليه ولاية أمرها يزوجها ممن يشاء، فزوجها رجلا لا يملك الا سورتين من القرآن علمها اياهما، فكان هذا صداقها.. وبمثل هذه البساطة سار المجتمع الاسلامي يبني بيوته، ويقيم كيانه، في غير ما تصنع ولا التواء.. وهكذا صنع الشيخ الكبير، فهو يعرض نكاحا لا يخجل منه لبناء أسرة واقامة بيت، وليس في هذا ما يخجل.. أما التصنع والتكلف مما نشاهد في البيئة =

وما كان أبرع الشيخ وأعدله فيما بينه وبين موسى من جهة، ثم فيما بينه وبين ابنتيه من جهة أخرى. فلم يشأ أن يفرض على موسى واحدة بعينها من ابنتيه هاتين، فلموسى أن يختار ما يشاء منهما، ثم انه بذلك يكون قد سوى بين ابنتيه في القسمة، فلا يؤثر بهذا الخير احدى ابنتيه على الأخرى، وقبل موسى العرض في وضوح ودقة وأشهد الله(٤٢): ﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل﴾. (سورة القصص آية ٢٨)

وهكذا.. لحكمة مقدرة في علم الله، كان هذا الذي كان.. ولقد سكت السياق عند هذا الحد.. وطبيعي أن موسى قد أخذ بما هو أولى بالمروءة والكمال، فعمل بالأكثر دون الأقل، وان كان سياق القصة لم يذكر شيئا من ذلك.. ثم يبدأ السياق في عرض حلقة أخرى من حلقات القصة، حيث تبدأ مرحلة جديدة من مراحل المسيرة التي تتحرك فيها الأحداث الى غايتها. فها هو ذا موسى عليه السلام بعد ما قضى الأجل وسار بأهله عائدا من مدين الى مصر، يتلقى في الطريق ما لم يخطر له على بال.. لقد ناداه ربه وكلمه، وكلفه بالنهوض بالمهمة التي من أجلها وقاه، ورعاه، وعلمه، ورباه. مهمة الرسالة الى فرعون وملئه، ليطلق له بني اسرائيل يعبدون ربهم، لا يشركون به أحدا، ويرثون الأرض التي وعدهم ليمكن لهم فيها، ثم ليكون لفرعون وهامان وجنودهما عدوا

= التي تنحرف عن سواء الفطرة، وتخضع لتقاليد مصطنعة، تمنع الوالد من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه وكفايته لابنته أو أخته أو قريبته وتحتم أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذي يتقدم.. (أنظر في ذلك في ظلال القرآن جـ٢٠ ص٢٦٨٨).

(٤٢) التفسير القرآني للقرآن ص٣٣٧ - ٣٣٨.

وحزنا، ولتكون نهايتهم على يديه، كما وعد الله في مقدمة القصة من قبل[٤٣].

﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون★ فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين★ وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين★ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين★ قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون★ وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردئاً يصدقني اني أخاف أن يكذبون★ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾.

(سورة القصص الآيات ٢٩ - ٣٥)

وهنا تنتهي أحداث القصة التي جاءت في صلبها، وننتقل بعد ذلك الى خاتمتها، التي جاء ذكر لها في المقدمة من قبل..

الخاتمة:

لقد انتهى ذلك المشهد الرائع الجليل، مشهد تكليف موسى بالرسالة، أروع ما تكون النهاية.. ويطوي الزمان.. ويطوي المكان.. فاذا موسى وهارون، عليهما السلام، في مواجهة فرعون بآيات الله البينات، واذا الحوار بين الهدى والضلال واذا النهاية الحاسمة في هذه الدنيا بالغرق،

---

(٤٣) نفس المصدر السابق ص٣٤١ وكذلك في ظلال القرآن، مصدر سابق ص٢٦٨٩ و ص٢٦٩٣.

وفي الحياة الأخرى باللعنة، في سرعة واختصار[٤٤].

﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ★ وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ★ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين ★ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون ★ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ★ وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون ★ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾.

(سورة القصص الآيات ٣٦ - ٤٢)

ان السياق هنا يعجل بالضربة القاضية، ليصل من التكذيب مباشرة الى الاهلاك. ثم لا يقف عند الأخذ في الدنيا، بل يتابع الرحلة الى الآخرة. وهذا الاسراع في هذه الحلقة الختامية مقصود، متناسق مع اتجاه القصة في السورة، وهو تدخل يد القدرة بلا ستار من البشر، فما أن يواجه موسى عليه السلام فرعون، حتى يعجل الله بالعاقبة، وتضرب يد القدر ضربتها الحاسمة بلا تفصيل في المواجهة أو تطويل. فهي الهزيمة في الدنيا، وهي الهزيمة في الآخرة، جزاء البغي، والاستطالة، وليست الهزيمة وحدها، وانما هي اللعنة في هذه الأرض، والتقبيح في يوم القيامة[٤٥].

وبعد عرض نصيب فرعون في الدنيا والآخرة، يعبر السياق ليعجل بعرض نصيب موسى عليه السلام: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد

(٤٤) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٠ ص٢٦٩٣.
(٤٥) نفس المصدر السابق ص٢٦٩٤ - ٢٦٩٥.

ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ (سورة القصص آية ٤٣). فهذا نصيب موسى عليه السلام، وهو نصيب عظيم. وهذه عاقبته وهي عاقبة كريمة.. كتاب من الله يبصر الناس كأنه بصائرهم التي بها يهتدون. ويتذكرون كيف تتدخل يد القدرة بين الطغاة والمستضعفين، فتخنم للطغاة بالهلاك والتدمير، وتختم للمظلومين بالخير والتمكين.. وهكذا تنتهي قصة موسى عليه السلام، وفرعون في سورة (القصص) شاهدة بأن الأمن لا يكون الا في جانب الله، وأن المخافة لا تكون الا في البعد عن الله. ذلك الى تدخل يد القدرة سافرة متحدية للطغيان والطغاة، حين تصبح القوة فتنة يعجز عن صدها الهداة. وهي المعاني التي كانت الجماعة المسلمة الصغيرة المستضعفة في مكة، في حاجة الى الاطمئنان اليها، وكان المشركون المستكبرون في حاجة الى تدبرها، وهي المعاني المتجددة الدائمة حيثما كانت دعوة الى الهدى، وحيثما كان طغيان يقف في وجه الهدى.. وهكذا يجيء القصص القرآني مادة تربية للنفوس، وتقرير الحقائق وسنن الوجود لعلهم يتذكرون[٤٦].

* * *

وفي ختام المطاف مع هاتين القصتين الطويلتين من كتاب الله.. قصة يوسف عليه السلام.. وقصة موسى عليه السلام.. نلحظ أن السياق القرآني في كل منهما مرتب على ما يشبه: المقدمة.. والصلب.. والخاتمة تماما مثلما لاحظناه في ترتيب سور المصحف مجتمعة.. وفي ترتيب آيات السورة الواحدة.. وفي ترتيب آيات القصص القصيرة والمتوسطة.. التي درسناها فيما سبق من فصول هذا الباب الرابع.. وقد جاء كل ذلك بطريقة فنية رائعة، لتشويق القارىء، وشده الى القراءة حتى النهاية دون ملل أو حتى مجرد التفكير في تركها جانبا..

(٤٦) نفس المصدر السابق ص٢٦٩٥ - ٢٦٩٦.

فان خضوع القصة القرآنية في موضوعها وطريقة عرضها، وادارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية، كل ذلك لم يمنع من بروز الخصائص الفنية في عرضها، لأن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني. بل يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني الذي يجعل ورودها الى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق.. فالقصة في القرآن سواء القصيرة أو المتوسطة، أو الطويلة، انما هي وسيلة من وسائله الكثيرة لتحقيق هدفه الأصيل، باعتباره كتاب دعوة دينية، والقصة احدى وسائله لابلاغ هذه الدعوة وتثبيتها.. والصحفي البارع، الذي يريد أن ترد موضوعاته الصحفية الى نفوس قرائه بيسر وسهولة، وتقع من وجدانهم أعمق الوقع، عليه أن يسترشد بهذه المعالم القرآنية، ويستهدي بما فيها من توجيهات ربانية تجل عن الوصف والحصر.

الباب الرابع

من صفات الصحفي وواجباته

في ضوء معالم قرآنية

الفصل الأول : الإخلاص والتقوى والصدق والصبر

الفصل الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفصل الثالث: التفكير والحاسة السادسة

الفصل الرابع: تنمية المصادر الصحفية

الفصل الأول

الإخلاص والتقوى والصدق والصبر

ان الأصل في الصحافة أنها مهنة جمع الأخبار، التي تمس الصالح العام، ونشرها بهدف توجيه الأمة، وتكوين الرأي العام الناضج.. والصحافة النزيهة، الرشيدة، البناءة، هي التي تتحرى الدقة، والأمانة، والشرف، والنزاهة في أداء هذه المهمة السامية، فتعمل على نشر الأخبار الصادقة ذات الطابع الموضوعي وتمتنع عن نشر الأخبار غير الموثوق من صحتها، أو التي تهدف الى تشجيع الرذيلة والتنفير من الفضيلة.

والذين يقومون بهذه المهمة هم الصحفيون، الذين تتعدد مهامهم، وتتنوع مسئولياتهم، لتشمل كل ما يتعلق بعمليات جمع الأخبار، وصياغتها الصياغة الصحفية السليمة، ونشرها.. وعليهم أن يتحروا الأمانة، والصدق في الحصول على الأخبار من مصادرها الصحيحة الموثوق بها، ثم نقلها نقلا صحيحا، وصياغتها ونشرها بأمانة وصدق، والتعليق عليها اذا احتاج الأمر كذلك بأمانة وصدق.. ومعنى ذلك أنه يجب عليهم جميعا أن يكون لهم ضمائر يقظة أمينة، تمنعهم من اللجوء الى طرق غير أمينة، للحصول على الأخبار، أو المبالغة في وصف الأحداث أو تحريف البيانات أو نشر أخبار أو التعليق عليها ما لم تكن هناك مصلحة هامة تعود بالفائدة على القراء والمجتمع.

ولكي يتحقق ذلك لا بد للصحفي الملتزم أن تتوفر فيه العديد من الصفات التي تنبع من تعاليم الاسلام، ونهج القرآن الكريم، ومنها الاخلاص في عمله ومراقبة الله ومحاسبة نفسه في كل صغيرة وكبيرة،

وتقوى الله سبحانه وتعالى في تلك المهمة الجليلة التي يقوم بأدائها لمصلحة الناس والمجتمع.. وكذلك تحري الصدق في كل ما يقوله ويكتبه وينقله الى القراء، والتحلي بالصبر في أداء عمله.. وسنتعرض فيما يلي لبعض تلك الجوانب..

(١) الاخلاص في العمل:

لقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تتضمن معالم بارزة في هذا الصدد، تجعل الصحفي الذي يستهدي بها ويسترشد بما فيها، يؤدي عمله على خير وجه.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿انكم لذائقوا العذاب الأليم ★ وما تجزون الا ما كنتم تعملون ★ الا عباد الله المخلصين﴾.

(سورة الصافات الآيات ٣٨ - ٤٠)

والسياق يوضح أن (عباد الله المخلصين) قد استثناهم الله تعالى من تذوق العذاب الأليم في يوم القيامة، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم ان كانت لهم سيئات.. والآيات التالية لذلك تعرض أخبارا تصور ذلك النعيم الذي يتقلبون في أعطافه، وتستمتع به النفس، ويستمتع به الحس ﴿أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين...﴾ فهم أولا: عباد الله المخلصون، وفي هذه الاشارة أعلى مراتب التكريم، وهم ثانيا (مكرمون) في الملأ الأعلى، ويا له من تكريم[١].

وقوله تعالى: ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ★ الا عبادك منهم المخلصين﴾.

(سورة الحجر الآيتان ٣٩ - ٤٠)

---

(١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ٢٣ ص٢٩٨٧ وكذلك مختصر تفسير ابن كثير، مصدر سابق مجلد ٣ ص١٧٨ وأيضا صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢٣ ص٣٢.

لقد حدد ابليس اللعين عدته بتزيين القبيح وتجميله، والاغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه. وهكذا لا يجترح الانسان الشر الا وعليه من الشيطان مسحة تزينه وتجمله وتظهره في غير حقيقته. فليفطن الناس الى عدة الشيطان وليحذروا كلما وجدوا في أمر تزيينا.. والله سبحانه وتعالى يستخلص لنفسه من عباده من يخلص نفسه لله ويجردها له وحده، هؤلاء ليس للشيطان عليهم من سلطان[٢].

وقوله تعالى: : ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين؟ الا عبادك منهم المخلصين﴾. (سورة ص الآيتان ٨٣ - ٨٤)

يقسم ابليس بعزة الله تعالى ليغوين جميع الآدميين، لا يستثنى منهم الا من ليس له عليهم سلطان وهم «المخلصين» الذي يوجد بينهم وبينه حاجز من غوايته، وكيده، وعاصم يحول بينهم وبينه: انه عبادة الله التي تخلصهم لله[٣].

(٢) مراقبة الله تعالى:

والله سبحانه وتعالى قائم على كل نفس بما كسبت، رقيب على كل جارحة بما اجترحت، مطلع على ضمائر القلوب اذا هجست، حسيب على خواطر عباده اذا اختلجت، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض، تحركت أو سكنت، محاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وان خفيت[٤].

ومن المعالم القرآنية التي تحض على مراقبة الانسان لله تعالى في عمله، والتي يجب أن يسترشد بها الصحفي الملتزم ويهتدي في عمله، قوله تعالى:

---

(٢) المصدر الأول السابق جـ١٤ ص٢٢٤١ - ٢٢٤٢.
(٣) نفس المصدر السابق جـ٢٣ ص٣٠٢٨.
(٤) احياء علوم الدين، مصدر سابق، جـ٤ ص٣٣٦.

﴿ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾
(سورة آل عمران آية ٥).

وفي هذا تأكيد علم الله الذي لا يخفى عليه شيء، فهو مطلع على كل ما في الكون لا تخفى عليه خافية، ولن يمكن اذاً ستر النوايا عليه، ولا اخفاء الكيد عنه[٥].

وقوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (سورة الحديد آية ٤) فهو جل وعلا محيط بكل شيء، مهيمن على كل شيء، رقيب على أعمال العباد، مطلع على كل صغيرة وكبيرة، ويعلم خفايا الصدور وطوايا القلوب[٦].

وقوله تعالى: ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ (سورة الحديد آية ٦) أي هو العالم بالسرائر والضمائر وما فيها من النوايا والخفايا[٧].

وقوله تعالى: ﴿الذق يراك حين تقوم★ وتقلبك في الساجدين★ انه هو السميع العليم﴾.

(سورة الشعراء الآيات ٢١٨ - ٢٢٠)

أي يراك حين تكون وحدك تقوم في فراشك ومجلسك. ويرى تقلبك مع المصلين في الركوع والسجود والقيام، يراك وحدك، ويراك في الجماعة، انه تعالى السميع لما تقوله، العليم بما تخفيه[٨].

وقوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾(سورة غافر آية ١٩) أي يعلم تعالى العين الخائنة بمسارقتها النظر الى محرم، ويعلم

---

(٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٣ ص٣٦٨ وكذلك صفوة التفاسير جـ٣ ص١٨٤.
(٦) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢٧ ص٣٢١.
(٧) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٨) نفس المصدر السابق جـ١٩ ص٣٩٧.

السر المستور تخفيه الصدور[٩].

وقوله تعالى: ﴿ان ربك لبالمرصاد﴾ (سورة الفجر آية ١٤) أي ان ربك ليراقب أعمال الناس ويحصيها عليهم، ولا يفوته منها شيء ويجازيهم بها[١٠].

وقوله تعالى: ﴿والله بما تعلمون بصير﴾ (سورة التغابن آية ٢) فهو تعالى رقيب على الانسان فيما يعمل، بصير بحقيقة نيته واتجاهه، فليعمل اذاً، وليحذر هذا الرقيب البصير الذي لا تخفي عليه خافية[١١].

وقوله تعالى: ﴿يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾. (سورة التغابن آية ٤)

وفي هذا تصوير للعلم الالهي المحيط بكل شيء، المطلع على سر الانسان وعلانيته، وعلى ما هو أخفى من السر.. وفي هذا ما يجعل المؤمن يحيا حياة الذي يشعر بأنه مكشوف كله لعين الله تعالى، فليس له سر يخفى عليه، وليس له نية غائرة في الضمير لا يراها، وهو العليم بذات الصدور[١٢].

وعلى الصحفي أن يؤدي عمله وهو على يقين من أن الله سبحانه وتعالى له بالمرصاد، وسيناقشه الحساب على القليل والكثير من الأعمال وان خفيت. فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه[١٣].. وفي هذا يقول

---

(٩) نفس المصدر السابق جـ٢٤ ص٩٧ - ٩٨.

(١٠) نفس المصدر السابق جـ٣٠ ص٥٥٧.

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢٨ ص٣٥٨٥ وكذلك صفوة التفاسير جـ٢٨ ص٣٩١.

(١٢) المصدر الأول السابق ص٣٥٨٦ والمصدر الثاني السابق ص٣٩٢.

(١٣) احياء علوم الدين، مصدر سابق ص٣٣٦.

الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ (سورة الأنبياء آية ٤٧). والحبة من خردل تصور أصغر ما تراه العيون وأخفه في الميزان، وهي لا تترك يوم الحساب ولا تضيع، والميزان يميل بها.. فلتنظر نفس ما قدمت لغد، وليصغ قلب الى النذير، ولبيادر الغافلون المعرضون المستهزئون قبل أن يحق النذير في الدنيا أو في الآخرة، فانهم ان نجوا من عذاب الدنيا فهناك عذاب الآخرة الذي تعد موازينه، فلا تظلم نفس شيئا، ولا يهمل مثقال حبة من خردل[١٤]..

وقوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ (سورة الكهف آية ٤٩) فهذا هو سجل أعمالهم يوضع أمامهم، وهم يتملونه ويراجعونه، فاذا هو شامل دقيق، وهم خائفون من العاقبة ضيقو الصدور بهذا الكتاب الذي لا يترك شاردة ولا واردة. ويقولون يا حسرتنا ويا هلاكنا على ما فرطنا في حياتنا الدنيا. وهي قولة المحسور المغيظ الخائف المتوقع لأسوأ العواقب، وقد ضبط مكشوفا لا يملك هربا، ولا مغالطة، ملاقي جزاءه عادلا، فان الله تعالى لا يعاقب انسانا بغير جرم، ولا ينقص من ثواب المحسن[١٥].

وقوله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾ (سورة المجادلة آية ٦) أي يخبرهم الله بما ارتكبوا في الدنيا، حيث ضبطه الله تعالى، وحفظه عليهم في

---

(١٤) في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١٧ ص٢٣٨١ - ٢٣٨٢.

(١٥) المصدر السابق جـ١٥ ص٢٢٧٤ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ١٥ ص١٩٤.

صحائف أعمالهم، بينما هم نسوا ذلك لاعتقادهم أن لا حساب ولا جزاء، فالله سبحانه وتعالى مطلع وناظر لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء[١٦].

وقوله تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ★ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ★ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ (سورة الزلزلة الآيـــات ٦ - ٨) انهم ذاهبون الى حيـــث تعرض عليهم أعمالهم، ليواجهوها ويواجهوا جزاءها. ومواجهة الانسان لعمله قد تكون أحيانا أقسى من كل جزاء، وان من عمله ما يهرب من مواجهته بينه وبين نفسه، ويشيح بوجهه عنه لبشاعته حين يتمثل له في نوبة من نوبات الندم ولذع الضمير. فكيف به وهو يواجه بعمله على رؤوس الأشهاد في حضرة الجليل العظيم الجبار.. انها عقوبة هائلة رهيبة.. مجرد أن يروا أعمالهم، وأن يواجهوا بما كان منهم، ووراء رؤيتها الحساب الدقيق الذي لا يدع ذرة من خير أو من شر لا يزنها ولا يجازى عليها[١٧].

(٣) تقوى الله:

وهناك أيضا الكثير من المعالم القرآنية التي تحض على تقوى الله تعالى في كل شيء، وما أحرى بالصحفي الملتزم أن يسترشد بها ويستهدي في عمله حتى يكون عمله صالحا خالصا لوجه الله ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (سورة التغابن آية ١٦). وفي هذا هتاف للذين آمنوا بتقوى الله في حدود الاستطاعة وبالسمع والطاعة، فالطاعة في الأمر ليس لها حدود، ومن ثم يقبل فيها ما يستطاع، فالله تعالى لا يكلف نفسا ما لا تطيق[١٨].

---

(١٦) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٨ ص٣٣٧.

(١٧) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٣٠ ص٣٩٥٥.

(١٨) المصدر السابق جـ٢٨ ص٣٥٩٠ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٢٨ ص٣٩٥.

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ★ يصلح لكم أعمالكم﴾ (سورة الأحزاب الآيتان ٧٠ - ٧١) فالقرآن الكريم يوجه المؤمنين الى تسديد القول، واحكامه، والتدقيق فيه، ومعرفة هدفه واتجاهه، ويوجههم الى القول الصالح الذي يقود الى العمل الصالح، فالله تعالى يرعى المسددين ويقود خطاهم، ويصلح لهم أعمالهم جزاء التصويب والتسديد[١٩]..

وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ (سورة آل عمران آية ١٠٢) أي اتقوا الله التقوى الدائمة اليقظة، التي لا تغفل: ولا تفتر لحظة من لحظات العمر.. اتقوا الله كما يحق له أن يتقى؛ وهي هكذا بدون تحديد، تدع القلب مجتهدا في بلوغها كما يتصورها، وكما يطيقها.. وكلما اقترب بتقواه من الله تيقظ الى مقام أرفع مما بلغ، والى مرتبة وراء ما ارتقى وتطلع الى المقام الذي يستيقظ فيه قلبه فلا ينام[٢٠].

وللصحفي مثلما هو للانسان بصفة عامة، أن يفكر فيما يشاء، كما يشاء، وهو آمن من التعرض للعقاب على هذا التفكير، والعلة في ذلك أن الشريعة الاسلامية لا تعاقب الانسان على أحاديث نفسه، ولا تؤاخذه على ما يفكر فيه من قول أو فعل محرم، وانما تؤاخذه على ما آتاه من قول أو فعل محرم[٢١].

فقد روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ (سورة البقرة آية ٢٨٤) اشتد ذلك على الصحابة، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم

(١٩) المصدر الأول السابق جـ٢٢ ص٢٨٨٤.
(٢٠) في ظلال القرآن جـ٤ ص٤٤٢.
(٢١) التشريع الجنائي الاسلامي (عبد القادر عودة) مصدر سابق ص٣١.

جثوا على الركب فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم (سمعنا وعصينا) بل قولوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير﴾ فلما اقترأها القوم، وذللت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير﴾ (سورة البقرة آية ٢٨٥) فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل ﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها.....﴾ الى آخرها[٢٢]. (سورة البقرة آية ٢٨٦) فظهر من ذلك أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به. فالخاطر، وهو حديث النفس، فلا يؤاخذ به، لأنه لا يدخل تحت الاختيار، والمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق. وهو المراد بقوله ﷺ: (عفى عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم أو تعمل به)[٢٣] (متفق عليه).

(٤) الصدق:

والصحفي الملتزم يجب أن يتصف بالصدق في كل ما يحصل عليه من أخبار ويقدمها للنشر ولا يخشى في الحق لومة لائم. فالصدق هو جوهر الدعوة الاسلامية ولذلك يكون هذا الصحفي موضع الاحترام والتقدير، ويكون لكلامه وزن، ويصل الى القلوب مباشرة[٢٤]. وينقل معلوماته الصادقة بفاعلية المؤمن بمبادئه، المتيقن من صدقها، الشاعر بقيمتها، فيمثل أداة اتصال ووسيلة اعلام متحركة لها قوتها التأثيرية الفعالة والمباشرة[٢٥].

---

(٢٢) الفرآن الكريم (ببروت ١٩٧٤) ص١٢١.

(٢٣) احياء علوم الدين، مصدر سابق ص٣٦ - ٣٧.

(٢٤) محمد ابراهيم نصر - الاعلام وأثره في نشر القيم الاسلامية وحمايتها (الرياض الطبعة الأولى ١٩٧٨) ص٣٨و ص٤٤.

(٢٥) عمارة نجيب - الاعـلام في ضوء الاسلام (الرياض الطبعة الأولى ١٩٨٠) ص١٢٢.

ويتحدث الامام أبو حامد الغزالي عن صدق القول فيقول: ان ذلك لا يكون الا في الأخبار أو فيما يتضمن الأخبار، وينبه عليه. والخبر اما أن يتعلق بالماضي أو المستقبل.. وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم الا بالصدق. وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها. فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق(٢٦).. والامام الغزالي بذلك يقرر أن واجب كل انسان أن يتحرى الصدق فيما يقوله حتى يكون صادقا فيما ينقله من الأخبار أو ينبه عليها.. وهذا ما يجب أن يتصف به الصحفي ويتحراه دائما في عمله الذي يقوم أساسا على استقاء الأخبار المفيدة وصياغتها ونقلها الى القراء لتحقيق النفع والفائدة لهم..

والمعالم القرآنية التي توضح فضيلة الصدق وتحض عليه كثيرة، ويكفي في فضيلته أن الصدق من أفعال الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلا ووعدا ووعيدا كما أن الله تعالى وصف الأنبياء الكرام به في معرض المدح والثناء(٢٧) فقال: ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا﴾. (سورة مريم آية ٤١)

وقال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾ (سورة مريم آية ٥٤) وقال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا﴾ (سورة مريم آية ٥٦).

والصدق من صفات عباد الله المؤمنين المتقين وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (سورة التوبة آية

---

(٢٦) احياء علوم الدين، مصدر سابق جـ٤ ص٣٣١.

(٢٧) نفس المصدر السابق ص٣٣٠ وكذلك يحيى المعلمي - مكارم الاخلاق في القرآن الكريم (الرياض ١٩٧٥م) ص١١٨ - ١١٩.

١١٩) وهو هتاف للذين آمنوا أن يتقوا الله ويراقبوه في جميع أقوالهم وأفعالهم، وأن يكونوا مع أهل الصدق واليقين، الذين صدقوا في الدين نية وقولا وعملا، وهم الصفوة المختارة من السابقين والذين اتبعوهم باحسان[٢٨].

والكذب من الصفات المنافية لمكارم الأخلاق، وقد نهى الله عنه وحذر من عواقبه الوخيمة وتوعد الكاذبين، وهددهم بعذاب في الدنيا وفي الآخرة، وبين أنهم أشد الناس ظلما، وأوجبهم للعقاب لأن الكذب في الدنيا يزعزع ثقة الناس فيمن يتصف به، فلا يثقون بوعوده، ولا يصدقون أقواله، وهو في الآخرة مقود الى النار[٢٩].

والآيات القرآنية كثيرة في هذا الصدد ومنها قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه﴾ (سورة الزمر آية ٣٢) يقول عز وجل مخاطبا المشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا أن الملائكة بنات الله وجعلوا له ولدا، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. ومع هذا كذبوا بالحق اذ جاءهم على ألسنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ (سورة الزمر آية ٦٠) أي ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك له والولد، وجوههم سوداء مظلمة بكذبهم وافترائهم[٣١].

---

(٢٨) في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١١ ص١٧٣٣ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ١١ ص٥٦٧ وأيضا مكارم الاخلاق، المصدر الثاني السابق ص١٢٠.

(٢٩) الاعلام وأثره في نشر القيم الاسلامية وحمايتها، مصدر سابق ص٤٣ وكذلك مكارم الاخلاق في القرآن، مصدر سابق ص١٧٠.

(٣٠) تفسير ابن كثير، مصدر سابق جـ٦ ص٩٢.

(٣١) صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٢٤ ص٨٦.

وقوله تعالى: ﴿انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ (سورة النحل آية ١٠٥) أي لا يكذب على الله الا شرار الخلق من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس، لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم، فالكذب جريمة فاحشة لا يقدم عليها مؤمن[٣٢].

ومع أن الصدق هو الأساس الذي يجب على الصحفي أن يتحراه دائما في عمله ويتجنب الكذب الذي نهى الله عنه وحذر منه، وتوعد الكاذبين بالعقاب الأليم، الا أن هناك حالات تقضي المصلحة العامة فيها بعدم ذكر الحقيقة كاملة، وهو ما يسمى بمباحات الكذب أو بما رخص فيه الكذب.. والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا» متفق عليه. وزاد مسلم في رواية: «قالت أم كلثوم ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث، تعني الحرب، والاصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»[٣٣].

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء، وفي معناها ما عداها، اذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره[٣٤].. ومثال ذلك حالات الأوبئة الخطيرة، والكوارث الضخمة وغير ذلك، لأنه ليس من الحكمة في شيء نشر أمثال تلك الأخبار بكل تفاصيلها وضحاياها، لأن ذلك يبث الرعب والذعر بين الناس.

---

(٣٢) تفسير ابن كثير مصدر سابق جـ ٤ ص٢٢٧ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ ١٤ ص١٤٤.

(٣٣) رياض الصالحين، مصدر سابق ص٥٥٠ - ٥٥١ وكذلك احياء علوم الدين مصدر سابق ص١١٩.

(٣٤) المصدر الثاني السابق ص١٢٠.

(٥) الصبر:

والصبر أيضا من الصفات الهامة التي يجب أن يتصف بها الصحفي الملتزم ويتحلى به، حتى يستطيع أن يتغلب على ما يصادفه من صعاب وعقبات في مجال عمله، ولقد ورد الصبر في القرآن الكريم في أكثر من مائة مرة بألفاظ مختلفة وهو من عزائم الأمور، ومن أعظمها شأنا. اذ بالصبر تحل كثير من المشكلات وتواجه الشدائد. وفي بيان فضيلة الصبر أن الله تعالى قد وصف الصابرين بأوصاف، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له. فقال عز من قائل: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ (سورة السجدة آية ٢٤) وقال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا﴾ (سورة الأعراف آية ١٣٧) وقال تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (سورة النحل آية ٩٦) وقال تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ (سورة القصص آية ٥٤) وقال تعالى: ﴿انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾
(سورة الزمر الآية ١٠)

فما من قربة الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر، فان جزاءه مطلق عند الله بلا حساب. وقد وعد الله تعالى الصابرين بأنه معهم فقال تعالى: ﴿واصبروا ان الله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال آية ٤٦) وعلق سبحانه وتعالى النصرة على الصبر فقال: ﴿بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ (سورة آل عمران آية ١٢٥) وقد امتدح الله تعالى الصابرين من عباده، ووعدهم بأن يحقق لهم أملهم فيما يرجونه من نصر وأن يفرج عنهم كربهم، ويثيبهم على صبرهم. وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (سورة

البقرة آية ١٥٧) فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين[٣٥].

ولقد أوصى الله تعالى عباده المؤمنين بالصبر على الشدائد، والصبر في الجهاد فقال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ (سورة البقرة آية ٤٥) وقال تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور﴾ (سورة الشورى آية ٤٣) فان ذلك الصبر من الأمور الحميدة التي أمر الله بها وأكد عليها، ويجازي عليها بالثواب الجزيل، والثناء الجميل[٣٦].

وقال تعالى: ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين* واصبر وما صبرك الا بالله﴾ (سورة النحل الآيتان ١٢٦ -١٢٧)، وفي ذلك تأكيد للأمر بالصبر، واخبار بأن ذلك لا ينال الا بمشيئة الله، واعانته، وحوله وقوته.. ونجد أيضا أمرا بالصبر للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾ (سورة آل عمران آية ٢٠٠) فالصبر هو زاد الطريق ودفع للملل والسأم واليأس والقنوط.. كذلك نجد أمرا للاستعانة بالصبر على أمور الدين والدنيا في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين﴾ (سورة البقرة آية ١٥٣) فالله سبحانه وتعالى يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع والصراعات والعقبات ولذلك يأمر المؤمنين بالاستعانة بالصبر وقرنه بالصلاة أيضا ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة والتأييد[٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك

---

(٣٥) احياء علوم الدين، مصدر سابق جـ٤ ص٥٣ - ٥٤ وكذلك مكارم الاخلاق في القرآن الكريم، مصدر سابق ص١١٢ و ص١١٥.

(٣٦) صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٢٥ ص١٤٤ وكذلك تفسير ابن كثير مصدر سابق جـ٦ ص٢١١ وكذلك المصدر الثاني السابق ص١١٤.

(٣٧) راجع في ذلك تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٣٧ وكذلك في ظلال القرآن جـ٢ ص١٤١ و جـ٤ ص٥٥١ - ٥٥٢ وأيضا صفوة التفاسير جـ٢ ص١٠٦.

ان ذلك من عزم الأمور﴾ (سورة لقمان آية ١٧) فان الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى. فأمره بالصبر على أذى الناس، فان ذلك من عزم الأمور(٣٨).

وقد أوصى الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالصبر على كيد المشركين والمنافقين، وأذاهم وتكذيبهم اياه فقال تعالى: ﴿واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ (سورة يونس آية ١٠٩) كما قال تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾ (سورة المزمل آية ١٠) وفي ذلك أمر من الله تعالى الى رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله الذين كذبوه من سفهاء قومه، وان يهجرهم هجرا جميلا وهو الذي لا عتاب معه(٣٩).

ومن صفات المؤمنين التواصي بالصبر، وذلك تنفيذا لأمر الله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (سورة العصر آية ٣) أي على أداء الطاعات وترك المحرمات، وعلى المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر(٤٠).

* * *

تناولنا فيما سبق بعض المعالم القرآنية، حول العديد من الصفات التي يجب أن يتصف بها الصحفي الملتزم ويتحلى بها لكي ينجح في أداء عمله على الوجه السليم.. وهي تدور حول الاخلاص في العمل، وتقوى الله ومراقبته تعالى، ومحاسبة النفس في كل صغيرة وكبيرة، وتحري الصدق وتجنب الكذب في كل ما ينقله وينشره والتحلي بالصبر

---

(٣٨) تفسير ابن كثير، مصدر سابق جـ٥ ص٣٨٥.

(٣٩) نفس المصدر السابق جـ٧ ص١٤٨ وكذلك مكارم الأخلاق في القرآن الكريم مصدر سابق ص١١٢.

(٤٠) نفس المصدر السابق جـ٧ ص٢٩٦ وكذلك المصدر الثاني السابق ص١١٨.

في أداء تلك المهمة، لكي يتمكن من التغلب على ما يقابله من صعاب في عمله وما أكثرها.. ثم ماذا عن واجبات الصحفي، التي يجب أن يلتزم بأدائها والحرص على اتباعها في عمله.. هذا ما نتناوله في الفصول التالية ان شاء الله، حيث نقدم جانبا من أهم تلك الواجبات.. ونبدأ بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفصل التالي...

الفصل الثاني

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

انتهينا في الفصل السابق من استعراض بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها الصحفي الملتزم ويحرص على تحريها دائما في عمله.. وفي هذا الفصل نتناول واجبا هاما من واجبات الصحفي الملتزم التي يتحتم عليه النهوض بها وذلك في ضوء الهدي القرآني الكريم.. هذا الواجب هو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

وحول أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته يقول الامام أبي حامد الغزالي[1] «هو القطب الأعظم في الدين. وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين. ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد. واتسع الخرق، وخربت البلاد. وهلك العباد. ولم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد. وقد كان الذي خفنا أن يكون. فانا لله وانا اليه راجعون. اذ قد اندسر من هذا القطب عمله وعلمه. وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه. فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات، استرسال البهائم. وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم. فمن سعى في تلافي هذه الفترة، وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجدد لهذه السنة الدائرة، ناهضا بأعبائها ومتشمرا في احيائها، كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة أفضى الزمان الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها».

---

(١) احياء علوم الدين، مصدر سابق، جـ٢ ص٢٦٩.

وواضح من هذا مدى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضيلته، ومكانته في الدين، الذي بعث الله تعالى له النبيين أجمعين. ولو أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لفشى الضلال، وشاع الجهل، واستشرى الفساد، وعم النفاق، وانمحت مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم. ولكاد ينعدم في الحياة وجود مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم. والذي يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحيي هذه السنة، يكون جزاؤه أعظم قربة وتتضاءل درجات القرب دون ذروتها.

والواجب يحتم على الصحفي المؤمن برسالته، الواعي لها، أن ينهض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما يكتبه، وينشره من أخبار ومقالات وغيرها، حتى يساهم بمجهوده في تبصير الناس بما يجب عليهم عمله لتجنب الوقوع في المعاصي والضلال والفساد واتباع الشهوات والهوى، وغير ذلك من أمور دينهم ودنياهم.

ويدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته، معالم قرآنية كثيرة، يجد فيها الصحفي زادا وافرا طيبا، يهديه ويدفعه الى القيام بهذا الواجب الهام.. ومن تلك المعالم القرآنية قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (سورة آل عمران الآية ١٠٤) أي ولتقم منكم طائفة أو جماعة تدعو الى الخير، وتأمر بكل معروف، وتنهى عن كل منكر.. وفي الآية أمر الله سبحانه وتعالى للقيام بهذه المهمة في قوله تعالى: ﴿ولتكن﴾ وفيها أيضا بيان أن الفلاح منوط بالقائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ والدعوة الى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تكليف ليس باليسير، اذا نظرنا الى طبيعته، والى اصطدامه بشهوات الناس

ونزواتهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم، وفيهم المتسلط، والهابط الذي يكره الصعود، والمسترخي الذي يكره الاشتداد، والمنحل الذي يكره الجد، والظالم الذي يكره العدل، والمنحرف الذي يكره الاستقامة[٢].

ويستدل من الآية أن القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فرض كفاية، لا فرض عين، وأنه اذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين، اذ لم يقل الله تعالى في الآية كونوا كلكم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر. بل قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ فاذا قام به واحد أو جماعة، سقط الحرج عن الآخرين، وان تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه[٣].

والصحفي بطبيعة الحال يأتي ضمن القادرين على القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وذلك لما يوجد تحت يده وتصرفه من وسيلة اعلامية تؤثر غاية التأثير في الرأي العام وتشكله، وتؤدي دورا هاما في توجيه الناس الوجهة الصحيحة، وترشيدهم وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم.. ونتيجة لذلك، ووفقا لمفهوم تلك الآية القرآنية، يصبح الصحفي داخلا ضمن الجماعة التي يأمرها الله تعالى للقيام بالدعوة الى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكفيه شرفا وعزا وجاها، في الدنيا والآخرة، لو قام بأعباء هذا الأمر الرباني أن يصبح في زمرة أولئك المفلحين. وفي ذلك سلوى له عما سيلاقيه في سبيل أداء تلك المهمة السامية، من متاعب، وعنت، ومشقة، عندما يقف أمام المتسلطين، والطغاة، والجبارين، والظالمين، والمنحرفين، والمنحلين،

---

(٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ ٤ ص٤٤٤ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ٤ ص٢٢١ وأيضا احياء علوم الدين، مصدر سابق، جـ٢ ص٢٦٩.

(٣) المصدر الأخير السابق ونفس الصفحة.

يدعوهم الى الخير ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، بهدف اقامة المجتمع الصالح الفاضل، وصيانته من عوامل الفساد، والافساد، وتحقيق الصورة التي يحب الله تعالى أن تكون عليها الحياة.

ومن المعالم القرآنية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضا قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٠) أي أنتم أمة محمد عليه الصلاة والسلام، خير الأمم لأنكم أنفع الناس للناس، ولهذا قال: ﴿أخرجت للناس﴾ أي أخرجت لأجلهم ومصلحتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيان لوجه الخيرية، أي أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس. وفي الآية الكريمة نجد هذا المعنى الدقيق.. فمع أن الايمان بالله أساس وأصل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرع، فقد قدم الفرع على الأصل، لأن الايمان بالله عمل خاص يعود أثره على صاحبه، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو عمل عام يعود أثره على الانسانية جميعا، ولأنه حق المجتمع كله، فجاءت الآية الكريمة لاثبات أن الأمة المحمدية خير لنفسها وخير للناس[٤].

والصحفي الذي يتمعن هذه الآية، يدرك أنه عضو في تلك الأمة التي أخرجت لأجل الناس ومصلحتهم، وعمله يجب أن يكون لأجل الناس ومصلحتهم، ومن واجباته ووسائله في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في كل ما يكتب وينشر، وبذلك يساهم بدور فعال وعملي في تحقيق تلك الخصال الحميدة، التي كانت هي السبب في كون تلك الأمة خير أمة أخرجت للناس.

---

(٤) حسن البنا - نظرات في القرآن (القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٩) ص١٠٧ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٤ ص٢٢٢ وأيضا احياء علوم الدين مصدر سابق جـ٢ ص٢٧٠.

كذلك من المعالم القرآنية في هذا المجال قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم﴾ (سورة التوبة الآية ٧١) فقد نعت الله تعالى المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية، ومعنى الآية أنهم أخوة في الدين يتناصرون ويتعاضدون ويأمرون الناس بكل خير يرضي الله تعالى. وينهونهم عن كل قبيح يسخط الله فهم على عكس المنافقين الذين يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف. وجزاؤهم أن الله تعالى سيدخلهم في رحمته، ويفيض عليهم جلائل نعمته، فانه تعالى يضع كل شيء في موضعه على أساس الحكمة[٥].. وواجب الصحفي تبعا لذلك أن يأمر الناس في كل ما يكتب وينشر بكل خير يرضي الله وينهاهم عن كل قبيح يسخط الله تعالى وألا يكون كالمنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، مما يشيع الفاحشة والفساد والانحلال في المجتمع، ويؤدي الى انهياره وزواله.

ومن المعالم القرآنية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضا قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ★ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ (سورة آل عمران الآيتان ١١٣ - ١١٤) فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف اليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦].

---

(٥) المصدر الأخير السابق ونفس الصفحة وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق حـ١٠ ص٥٤٨.

(٦) احياء علوم الدين، مصدر سابق حـ٢ ص٢٧٠.

وحين نزل الله سبحانه وتعالى بأمة الى أسفل سافلين قال فيها: ﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ★ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ (سورة المائدة الآيتان ٧٨ - ٧٩) فكان اضرابهم عن التناهي عن المنكر سببا في نزول درجتهم واستحقاقهم ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم، ولأنهم كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن قبيح فعلوه. وفي هذا غاية التشديد اذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر[٧].. والصحفي الذي يترك واجب النهي عن القبائح والمنكرات وبيان أضرارها على الفرد والمجموع، صحفي مستحق اللعنة ويصبح في كفة واحدة مع الذين كفروا من بني اسرائيل الملعونين في الدنيا والآخرة.. والذين لعنوا على لسان أنبيائهم جزاء تركهم النهي عن المنكر.

وقال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾ (سورة الأعراف الآية ١٦٥) أي فلما تركوا ما ذكروا به نجينا الناهين عن الفساد وأخذنا الظالمين العصاة بعذاب شديد بسبب فسقهم، وتوضح الآية أنهم استفادوا النجاة، بالنهي عن السوء. وهنا لفت نظر ظريف ودقيق. فقد هلك فرعون والساكتون.. أما الذين نجوا فهم الذين كانوا ينهون عن السوء[٨].. والصحفي الذي ينهى عن السوء والفساد فيما يكتب وينشر لخير المجتمع والناس يستفيد بالنجاة من الهلاك والعذاب الشديد في الدارين.

---

(٧) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٦ ص٣٥٩ وكذلك نظرات في القرآن (حسن البنا) مصدر سابق ص١٠٥.

(٨) نفس المصدر الأول السابق وكذلك المصدر الثاني السابق جـ٩ ص٤٧٨ وكذلك نظرات في القرآن (حسن البنا) مصدر سابق ص١٠٦.

وقال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ (سورة الحج الآية ٤١) فقد قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين[٩].

وكما أوضحت المعالم القرآنية السابقة فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجزاء العظيم الذي يلقاه من يتولى ذلك وفوزه في الدنيا والآخرة، فقد أوضحت معالم قرآنية أخرى عقوبة من يأمر بمعروف ويخالف قوله فعله، ومن تلك المعالم القرآنية قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (سورة البقرة الآية ٤٤). فالله سبحانه وتعالى يخاطب أحبار اليهود، فيقول لهم على سبيل التقريع والتوبيخ: أتدعون الناس الى الخير والى الايمان، وتتركون أنفسكم فلا تؤمنون.. وذلك لأن الدعوة الى البر، والمخالفة عنه في سلوك الداعين اليه، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك، وتبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولا جميلا، ويشهدون فعلا قبيحا، فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل.. ان الكلمة لتنبعث ميتة، وتصل هامدة مهما تكن طنانة رنانة متحمسة، اذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها. ولن يؤمن انسان بما يقول حقا الا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيما واقعيا لما ينطق به، عندئذ يؤمن الناس، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق، حيث أنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من زينتها، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها[١٠].

---

(٩) احياء علوم الدين مصدر سابق جـ٢ ص٢٧٠.

(١٠) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ١ ص٦٨ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ١، ص٥٥.

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ★ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (سورة الصف الآيتان ٢ - ٣) فالآية الأولى تتضمن عتابا واستنكارا وتوبيخا للقوم الذين يقولون بألسنتهم شيئا ولا يفعلونه، ففيها استفهام على جهة الانكار والتوبيخ، وقد استنكر الله سبحانه وتعالى هذا الفعل وهذا الخلق في صيغة تضخم هذا الاستنكار في الآية الثانية ﴿كبر مقتا﴾ والمقت الذي يكبر ﴿عند الله﴾ هو أكبر المقت، وأشد البغض، وأنكر المنكر، وهذا غاية التفظيع لأمر[11]. والصحفي الملتزم المؤمن برسالته يجب عليه أن ينجو بنفسه من مقت الله تعالى، الذي هو أكبر المقت، ومن بغضه تعالى الذي هو أشد البغض فلا يكتب شيئا ويقوله ثم يكون فعله مخالفا لقوله، لأن ذلك مما يبلبل الناس ويجعلهم يتخبطون بحثا عن الحقيقة.

★ ★ ★

كانت تلك معالم قرآنية حول أهمية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وفضيلته...وواجب الصحفي المؤمن برسالته أن يلتزم به في كل ما يأتي وما يدع، وكل ما يكتبه وينشره على الناس، دون أن تأخذه في الله لومة لائم. بهدف الوقوف في وجه طوفان انتشار المعاصي والفساد والنفاق بين الناس، وتبصيرهم بما يجب عليهم عمله لتجنب ارتكاب المحرمات والانغماس في الشهوات واتبـــــاع الهوى والسير في طريق الغواية والضلال، وباختصار تبصيرهم بكل ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم.. ثم ننتقل الى الحديث عن واجب آخر من واجبات الصحفي المؤمن برسالته.. ويتعلق هذا الواجب بذاته ونحو نفسه وهو واجب العمل على تنمية حاسته السادسة، التي تجعله ينطلق

---

(١١) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٢٨ ص٣٥٥٢ وكذلك صفوة التفاسير مصدر سابق جـ٢٨، ص٣٧٠.

في عمله الى الآفاق الراقية البعيدة الهامة. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

* * *

الفصل الثالث

التفكير والحاسة السادسة

من الأمور الهامة للصحفي التي تساعده الى حد كبير للقيام بمهمته، وأداء واجبه على خير وجه «الحاسة السادسة» التي يجب عليه الاهتمام بها، والعمل على تنميتها.. وهذه الحاسة السادسة لا بد منها للصحفي حتى يكون أقدر من غيره من الناس، على اكتشاف الأنباء والأخبار، وأقوى من غيره فهما لقيمتها، وتقديرا لأهميتها، وأعظم قدرة على التمييز بين الأنباء والأخبار الجديرة بالنشر، وتلك الأخرى التي لا تستحق النشر. فان هذه الحاسة السادسة هي التي ترشد الصحفي دائما الى أهمية الانباء والاخبار من ناحية، والى المصادر الصحيحة التي يستقي منها هذه الأنباء والأخبار من ناحية ثانية[١].

وهذه الحاسة السادسة موجودة عند كل انسان، ولكنها عند الانسان العادي خاملة خامدة لا تؤدي وظيفتها، لأنها تحتاج الى التنمية والتقوية والصقل. ولما كانت تلك الحاسة السادسة من ألزم الأمور للصحفي، فانه يتعين عليه أن ينميها ويقويها ويصقلها، ويتحقق له هذا الهدف بالمران والخبرة، وكثرة الاهتمام بالتحري والبحث في كل صغيرة وكبيرة، حتى تصبح تلك الحاسة السادسة قوية، نشيطة، متيقظة، تحركه من مصدر الى آخر، ومن جهة الى أخرى، ليحصل على الأنباء والأخبار الجديرة بالنشر، والتي تفيد القراء، وتلبي اهتماماتهم المشروعة، وتطمئنهم على حاضرهم ومستقبلهم.

---

(١) المدخل في فن التحرير الصحفي، مصدر سابق ص٥٤.

واذا رجعنا الى كتاب الله تعالى، نجد أنه قد كثر فيه الحث على التدبر، والاعتبار، والنظر، والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم[٢]. فقد جاءت الشريعة الاسلامية معلنة حرية التفكير، محررة العقل من الأوهام، والخرافات، والتقاليد والعادات البالية، داعية الى نبذ كل ما لا يقبله العقل. فهي تحث على التفكير في كل شيء، ولا تسمح للانسان أن يؤمن بشيء الا بعد أن يفكر فيه ويعقله، وها هو القرآن الكريم يعتمد في اقناع الناس بالاسلام، وحملهم على الايمان بالله ورسوله وكتابه، اعتمادا أساسيا على استثارة تفكر الناس وايقاظ عقولهم، ويدعوهم بشتى الوسائل الى التفكير في خلق السماوات والأرض، وفي خلق أنفسهم، وفي غير ذلك من المخلوقات. ويدعوهم أيضا الى التفكير فيما تقع عليه أبصارهم، وما تسمعه آذانهم، ليصلوا من وراء ذلك كله الى معرفة الخالق سبحانه وتعالى. وليستطيعوا التمييز بين الحق والباطل[٣].

والمعالم القرآنية التي تحض على استخدام العقل وتحرير الفكر كثيرة.. ومنها قوله تعالى: ﴿ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (سورة البقرة الآية ١٦٤). أي أنه في ابداع السماوات والأرض بما فيها من عجائب الصنعة، ودلائل القدرة، وتعاقب الليل والنهار بنظام محكم، يأتي الليل فيعقبه النهار، وينسلخ النهار فيعقبه

(٢) احياء علوم الدين، مصدر سابق جـ ٤ ص ٣٦١.
(٣) التشريع الجنائي الاسلامي (عبد القادر عودة) مصدر سابق جـ ١ ص ٣٩ - ٤٠.

الليل، ويطول النهار، ويقصر الليل والعكس، والسفن الضخمة الكبيرة التي تسير في البحر على وجه الماء وهي محملة بالأثقال، بما فيه مصالح الناس من أنواع المتاجر والبضائع، وما أنزل الله من السحاب من المطر الذي به حياة البلاد والعباد، فأحيا بهذا الماء الزرع والأشجار بعد أن كانت يابسة مجدبة، ليس فيها حبوب ولا ثمار. ونشر فوق الأرض من كل ما يدب عليها من أنواع الدواب المختلفة في أحجامها وأشكالها وألوانها وأصواتها، وتقليب الرياح في هبوبها جنوبا وشمالا، حارة وباردة، ولينة وعاصفة. والسحاب المذلل بقدرة الله يسير حيث شاء الله، وهو يحمل الماء الغزير، ثم يصبه على الأرض قطرات قطرات.. كل ذلك لدلائل وبراهين عظيمة دالة على القدرة القاهرة، والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة، لقوم لهم عقول تعي، وأبصار تدرك وتتدبر بأن هذه الأمور من صنع اله قادر حكيم[٤].

وهذه الطريقة في تنبيه الحواس والمشاعر، جديرة بأن تفتح العين والقلب على عجائب هذا الكون، تلك العجائب التي تفقدنا الألفة جدتها، وغرابتها، وايحاءاتها للقلب والحس. وهي دعوة للانسان أن يرتاد هذا الكون، كالذي يراه أول مرة مفتوح العين، متوفز الحس، حي القلب. وكم في هذه المشاهد المكرورة من عجيب، وكم فيها من غريب، وكم اختلجت العيون والقلوب وهي تطلع عليها أول مرة، ثم ألفتها ففقدت هزة المفاجأة، ودهشة المباغتة، وروعة النظرة الأولى الى هذا المهرجان العجيب[٥].

ومن تلك المعالم القرآنية أيضا قوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ (سورة البقرة الآية ٢١٩).

---

(٤) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢ ص١١١.

(٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢ ص١٥٢ - ١٥٣.

فهذا البيان الرباني لاستجاشة التفكر والتدبر، في أمر الدنيا والآخرة، فتعلموا أن الأولى فانية، والآخرة باقية، فتعملوا لما هو أصلح[٦].

وأيضا قوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ (سورة البقرة الآية ٢٦٦). فالله سبحانه وتعالى يبين لكم آياته في كتابه الحكيم، لكي تتفكروا وتتدبروا بما فيها من العبر والعظات[٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى﴾ (سورة الروم الآية ٨). أي أولم يتفكروا بعقولهم، فيعلموا أن الله العظيم الجليل ما خلق السماوات والأرض عبثا، وانما خلقهما بالحكمة البالغة، لاقامة الحق لوقت يتهيآن اليه وهو يوم القيامة. فالقرآن الكريم يردهم الى أنفسهم ينظرون في أعماقهم ويتدبرون. فطبيعة تكوينهم هم أنفسهم، وطبيعة هذا الكون كله من حولهم، توحي بأن هذا الوجود قائم على الحق، ثابت على الناموس، لا يضطرب، ولا تتفرق به السبل، ولا تتخلف دورته، ولا يصطدم بعضه ببعض، ولا يسير وفق المصادفة العمياء[٨].

ولقد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في مواضع لا تحصى من كتابه العزيز، وأثنى على المتفكرين فقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾

(سورة آل عمران الآية ١٩١).

ان التعبير القرآني هنا صورة حية من الاستقبال السليم للمؤثرات الكونية في الادراك السليم، وصورة حية من الاستجابة السليمة لهذه

(٦) المصدر السابق جـ٢ ص٢٣١ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢ ص١٤٠.

(٧) المصدر الثاني السابق جـ٣ ص١٧٠.

(٨) في ظلال القرآن، مصدر سابق جـ٢١ ص٢٧٦٠ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢١ ص٤٧٢.

المؤثرات المعروضة للأنظار والأفكار في صميم الكون بالليل والنهار.. وان هذا الكون بذاته كتاب مفتوح يحمل بذاته دلائل الايمان وآياته، وان وراءه يدا تدبره بحكمة، ويوحي بأن وراء هذه الحياة الدنيا آخرة وحسابا وجزاء.. وانما يدرك هذه الدلائل ويقرأ هذه الآيات، ويسمع هذه الايحاءات «**أولوا الألباب**» من الناس الذين لا يمرون بهذا الكتاب المفتوح، وبهذه الآيات الباهرة مغمضي الأعين غير واعين.. والقرآن يوجه القلوب والأنظار الى هذا الكتاب المفتوح.. وأولو الألبـاب والادراك الصحيـح يفتحون بصـائرهم لاستقبـال آيـات الله الكونية، ولا يقيمون الحواجز، ولا يغلقون المنافذ بينهم وبين هذه الآيات، ويتوجهون الى الله بقلوبهم قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فتتفتح بصائرهم، وتشف مداركهم، وتتصل بحقيقة الكون التي أودعها الله اياه، وتدرك غاية وجوده، وعلة نشأته، وقوام فطرته هو الالهام الذي يصل بين القلب البشري، ونواميس هذا الوجود.. والسياق القرآني هنا تصوير ايحائي يلفت القلوب الى المنهج الصحيح في التعامل مع الكون، ويجعل من كتاب الكون المفتوح كتاب (معرفة) للانسان المؤمن الموصول بالله وبما تبدعه يد الله.. ويقرن بين توجه القلب الى ذكر الله وعبادته، وبين التفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار(٩).

ومن أوامر الله سبحانه وتعالى أيضا بالتفكر والتدبر قوله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ (سورة يونس الآية ١٠١) أي انظروا نظر تفكر واعتبار للذي في السماوات والأرض من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته سبحانه(١٠).

وكذلك قوله تعالى: ﴿فلينظر الانسان مم خلق★ خلق من ماء

(٩) المصدر الأول السابق جـ٤ ص٥٤٣ - ٥٤٥.

(١٠) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ١١ ص٥٩٨.

دافق* يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (سورة الطارق الآيات ٥ - ٧) أي فلينظر الانسان في أول نشأته، نظرة تفكر واعتبار من أي شيء خلقه الله[١١].

وقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت* والى السماء كيف رفعت* والى الجبال كيف نصبت* والى الأرض كيف سطحت﴾ (سورة الغاشية الآيات ١٧ - ٢٠). أفلا ينظر الناس نظرة تفكر واعتبار الى الابل كيف خلقها الله خلقاً عجيبا بديعا يدل على قدرة خالقها.. والى السماء البديعة المحكمة كيف رفع الله بناءها وأعلى سمكها بلا عمد ولا دعائم. والى الجبال الشاهقة كيف نصبت على الأرض نصبا ثابتا.. والى الأرض كيف بسطت ومهدت شاسعة واسعة يستقرون عليها[١٢].

ومن المعالم القرآنية التي تحض على التفكر والتدبر أيضا قوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين* وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (سورة الذاريات الآيتان ٢٠ - ٢١). وهذا النص القرآني يوقظ القلب البشري للتأمل والتدبر.. فهذا الكوكب الذي نعيش عليه معرض هائل لآيات الله، وعجائب صنعته. لم نستجل منه حتى الآن الا القليل من بدائعه. ونكشف في كل يوم جديدا منه، ونطلع منه على جديد.. ومثل هذا المعرض معرض آخر مكنون فينا نحن. انه النفس الانسانية، الخفية الأسرار، التي تنطوي فيها أسرار هذا الوجود كله، لا أسرار الكوكب الأرضي وحده. والى هذين المعرضين تشير الآيتان تلك الاشارة المختصرة، التي تفتح هذين المعرضين على مصاريعهما لمن يريد أن يبصر، ولمن يريد أن يستيقن[١٣].

---

(١١) نفس المصدر السابق جـ٣٠ ص٥٤٥.
(١٢) نفس المصدر السابق جـ٣٠ ص٥٥٣.
(١٣) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ٢٧ ص٣٣٧٨.

وقوله تعالى: ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (سورة ق الآية ٣٧). أي أن في ذلك لتذكرة وموعظة لمن كان له عقل يتدبر به، أو أصغى الى الموعظة وهو حاضر القلب ليتذكر ويعتبر. وقد عبر عن العقل بالقلب لأنه موضعه[١٤].

وقوله تعالى: ﴿وما يذكر الا أولوا الألباب﴾ (سورة آل عمران الآية ٧) أي ما يتعظ ويتدبر الا أصحاب العقول السليمة المستنيرة[١٥].

وفائدة التفكر تكثير العلم، واستجلاب معرفة ليست حاصلة.. والمعارض اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى فالمعرفة نتاج المعرفة، فاذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر. وهكذا يتوالى النتاج، وتتوالى العلوم، ويتوالى التفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت أو بالعوائق. هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر. وأما أكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له، فانه لا يقدر على الربح، وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا[١٦].

وتوجد في القرآن الكريم شواهد كثيرة حول فضيلة العلم منها قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾ (سورة آل عمران الآية ١٨). فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنى بالملائكة، وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفا وفضلا ونبلا[١٧].

---

(١٤) صفوة التفاسير، مصدر سابق، جـ٢٦ ص٢٤٧.

(١٥) المصدر السابق، جـ٣ ص١٨٥.

(١٦) احياء علوم الدين، مصدر سابق، جـ٤ ص٣٦٣ - ٣٦٤.

(١٧) نفس المصدر السابق جـ١ ص٥.

وقوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (سورة المجادلة الآية ١١) أي يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله، والعالمين منهم خاصة أعلى المراتب، ويمنحهم أعلى الدرجات الرفيعة في الجنة[١٨].

وقوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب﴾ (سورة الزمر الآية ٩). أي هل يتساوى العالم والجاهل؟ انما يعتبر ويتعظ أصحاب العقول السليمة. وفي ذلك تنبيه عظيم على فضيلة العلم[١٩].

وقوله تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به﴾ (سورة النمل الآية ٤٠) وفي هذا تنبيه على أنه اقتدر بقوة العلم[٢٠].

ويعيب القرآن الكريم على الناس أن يلغوا عقولهم، ويعطلوا تفكيرهم، ويقلدوا غيرهم، ويؤمنوا بالخرافات والأوهام، ويتمسكوا بالعادات والتقاليد دون تفكير فيما يتركون ويدعون، وينعي عليهم ذلك كله، ويصف من كانوا على هذه الشاكلة، بأنهم كالأنعام بل أضل سبيلا من الأنعام، لأنهم يتبعون غيرهم دون تفكير، ولا يحكمون عقولهم فيما يعملون، أو يقولون، أو يسمعون. ولأن العقل هو الميزة الوحيدة التي ميز الله بها الانسان على غيره من المخلوقات، فاذا ألغى عقله، أو عطل فكره، تساوى بالأنعام بل كان أضل منها[٢١].

والمعالم القرآنية صريحة في تقرير هذه المعاني ومنها قوله تعالى: ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا

---

(١٨) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٢٨ ص٣٤١.
(١٩) المصدر السابق، جـ٢٣ ص٧٢.
(٢٠) احياء علوم الدين، مصدر سابق، جـ١ ص٥.
(٢١) التشريع الجنائي الاسلامي (عبد القادر عودة) مصدر سابق ص٣٠ - ٣١.

أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون★ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة الآيتان ١٧٠ - ١٧١).

فالآية تندد بالتقليد، والنقل بلا عقل ولا ادراك ومن ثم ترسم لهم صورة زرية تليق بهذا التقليد، وهذا الجمود، صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح، وهم صم بكم عمي ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون، ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون، فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها.. وهذا منتهى الزراية بمن يعطل تفكيره، ويغلق منافذ المعرفة والهداية[٢٢].

وقال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف الآية ١٧٩) فهم لم يفتحوا القلوب التي أعطوها ليفقهوا، ولم يفتحوا أعينهم ليبصروا آيات الله الكونية، ولم يفتحوا آذانهم ليسمعوا آيات الله المتلوة. لقد عطلوا هذه الأجهزة التي وهبوها، ولم يستخدموها، لقد عاشوا غافلين لا يتدبرون.. والذين يغفلون عما حولهم من آيات الله في الكون، وفي الحياة، والذين يغفلون عما يمر بهم من الأحداث والعبر، فلا يرون فيها يد الله.. أولئك كالأنعام بل هم أضل.. فللأنعام استعدادات فطرية تهديها. أما الجن والانس فقد زودوا بالقلب الواعي، والعين المبصرة، والآذان الملتقطة، فاذا لم يفتحوا قلوبهم، وأبصارهم، وأسماعهم ليدركوا.. فانهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة الى استعداداتها الفطرية الهادية.. ثم هم يكونون من ذر جهنم، يجري بهم قدر الله اليها

---

(٢٢) في ظلال القران جـ٢ ص١٥٥ - ١٥٦.

وفق مشيئته حين فطرهم باستعداداتهم تلك، وجعل قانون جزائهم هذا. فكانوا - كما هم في علم الله القديم - حصب جهنم منذ كانوا[٢٣].

وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (سورة الحج الآية ٤٦). فان مصارع الغابرين حيالهم شاخصة موحية تتحدث بالعبر وتنطق بالعظات. أفلم يسيروا ليشاهدوا مصارع الكفار فيعتبروا بما حل بهم من النكال والدمار. وهلا عقلوا ما يجب أن يعقل من الايمان والتوحيد.. أو تكون لهم آذان يسمعون بها المواعظ والزواجر.. فليس العمى على الحقيقة عمى البصر وانما العمى عمى البصيره، فمن كان أعمى القلب لا يعتبر ولا يتدبر[٢٤].

★ ★ ★

انتهينا فيما سبق من استعراض جانب من المعالم القرآنية التي تحض الصحفي الملتزم المؤمن برسالته على الاهتمام بتنمية الحاسة السادسة الصحفية لديه، والعمل على تقويتها وصقلها، وهذا واجب من أهم واجباته الحيوية.. ثم يبقى واجب هام آخر يتحتم عليه الاهتمام به أيضا.. وهو واجب تنمية مصادره الصحفية واتخاذ الوسائل والأساليب التي تساعده على تنويع تلك المصادر وتقوية العلاقات والصلات معها وذلك من خلال الاسترشاد بالمعالم القرآنية أيضا.. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

★ ★ ★

(٢٣) المصدر السابق جـ٩ ص١٤٠١.

(٢٤) المصدر السابق جـ١٧ ص٢٤٣٠ وكذلك صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ١٧ ص٢٩٣.

الفصل الرابع

تنمية المصادر الصحفية

يتوقف تكوين المصادر الصحفية، التي يحصل منها الصحفي على معلوماته وأخباره الصحفية، الى حد كبير على شخصية الصحفي نفسه، ومدى احساسه بمعنى الأمانة الصحفية، أو الضمير الصحفي، المستمد من الأخلاق، والاحساس بالمسئولية الملقاة على عاتقه كصحفي، مهنته أن يبحث وراء الأخبار ويحصل عليها بالطرق المشروعة، ومن المصادر الموثوقة الأمينة، ثم يصيغها الصياغة الصحفية السليمة المشوقة الصادقة، وينشرها على الناس، فيحصلوا على الفائدة المرجوة من ورائها..

والصلة بين الصحفي الملتزم، المؤمن برسالته، ومصادره، يجب أن تقوم على الأخلاق قبل كل شيء.. ومتى اطمأن المصدر الى أنه يتعامل مع شخص يقدم الاخلاق على ما عداها من الاغراءات، فان هذا الصحفي يكون قد دعم علاقته وصلته بذلك المصدر الذي يمده بفيض متصل من الأخبار والمادة الصحفية التي يحتاج القراء اليها، وتحقق الفائدة المرجوة لهم..

وهذه العلاقة بين الصحفي ومصدره هي الأساس في كل شيء، والمصدر هو صاحب الحق في الخبر الى أن يأذن بنشره ما دام يلتزم هو الآخر بجانب الأخلاق الفاضلة ويقدم مصلحة الناس على غيرها من الاتجاهات غير المشروعة. فان كان ما قاله المصدر للصحفي انما هي معلومات ليست للنشر، فيجب أن تظل كذلك حتى يسمح له المصدر بالنشر. واذا قال له المصدر ان الخبر يجب أن يلتزم حدودا معينة في النشر، فيجب أن يلتزم الصحفي هذه الحدود ما دام ذلك كما قلنا من

أجل المصلحة العامة.. وهذه القاعدة الهامة هي التي يجب أن تكون أساس العلاقة بين الصحفي الملتزم المؤمن برسالته، ومصادره الصحفية النزيهة الأمينة الصادقة الموثوق في صحة أخبارها، وذلك من أجل أن يحافظ الصحفي على تلك المصادر والموجودة في كل بقعة يمكن أن تخرج منها أخبار ذات صلة وثيقة بالقراء ومصالحهم.

والصحفي يستطيع أن ينمي مصادره، ويدعم علاقته معها، عن طريق عدة أمور هامة، منها التمسك بالأخلاق الحسنة الحميدة.. والوفاء بالعهد دائما وحفظ السر.. وطلاقة الوجه عند اللقاء، والتواضع مع المصادر وعدم التعالي عليهم مهما كان وضعهم الاجتماعي ومركزهم الوظيفي.. والمعالم القرآنية التي تحض على ذلك كثيرة، والصحفي يستطيع أن يسترشد بها ويستهدي، ويستضيء بنورها، لكي يحقق الفائدة المرجوة والنجاح في عمله، وتنمية مصادره والمحافظة عليها، وتدعيم العلاقة معها..

(١) حسن الخلق:

ان الألفة ثمرة حسن الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب، والتآلف، والتوافق، واذا كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة. والخلق الحسن لا يخفى في الدين فضيلته، وهو صفة سيد المرسلين ﷺ ولقد قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه، مظهرا نعمته لديه: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ (سورة القلم الآية ٤) وهي الشهادة الكبرى، والتكريم العظيم والثناء الفريد على رسول الله ﷺ.. ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روى عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر لصدورها عن العلي الكبير، وأعظم بتلقي محمد ﷺ لها، وهو

يعلم من هو العلي، وبقائه بعدها راسخا مطمئنا، لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم، وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير[1].

ويقول تعالى: ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (سورة النحل الآية ٩٠). فهذا أمر من الله تعالى بمكارم الأخلاق، والعدل والاحسان الى جميع الخلق، ونهى عن كل قبيح من قول أو فعل أو عمل[2].

ويقول تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت الآية ٣٤) أي لا يتساوى فعل الحسنة مع فعل السيئة، بل بينهما فرق عظيم في الجزاء وحسن العاقبة.. ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن، مثل أن تدفع الغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والاساءة بالعفو فاذا فعلت صار عدوك كالصديق في مودته وصحبته لك[3].

(٢) الوفاء بالعهد:

ان وفاء الصحفي بالعهد الذي يتعهد به مع مصادره، وعدم الاخلاف بتلك العهود والوعود، من الأمور الهامة التي تدعم العلاقة بين الصحفي ومصادره، وتزيد الألفة بينهما، وتجعل الصحفي محل ثقتهم فيما يأتمنونه على بعض أسرارهم أو أخبارهم التي لا يريدون نشرها لسبب أو لآخر.. وان احترام العهود والمواثيق واجب اسلامي، يجب أن يتمسك به الصحفي الملتزم المؤمن برسالته، لما لذلك من أثر طيب، ودور كبير في المحافظة على العلاقات الطيبة بينه وبين مصادره وحسن

---

(١) احياء علوم الدين، مصدر سابق جـ٣ ص٤٢ - ٤٣ وكذلك في ظلال القرآن مصدر سابق جـ ٢٩ ص٣٦٥٦.

(٢) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ ١٤ ص١٣٩.

(٣) نفس المصدر السابق جـ ٢٤ ص١٢٣.

معاملة الصحفي لمصادره، والوفاء لهم والصدق معهم، دليل كمال المروءة فيه، ومظهر من المظاهر التي تدعم الصداقة والألفة بينه وبينهم[٤]..

ولقد أكد الاسلام على الوفاء بالعهد، وشدد على ذلك لأن هذا الوفاء بالعهد واجب ومسئولية كبيرة ومناط الاستقامة، والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة.. وقد تكرر الحديث عن الوفاء بالعهد في سور شتى في القرآن الكريم، سواء في ذلك عهد الله وعهد الناس، أو عهد الفرد وعهد الجماعة، وعهد الدولة، وعهد الحاكم، وعهد المحكوم، وبلغ الاسلام شأوا بعيدا في الوفاء بالعهود لم تبلغه البشرية الا في ظل الاسلام[٥].

والوفاء بالعهد من صفات المؤمنين. والله سبحانه وتعالى، يأمر بالوفاء بجميع العهود، والالتزامات، سواء كانت عهودا مع الله أم مع الناس فيقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ (سورةالمائدة الآية ١) فهو أمر للمؤمنين بالوفاء بالعقود وهو يشمل كل عقد وعهد بين الانسان وربه، وبين الانسان والانسان[٦].

وأي تقصير في الوفاء بهذا الأمر الرباني أو نقضه أو النكث فيه يتنافى مع حقيقة الايمان ويعتبر اثماً كبيرا يستوجب المقت والغضب.. وفي التشنيع على الناقضين للعهود يقول تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ (سورة النحل الآية ٩١) والوفاء بالعهد يشمل كل عهد على معروف يأمر

---

(٤) راجع فقه السنة للشيخ سيد سابق (بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٧ م) المجلد الثالث ص ٩٩.

(٥) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ١٥ ص ٢٢٢٦ وكذلك مكارم الأخلاق في القرآن الكريم مصدر سابق ص١٥٢.

(٦) صفوة التفاسير، مصدر سابق جـ٦ ص٣٢٦ وكذلك المصدر الثاني السابق ص١٥٣.

به الله، والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس، وذلك لأن الاخلال بالعهد يسبب اضطراب الحياة وانعدام الثقة بين الناس ويخلخل قواعد التعامل بينهم[٧].

وكل ما يقطعه الانسان على نفسه من عهد، فهو مسئول عنه ومحاسب عليه: ﴿وأفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا﴾ (سورة الاسراء الآية ٣٤) فهو أمر بالوفاء بالعهود سواء كانت مع الله أو مع الناس، لأنكم تسألون عنها يوم القيامة[٨].

وحق العهد مقدم على حق الدين.. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ (سورة الأنفال الآية ٧٢) فهؤلاء أوجب الله على المسلمين نصرهم، على شرط ألا يكون الاعتداء عليهم من قوم بينهم وبين المجتمع المسلم عهد، لأن عهود المجتمع المسلم أولى بالرعاية[٩].

وليس للوفاء بالعهود ومراعاتها الا الجنة لقوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ★ والذين هم على صلواتهم يحافظون ★ أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ (سورة المؤمنون الآيات ٨ - ١١)، النص يجمل التعبير ويدعه يشمل كل أمانة وعهد، ويصف المؤمنين بأنهم لأماناتهم ووعدهم راعون. فهي صفة دائمة في كل

---

(٧) في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١٤ ص ٢١٩١ وكذلك فقه السنة مصدر سابق المجلد الثالث ص٩٩ وص١٠١ وكذلك مكارم الأخلاق في القرآن الكريم مصدر سابق ص١٥٢ وص١٥٤.

(٨) نفس المصدر الثاني السابق ص٩٩ وكذلك صفوه التفاسير مصدر سابق جـ١٥ ص ١٥٩.

(٩) في ظلال القرآن مصدر سابق جـ١٠ ص ١٥٥٥ وكذلك فقه السة (سيد سابق) مصدر سابق، المجلد الثالث ص٩٩.

حين، وما تستقيم حياة الجماعة الا أن تؤدى فيها الأمانات، وترعى فيها العهود. ويطمئن كل من فيها الى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة، الضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان، والغاية المقدرة لهؤلاء، هنالك في الفردوس، دار الخلد بلا فناء، والأمن بلا خوف، والاستقرار بلا زوال[١٠].

ولقد كان صدق الوعد والوفاء به خلق رسول الله اسماعيل أبا العرب فيقول تعالى: ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾ (سورة مريم الآية ٥٤). فالنص القرآني ينوه من صفات اسماعيل بأنه كان صادق الوعد. وصدق الوعد صفة كل نبي وكل صالح، فلا بد أن هذه الصفة كانت بارزة في اسماعيل بدرجة تستدعي ابرازها والتنويه بها بشكل خاص[١١].

(٣) طلاقة الوجه عند اللقاء:

وكلام الصحفي الطيب مع مصادره، وطلاقة الوجه وبشاشته عند لقائهم، من الأمور المستحبة التي تفتح قلوب المصادر اليه، فتدلي له بالأخبار الهامة، وتجعلهم يتحدثون على سجيتهم دون تحفظ. ولكن يشترط أن يكون كلام الصحفي صادقا لا تملق فيه ولا مداهنة، وبشاشة وجهه حقيقية غير مصطنعة.. والصحفي يجد في معالم القرآن الكريم الكثير من الارشادات والتوجيهات في هذا الصدد.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (سورة الحجر الآية ٨٨). فالتعبير عن اللين والمودة والعطف بخفض الجناح، تعبير تصويري، يمثل لطف الرعاية، وحسن المعاملة، ورقة الجانب، في صورة محسوسة على طبيعة

---

(١٠) المصدران السابقان الأول جـ١٨ ص ٢٤٥٦ - ٢٤٥٧ والثاني ص ١٠٠.
(١١) المصدران السابقان الأول جـ١٦ ص ٢٣١٣ والثاني ص١٠٠.

القرآن الفنية في التعبير[١٢].

وقوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩). وفي ذلك نجد حقيقة الرحمة الالهية المتمثلة في أخلاق النبي ﷺ، وطبيعته الخيرة، الرحيمة، الهينة، اللينة، المعدة لأن تتجمع عليها القلوب، وتتألف حولها النفوس، فلو كان غليظ القلب، ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة الى كنف رحيم، والى رعاية فائقة، والى بشاشة سمحة، والى ود يسعهم وحلم لا يضيق بهم[١٣].

وقوله تعالى: ﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (سورة النحل الآية ١٢٥). فعلى هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم، وللدعاة من بعده.. والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، وبالدعوة الحسنة التي تدخل الى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب في غير موجب. وبالجدل بالتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح، حتى يطمئن الى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل[١٤].

* * *

خلاصة ما تقدم أن العلاقة بين الصحفي الملتزم المؤمن برسالته ومصادره، يجب أن تقوم على أساس من الأمانة الصحفية المستمدة من الاخلاق الفاضلة، والاحساس بالمسئولية الملقاة على عاتقه.. وواجب

---

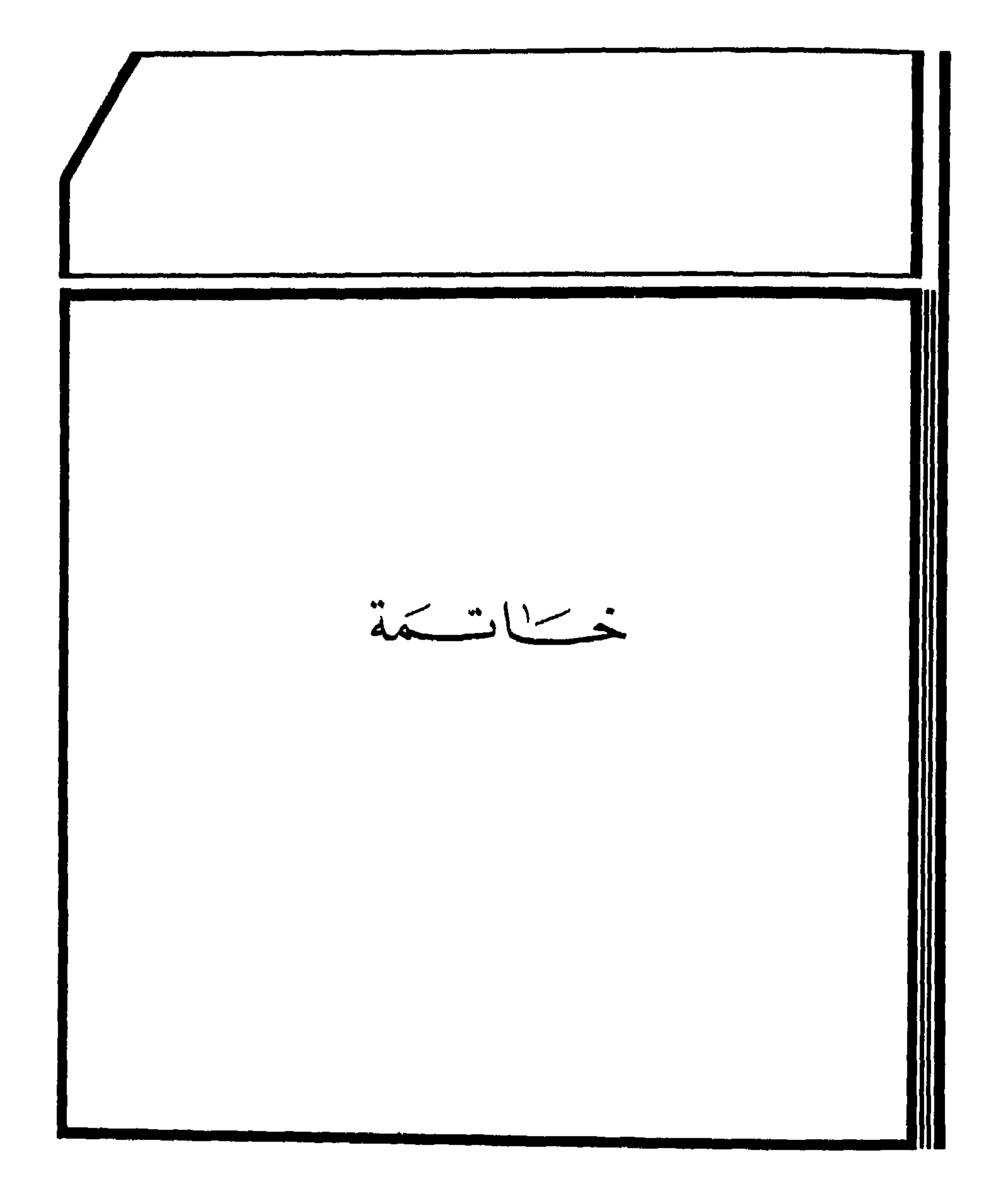
(١٢) في ظلال القرآن، مصدر سابق، جـ ١٤ ص ٢١٥٤.

(١٣) المصدر السابق جـ ٤ ص ٥٠٠ - ٥٠١.

(١٤) المصدر السابق جـ ١٤ ص ٢٢٠١ - ٢٢٠٢.

الصحفي أن يسعى دائما الى تنمية مصادره وزيادة عددها، وتدعيم العلاقات الشريفة معها بالوسائل المشروعة، ومنها التمسك في التعامل معها بالأخلاق الحسنة.. والوفاء بالعهود.. وطلاقة الوجه وبشاشته بصدق عند اللقاء، والتواضع وعدم التعالي. وله في كل ما قدمناه وغيره من المعالم القرآنية في هذا الشأن، خير معين ومرشد لتحقيق الفائدة المرجوة، والنجاح في أداء مهمته بأمانة وصدق و نزاهة.

* * *



خاتمة

خاتمة

«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»

فقد توصلنا بحمد الله تعالى وتوفيقه من خلال «**دراسات في فن التحرير الصحفي....**» الى عدد من الحقائق الهامة، التي ثبتت من استعراض عدد كبير من المعالم القرآنية، تضمنتها تلك الدراسات.. وكلها توجه الصحفي الملتزم المؤمن برسالته، وترشده الى تفهم العديد من القضايا المتصلة بجوانب كثيرة من فن التحرير الصحفي، وتدور حول مهمة الصحفي وطبيعة عمله، ورسالته التي تهدف الى تكوين الرأي العام النابه، وتحقيق الفائدة للفرد والمجموع، في ظلال من تعاليم الشريعة الاسلامية السمحة، فيما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم..

ففي مجال (**مفاهيم صحفية...**)[1] درسنا العديد من المعالم الصحفية التي تساعد الصحفي على تفهم حقائق هامة في مجال عمله..

فهذه معالم قرآنية في مجال (**النبأ.. والخبر**) أوضحت الفروق بين الكلمتين والاستخدام الصحيح لكل منهما.. فكلمة (نبأ) تستعمل عندما نشير الى خبر عظيم، أو حدث هام له خطره وشأنه، بينما كلمة (خبر) تستخدم عند الاشارة الى الأخبار العادية الحديثة الوقوع..

وتلك معالم قرآنية توجه الصحفي الى تحري (**النبأ اليقين**) المستمد من المصادر الأمينة الصادقة، العليمة ببواطن الأمور، والتثبت من صحته قبل نشره، مع مراعاة البراعة في صياغته وعرضه بطريقة شيقة، تجذب القراء لقراءته... وأن تعكس تلك الأنباء، والأخبار، **الصراع** الكامن في أحداث الحياة، التي تتصل بحاجات القراء وتستحوذ على اهتمامهم.

---

(١) أنظر الباب الأول.

وقد أوضحت معالم قرآنية أخرى، أن الاسلام أباح **حرية القول والكتابة** لكل انسان، بشرط عدم مخالفة نصوص الشريعة الاسلامية، أو الخروج على الأخلاق والآداب العامة.. ودلتنا معالم قرآنية عديدة على ماهية **الرقابة** الهادفة البناءة على نشر واذاعة الأنباء والأخبار، في الظروف العادية والاستثنائية.. وبينت معالم قرآنية كثيرة، أهمية تحري **التوقيت المناسب** لنشر واذاعة المادة الصحفية البناءة، عندما تكون حالة القراء أو المستمعين النفسية مهيأة، وظروف الزمان والمكان مواتية، وبذلك يتقبلوا ما يقدم لهم، وينفعلوا به، ويتصرفوا من خلاله، فتتحقق النتائج المرجوة على أفضل وجه..

وأكدت معالم قرآنية شتى، أن **التكرار** غير الممل، الذي يرد على صور مختلفة، مع التنوع في طريقة عرضه وصياغته، مما يفيد مع الطبيعة البشرية، التي لا تتأثر التأثر المطلوب، ما لم يتكرر تنبيهها وتحذيرها، والتدليل على صحة ما يقدم لها..

وفي مجال (**الكتابة الصحفية...**[٢]) درسنا معالم قرآنية كثيرة، توجه الصحفي وترشده الى أبرع الطرق لصياغة مقدمات الأخبار القصيرة والطويلة، **والاستهلال الجيد**، المثير للاهتمام، والملفت للانتباه، وكذلك **الخاتمة** القوية التي يبقى صداها يتردد في حس القارىء فترة طويلة بعد الانتهاء من القراءة. والعلاقات، والترابط، والتلازم بين **المقدمات والخواتم** واتصالها بما بينها من التفاصيل.. وكل ذلك بهدف جذب القارىء للقراءة، وتشويقه الى متابعة القراءة حتى نهايتها دون ملل أو سأم..

ودلتنا معالم قرآنية عديدة الى أهمية (**الحوار**) باعتباره أسلوبا من

---

(٢) أنظر الباب الثاني.

الأساليب التي يجب أن يعتمد عليها الصحفي، في خلق الحركة في بعض ما يقدمه من انتاج، وتلوينه، وتنويعه، فتأتي تلك الكتابات نابضة بالحياة، تملأ الأسماع والأبصار.. وتضع معالم قرآنية لا حصر لها، يد الصحفي بسهولة ويسر على **عناوين** غاية في الروعة والجلال، وتعبر بدقة على ما يقدمه من مادة صحفية، وتنطبق عليها تمام الانطباق.. وحتى فن **(الكاريكاتور)** وجدنا له معالم قرآنية كثيرة مبثوثة في كتاب الله تعالى، تبرز فيها خصائص التعبير القرآنية، التي تتجلى في قيام الكلمة مقام الخط، واللون، فتنبض الرسوم (الكاريكاتورية) بالحياة، مع الابتعاد تماما عن الاقذاع، ونبو اللفظ، فجاءت تلك الرسوم (الكاريكاتورية) مثل أعلى للسمو الذي يهدف الى الغاية العليا لتحقيق الخير للناس، في دينهم ودنياهم.

وفي مجال **(الموضوع الصحفي..**[٣]) درسنا العديد من القضايا التي ترشد الصحفي، الى البراعة في صياغة الموضوعات الصحفية، وترتيب المادة التي يقدمها بطريقة عرض فنية، تساعد القارىء على سهولة استيعاب تلك المادة، وتشوقه وتشده الى قراءتها من بدايتها حتى نهايتها.. فقد وجدنا أن ترتيب **(سور القرآن الكريم كله)** وتنظيمها وان كان ذلك يجل عن مشابهته لأعمال البشر - ولله المثل الأعلى - جاءت على ما يشبه **(المقدمة.. والصلب.. والخاتمة..)** فكانت سورة **(الفاتحة)** التي هي سبع آيات قصار، **كالمقدمة** لأنها كانت تركيزا لكل القرآن.. ثم كانت باقي السور بمثابة **الصلب** الذي فصل كل ما ركزته المقدمة. وكان **(جزء عم)** **كالخاتمة** التي شملت كل أصول الدين وقواعده، وغاياته.

ودرسنا نماذج من **(سور القرآن)** فوجدنا كل سورة لها هدف،

---

(٣) أنظر الباب الثالث.

وغرض تسعى لتحقيقه، وتكون وحدة كاملة مترابطة الأجزاء ، لها (**مقدمة - وصلب.. وخاتمة**) أيضا. وهذا طابع عام في سور القرآن جميعا، سواء في ذلك السور من قسم السبع الطوال، أو من قسم المئين، أو من قسم المثاني..

كما رأينا أن ترتيب آيات (**القصة القرآنية**) سواء القصيرة، أو المتوسطة، أو الطويلة، تسير في ترتيب آياتها على أساس (**المقدمة.. والصلب.. والخاتمة**) مع خضوعها الكامل في موضوعها. وطريقة عرضها، وادارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية، الى جانب بروز الخصائص الفنية في عرضها، لتيسير ورودها الى النفس، وتعميق وقعها في الوجدان.

وحول (**بعض صفات الصحفي وواجباته..**[٤]) درسنا معالم قرآنية عديدة، يجد فيها الصحفي الملتزم المؤمن برسالته، ما يعينه على السير في مهنته على خير ما يرام.. ولكي يتحقق ذلك، فلا بد للصحفي أن تتوفر فيه العديد من **الصفات** التي تنبع من تعاليم الاسلام ومنهج القرآن الكريم.. ومنها الاخلاص في عمله، ومراقبة الله، ومحاسبة نفسه على كل صغيرة وكبيرة، والتحلي بالصبر، وتحري الدقة والصدق في كل ما ينقله، أو يكتبه.

كما يجب عليه أن يلتزم بأداء العديد من **الواجبات** النزيهة الشريفة، والحرص على اتباعها في عمله، ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتبصير الناس بما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم.. وكذلك الاهتمام بتنمية حاسته السادسة الصحفية، والعمل على تقويتها وصقلها، بالمران وكثرة البحث والتحري والسؤال عن كل صغيرة وكبيرة، حتى تصبح تلك الحاسة قوية، نشيطة، متيقظة، تحركه الى

---

(٤) أنظر الباب الرابع..

منابع الأخبار التي تلبي احتياجات القراء، وتشد اهتمامهم، وتطمئنهم على حاضرهم، ومستقبلهم.. وأيضا الاهتمام بمصادره الصحفية وزيادة عددها باستمرار، واتخاذ الوسائل والأساليب الفعالة التي تساعده على تنويعها، وتنمية العلاقات معها على أساس من الأمانة الصحفية المستمدة من الأخلاق الفاضلة.. والوفاء بالعهود معها، وطلاقة الوجه، وبشاشته عند لقائها. الى آخر تلك الأمور التي تحقق له تنمية المصادر. وزيادتها وتقوية العلاقات معها، حتى يحصل منها باستمرار على الأخبار المفيدة للقراء وللصحيفة على السواء.. فالمصدر الصحفي كنز ثمين للصحفي يجب أن يحرص عليه ولا يفرط فيه مهما كانت الأسباب..

والله سبحانه وتعالى أعلم.. وهو من وراء القصد.. وهو الهادي الى سواء السبيل..

* * *



مراجع الكتاب

مراجع الكتاب

المؤلف	عنوان الكتاب

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: كتب التفسير وعلوم القرآن.

أحمد مصطفى المراغي	تفسير المراغي (القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٧٤ م).
بدر الدين محمد الزركشي	البرهان في علوم القرآن (بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م) تحقيق أبو الفضل ابراهيم.
جلال الدين السيوطي	الاتقان في علوم القرآن (بيروت - ١٩٧٩ م).
الحافظ عماد الدين بن كثير	تفسير ابن كثير (بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٦ م) ستة أجزاء .
سيد قطب	في ظلال القرآن (بيروت - الطبعة الخامسة ١٩٧٧ م) ستة مجلدات.
عبد الكريم الخطيب	التفسير القرآني للقرآن (القاهرة - بدون تاريخ).
محمد رشيد رضا	تفسير المنار (القاهرة ١٩٧٢ م).

محمد علي الصابوني — صفوة التفاسير (بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٨١ م). ثلاثة مجلدات.

محمد علي الصابوني — مختصر تفسير ابن كثير (بيروت - الطبعة السابعة ١٩٨١ م) ثلاثة مجلدات.

محمد محمود حجازي (دكتور) — التفسير الواضح (القاهرة - الطبعة السادسة ١٩٦٩ م).

مناع القطان — مباحث في علوم القرآن (بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦١ م).

ثالثا: كتب السيرة النبوية

أبو محمد عبد الملك بن هشام — السيرة النبوية لابن هشام (بيروت - بدون تاريخ). تحقيق مصطفى السقا وآخران..

محمد الغزالي — فقه السيرة (القاهرة - الطبعة السابعة ١٩٧٦ م).

رابعا: معاجم وقواميس

أبو الفضل جمال الدين ابن منظور — لسان العرب (بيروت ١٣٠٠ هـ) المجلد الأول.

أحمد عطية الله — دائرة المعارف الحديثة (القاهرة ١٩٥٢ م).

محمد فؤاد عبد الباقي — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (القاهرة كتاب الشعب - بدون تاريخ).

محمد مرتضى الزبيدي — تاج العروس من جواهر القاموس (القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ).

المطبعة الأميرية (مصر) — المعجم الوسيط (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٣ م) الجزء الثاني.

يوسف الياس سركيس — معجم المطبوعات العربية والمعربة (القاهرة - ١٩٢٨ م) الجزء الأول.

خامسا: كتب اسلامية

أبو حامد محمد الغزالي — احياء علوم الدين (دمشق - بدون تاريخ).

أحمد حسن الباقوري — أثر القرآن الكريم في اللغة العربية (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٣ م).

التهامي نفره (دكتور) — سيكولوجية القصة في القرآن (تونس ١٩٧٤ م).

السيد عبد الحافظ عبد ربه — بحوث في قصص القرآن (بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٢ م).

ثروت أباظة — السرد القصصي في القرآن الكريم (القاهرة - بدون تاريخ).

حسن البنا — نظرات في القرآن (القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٩ م) سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور .

حسن محمد باجودة (دكتور) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام (القاهرة ١٩٧٣ م).

حنفي أحمد — التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن (القاهرة ١٩٦٠ م).

راشد البراوي (دكتور) — القصص القرآني/تفسير اجتماعي (القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٨ م).

رمضان لاوند — من قضايا الاعلام في القرآن (الكويت ١٩٧٩ م).

زين العابدين الركابي — النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية (بحث في كتاب الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية الرياض الطبعة الأولى ١٩٧٩ م).

سيد قطب — التصوير الفني في القرآن (القاهرة - الطبعة الثامنة ١٩٧٥ م).

عبد الحليم حفني (دكتور) أسلوب السخرية في القرآن الكريم (القاهرة ١٩٧٨ م).

عبد القادر حسين (دكتور) القرآن/اعجازه وبلاغته (القاهرة ١٩٧٥ م).

عبد القادر عودة — التشريع الجنائي في الاسلام مقارنا بالقانون الوضعي (القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٦٣ م) الجزء الأول.

عبد الكريم الخطيب	القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٥ م).
عبد الله العلمي	مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام، (بيروت - الطبعة الثانية - الجزء الأول ١٩٦٩ م. الجزء الثاني ١٩٧٠ م).
كامل سلامة الدقسي (دكتور)	منهج سورة النور في اصلاح النفس والمجتمع (جدة الطبعة الثانية ١٩٧٦ م).
محمد أحمد جاد المولى	قصص القرآن (القاهرة - الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٨ م).
محمد أحمد خلف الله (دكتور)	الفن القصصي في القرآن الكريم (القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م).
محمد عبد الله دراز (دكتور)	النبأ العظيم/ نظرات جديدة في القرآن (الكويت الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م).
محمد الغزالي	نظرات في القرآن الكريم (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٦١ م).
محمد الفقي	قصص الأنبياء وأحداثها وعبرها (القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٩ م).
محمد كامل حسن (المحامي)	القرآن والقصة الحديثة (بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٠ م).

محمد متولي الشعراوي محاضرة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة - حول سورة النبأ.

محمد محمود حجازي (دكتور) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٠ م).

محمد محمود الصواف نظرات في سورة الحجرات (بيروت ١٩٧٤ م).

محمود حمزة نصر الكرماني أسرار التكرار في القرآن (القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م).

محمود شلتوت الى القرآن الكريم (القاهرة - بدون تاريخ)

مصطفى صادق الرافعي اعجاز القرآن والبلاغة النبوية (بيروت - الطبعة الثامنة بدون تاريخ).

منظمة الندوة العالمية الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية (الرياض الطبعة الأولى ١٩٧٩ م).

يحيى المعلمي (اللواء) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم (الرياض ١٩٧٥ م).

سادسا: كتب اعلامية وغيرها

ابراهيم امام (دكتور) الاعلام والاتصال بالجماهير (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٥ م).

ابراهيم امام (دكتور) وكـالات الأنبـاء (القـاهرة ١٩٧٢ م).

اجلال خليفة (دكتورة) علم التحرير الصحفي (القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٠ م).

جلال الدين الحمامصي من الخـبر الى الموضوع الصحفي (القاهرة ١٩٦٥ م).

جيهان أحمد رشتي (دكتورة) الأسس العلمية لنظريات الاعلام (القاهرة ١٩٧٥ م).

عبد اللطيف حمزة (دكتور) المدخل في فن التحرير الصحفي (القـاهرة - الطبعـة الرابعـة ١٩٦٨ م).

عبد اللطيف حمزة (دكتور) أزمـة الضمـير الصحفي (القـاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٠ م).

علي الجارم ومصطفى أمين البلاغة الواضحة (القاهرة الطبعة الحادية عشرة ١٩٦٩ م).

فاروق أبو زيد (دكتور) فن الخـبر الصحفي (القـاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨١ م).

محمد علي أبو حمده فن الكتابة والتعبير (عمان الطبعة الأولى ١٩٨١ م).

محمود أدهم (دكتور) فن تحرير التحقيـق الصحفي (القاهرة ١٩٧٩ م).

سابعا: صحف ومجلات

جريدة الأهرام (مصرية) بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٨٣ م.

مجلة الأزهر (مصرية) أعـداد متفرقـة من أعوام (١٩٦٠ - ١٩٨١ - ١٩٨٢ م).

مجلة الدعوة (مصرية) أعـــداد متفرقـــة من أعوام (١٩٧٦ - ١٩٧٨ - ١٩٨٠ م).

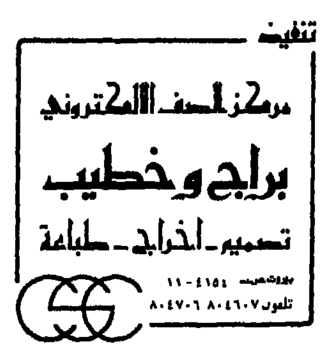
مجلة الرسالة (مصرية) أعـــداد متفرقـــة من عـــامي (١٩٥٠ - ١٩٥٢ م).

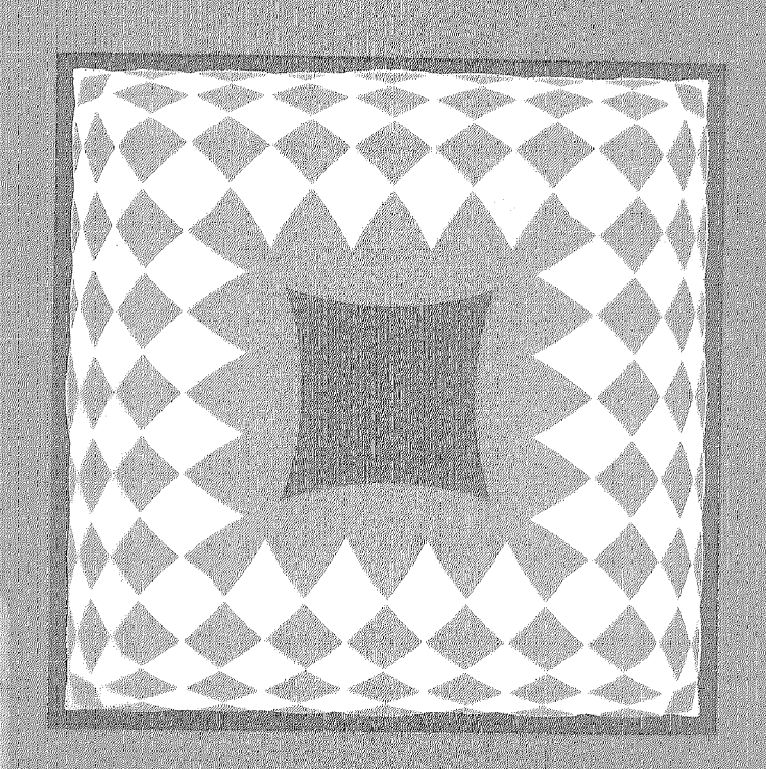
مجلة المجتمع (كويتية) أعـــداد متفرقـــة من أعوام (١٩٧٧ - ١٩٧٨ - ١٩٧٩ - ١٩٨٠ م).

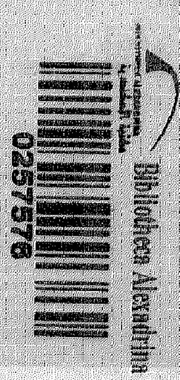
مجلة المسلمون (جنيف) أعـــداد متفرقـــة من عـــامي (١٩٦٤ - ١٩٦٥ م).

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة


تنفيذ
مركز الصف الالكتروني
براج وخطيب
تصميم - اخراج - طباعة





دار الشروق